الإشاعات الخبيثة

أسبابها.. وعلاجها في ضوء القرآن والسنة

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com
www.for-alquds.org

الإشاعات الخبيثة

محمد السيد الشناوي..

*
الطبعة الأولى (2021).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

الإشاعات الخبيثة

أسبابها.. وعلاجها في ضوء القرآن والسنة

بقلم

محمد السيد الشناوي..

من علماء الأزهر

كاتب وباحث إسلامي.

الطبعة الأولى

2021 م

إهداء

إلى المؤمنين العاملين . . القابضين على الجمر . .

ثباتًا . . وصبرًا . . فإن مع العسر يسرًا . .

إن مع العسر يسرًا .

من الدستور الإلهي

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:16).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:19).

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:6).

الفهرس

فاتحة الكتاب ..... - 12 -
الفصل الأول ..... - 17 -
الإشاعات الخبيثة ..... - 17 -
تعريفها.. أضرارها.. تاريخها. ..... - 17 -
الإشاعات ..... - 19 -
تعريف.. وبيان. ..... - 19 -
أنواع الإشاعات ..... - 21 -
النوع الأول: الإشاعة العنيفة. ..... - 22 -
النوع الثاني: الإشاعة البطيئة أو الزاحفة. ..... - 22 -
النوع الثالث: الإشاعة الغاطسة أو الغائصة. ..... - 23 -
أقسام الإشاعات. ..... - 23 -
القسم الأول: الإشاعات السلمية. ..... - 23 -
القسم الثاني: الإشاعات الحربية. ..... - 24 -
طرائق تمييز الإشاعة من الحقيقة. ..... - 24 -
أسباب الإشاعات ..... - 26 -
الإشاعات لها أجهزة متخصصة في اختلاقها وإشاعتها ..... - 28 -
الأدوات الناقلة للإشاعة. ..... - 29 -
الأوعية الحاملة للإشاعة. ..... - 30 -
الأضرار الُمتَوقعة للإشاعات الخبيثة ..... - 35 -
الإشاعات الخبيثة.. شيء من التاريخ. ..... - 47 -
الإشاعات في السلم وفي الحرب. ..... - 47 -
الرسول ﷺ وإشاعات المشركين في مكة. ..... - 53 -
الرسول ﷺ وإشاعات المنافقين في المدينة. ..... - 55 -
شهادة الإمام: مُحَمَّد عبده. ..... - 98 -
شهادة الإمام: مُحَمَّد رشيد رضا. ..... - 99 -
شهادة دائرة المعارف البريطانية. ..... - 99 -
شهادة المستشرق الفرنسي (هنري لاوست). ..... - 99 -

شهادة المستشرق الأسباني (أرمانوا). ..... - 100 -
الفصل الثاني ..... - 107 -
علاج الإشاعات الخبيثة ..... - 107 -
في ضوء القرآن والسنة. ..... - 107 -
في سبيل العلاج ..... - 107 -
1 ـ التربية الإيمانية..... - 108 -
2 ـ إيقاظ العقل ليُفكِّر..... - 123 -
3 ـ إيقاظ الأخوة الإيمانية ..... - 128 -
3 ـ حُرمة عِرض المؤمن..... - 134 -
5 ـ سلامة القلوب من الأمراض..... - 140 -
6 ـ إحسان الظن بالمؤمنين..... - 149 -
7 ـ إماطة الإشاعات الخبيثة عن المؤمنين ..... - 154 -
8 ـ وجوب ستر المؤمن ..... - 161 -
9 ـ الكلمة مسئولية..... - 172 -
10 ـ صدق الكلمة..... - 178 -
11 ـ الإعراض عن اللغو. ..... - 181 -
12 ـ وجوب اجتناب الغِيبَة () والإشاعات الخبيثة. ..... - 185 -
1 ـ الغيبة من كبائر المحرمات. ..... - 186 -
2 ـ البهتان والإشاعات الخبيثة من كبائر الذنوب. ..... - 188 -
3 ـ الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة عمل مرضى القلوب. ..... - 189 -
4 ـ رمي الشرفاء بجرائم لم يفعلوها من أكبر الكبائر..... - 191 -
5 ـ الإنصات للغيبة والبهتان من كبائر الذنوب. ..... - 194 -
6 ـ الحذر من تلبيس إبليس..... - 195 -
7 ـ عاقبة الكذب البهتان والإشاعات الخبيثة..... - 197 -
13 ـ اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة..... - 199 -
14ـ وجوب التَّبيُّن من الأخبار والإشاعات..... - 211 -
15 ـ استصحاب السيرة الذاتية للمنكوب بالإشاعة. ..... - 222 -
16 ـ كشف الخبر الصحيح للإشاعة..... - 227 -
17 ـ الأخذ على أيدي مُروِّجي الإشاعات وردعهم..... - 234 -

من الهدْي النبوي

* ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ.. التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (أخرجه مسلم 2564).
* ــ قَالَ أبو مَسْعُودٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» (صحيح.. أخرجه أبو داود 4972).
* ــ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ: خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا، ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ الله الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءَ الْعَنَتَ (حسن بشواهده.. أخرجه أحمد 17998)

فاتحة الكتاب

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فإني أعلم منذ عملت في حقل الدعوة والتربية أن طريقه ملئ بالمتاعب، ومحفوف بالآلام في النفس والمال والعِرض، ولم يسلم منها الأنبياء والمرسلون وخاتمهم الرسول محمد بن عبد الله ﷺ، فكيف يسلم منها ورثتهم من الدعاة والمُربين، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [1]!.

وقد رأيت في العالم العربي والإسلامي منذ وعيْت موجات من الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة تتوالى لتنال من العلماء والدعاة إلى الله تعالى، والمُتمسكين بسنة النبي ^، منها ما لا أصل له، ومنها ماله أصل صغير ضخَّموه أو حرَّفوه وحوَّروه ، مثل الإشاعة التي تتهمهم بالرجعية والتخلف، والأخرى التي تدمغهم بالعنف والإرهاب ، والأخرى التي تصفهم بالتزمت والتطرف... الخ.

وبلغ من كثرة هذه الإشاعات الخبيثة وتتابعها أني قلت لجليسي مرة: لم أعد أصدق أحدًا حتى نفسي.. وأخشى أن أعتبر جلوسي معك إشاعة من الإشاعات!.

أفزعني وهالني ما رأيت من رواج الكذب والبهتان، والإشاعات الخبيثة، وآثارها في تلويث الأبرياء من العلماء والدعاة العاملين للإسلام، وخفت أن يعتاد جمهور المسلمين ذلك حتى يُصبح خُلُقًا لهم؛ فتكون كارثة أسوأ من كارثة.

وقد ساعد على قبول هذه الإشاعات الخبيثة ضعف الوازع الإيماني والأخلاقي لدى كثير من الناس؛ فوجد المُرجفون فيهم فرائس سهلة؛ فأضلوهم بالكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، وبها غرسوا فيهم الكراهية لأرحامهم من أبناء الدين والوطن؛ مما يُمهد لتقاطع الأرحام وتفسُّخ الأسر!.

---

(1) صحيح.. أخرجه ابن ماجة 223، وأبو داود 3641، وأحمد 21715، وغيرهم.

والذي أخافه أكثر أن العامة من قديم وفي أي مكان وفي أي عصر وقود كل فتنة، وأداة كل فوضى واضطراب.. فهم يتسمون بالغوغائية.. ومن سمات الغوغائية: الثرثرة بغير ضابط من عقل أو شرع أو عُرف أو قانون، وربما تجاوزوا الإيذاء باللسان إلى الإيذاء باليد، وسفْك الدماء.

ومن قديم أدرك السلف هذا.. قال إسحاق بْن رَاهْوَيْه: أمر محمد بن أسلم الناس بالترجيع.. فقلتم: هذا مبتدع.. عامة أهل بلده بالكورة غوغاء.

ثُمَّ قَالَ: احْذَرُوا الغَوْغَاءَ، فَإِنَّهُمْ قَتَلَةُ الأَنْبِيَاءِ.. (فهم أسرع إلى إيذاء العلماء والدعاة إلى الإسلام).. فلما كان الليل، دخلت عليه، فقلت: يا أبا يعقوب، حدثت هذه الأحاديث بالترجيع، فما لك لا تأمر مؤذنك بالترجيع؟.

قَالَ: يَا مُغَفَّلُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ فِي الغَوْغَاءِ، إِنَّمَا أَخَافُ الغَوْغَاءَ [1].

إن استجابة المسلمين للبهتان والإشاعات الخبيثة يكشف عن أزمة معرفية وأخلاقية في المجتمع المسلم، طالما تخفى على أهل العلم والدعوة والتربية، مما يُوجب عليهم بذل مزيد من الجهد في التعليم والتربية والدعوة، ليظل الإسلام باقيًا حيًّا في أعمال وأخلاق المؤمنين؛ مما يُمهد السبيل للدعوة إليه ونشره خارج أرضه.

إن هذا السبيل التربوي كبير في جهده، بطيء في ثمرته لكنه ـــ مع استمراره والإصرار عليه ـ أكيد في مفعوله، ولا سبيل للعقلاء والمُربين غيره.

وكيف لا؟ وهو السبيل الذي سلكه الرسول ﷺ في بناء الجيل الإسلامي الفريد، واعتبره الله تعالى فضلاً يمتن به على المؤمنين، كما يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:164).

---

(1) راجع: سير أعلام النبلاء (12 / 198) ط مؤسسة الرسالة.. الترجيع يكون في الأذان، بتكرار الشهادتين أربع مرات متتاليات، مرتان في البداية بصوت منخفض، ثم مرتان يجهر المؤذن بهما كباقي كلمات الأذان.

وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم والدعوة أن يقوموا بهذا الواجب التعليمي والدعوي والتربوي في بيان واضح، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران:187).

وقد كتبت هذا الكتاب لأشارك في هذا الواجب التربوي في وطني وأمتي، ولا أبتغي به إلا رضوان الله تعالى ومثوبته، ولا يعنيني رضا هؤلاء ولا غضب هؤلاء.

أجل، أردت لكتابي أن يتخذ الحياد العلمي سبيلاً له، فلم يركن إلى هؤلاء ولا إلى أولئك.. ولم يُحاب طرفًا ولم يُعاد آخر، إنما انحاز إلى الحقيقة العلمية المجردة، يُفسِّر الإشاعات الخبيثة، ويُعرِّف بأضرارها، ويُبين علاجها التربوي الوسطي المعتدل في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: 9).

وقد جعلت الكتاب خاصًا بالإشاعات الخبيثة.. وسميته: الإشاعات الخبيثة.. أضرارها.. وعلاجها في ضوء القرآن والسنة.. وجعلته فصلين اثنيْن:

الفصل الأول: سجلت فيه تعريف الإشاعة الخبيثة.. وأدواتها.. ووسائلها.. وأضرارها على الفرد والمجتمع.. ثم شيئًا من تاريخها

الفصل الثاني: بينت ما رأيته علاجًا لها، مثل: التربية الإيمانية.. إيقاظ الإخوة الإيمانية.. إيقاظ العقل ليُفكر.. اجتناب الغيبة والبُهتان.. اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة.. سلامة القلوب من الأحقاد.. حُرمة عرض المؤمن .. الخ.

هذا، وإذا كان في الكتاب من خير فهو من فضل الله وحده، وله وحده الحمد والمنة.. وإذا كان فيه من خطأ فهو من رشحات نفسي الأمَارة بالسوء، وأسأل الله أن يغفره لي، ويأجرني عليه، اللهم آمنين، وقد قال القائل:

من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط.

هذا، وقد كتب أستاذ البلغاء، القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني، معتذرا عن كلام استدركه عليه: إنه قد وقع لي شيء، وما أدري أوقع لك أم لا؟، وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر[1].

وأوصى من يَقْرأ كتابي هذا أن يغفر لي ما يجده من زلات، وينصحني بها متى استطاع إلى ذلك سبيلا، وما أحسن ما قال الجريري:

وإن تجد عيبًا فسد الخللا * فجل من لا عيب فيه وعلا.

وحسبي أني ما أردت إلا الخير لديني وطني أمتي ، وأقول كما قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:88).. وأقول ما قال القائل:

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبه * وكاتب الخط تحت التُرب مدفون

يا رب فاغفر لعبد كان كاتبه * يا قارئ الخط قل: يا ربي آمين.

محمد السيد الشناوي
من علماء الأزهر.. كاتب وباحث إسلامي
صفط تراب.م. المحلة الكبرى. مصر..
في ظهر الأربعاء 19 / 4 / 1435هـ = 19 / 2/ 2014م.

(1) راجع: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين 1 / 4، للإمام الزبيدي، ط. دار الكتب العلمية.

الفصـل الأول

الإشـاعـات الخـبـيـثة

تعريفها.. أضرارها.. تـاريخها.

الإشاعات

تعريف.. وبيان.

الإشاعات جمع.. مفرده إشاعة.. الإشاعة والشائعة والشاعة بمعنى واحد.

قال ابن منظور في لسان العرب: وشاعَ الخَبَرُ فِي النَّاسِ يَشِيعُ شَيْعاً وشَيَعاناً ومَشاعاً وشَيْعُوعةً، فَهُوَ شائِعٌ: انْتَشَرَ وافْتَرَقَ وذاعَ وظهَر.. وأَشاعَه هُوَ وأَشاعَ ذِكرَ الشيءِ: أَطارَه وأَظهره.. وَقَوْلُهُمْ: هَذَا خبَر شَائِعٌ وَقَدْ شاعَ فِي النَّاسِ، مَعْنَاهُ قَدِ اتَّصَلَ بِكُلِّ أَحد فَاسْتَوَى عِلْمُ النَّاسِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ.. والشاعةُ: الأَخْبار المُنتشرةُ.. وَفِي الْحَدِيثِ: أَيُّما رجلٍ أَشاع عَلَى رَجُلٍ عَوْرة لِيَشِينَه بِهَا [1].

وقال الفيروزبادي في البصائر: والشَيْع: الانتشار والتقوية، يقال: شاع الحديثُ، أي كثر وقَوِى وشاع القومُ: انتشروا وكثروا [2].

وقال المعجم الوسيط: الإشاعة: الخبر ينتشر غير مُتَثَبَّت فيه.. الشائع: المنتشر.. والإشاعة: الخبر ينتشر ولا تثبت فيه، وجمعها شوائع.. والشاع: أي الشائع.. والشاعة: أي الإشاعة [3].

وقد اخترت استعمال كلمة (الإشاعات) من الماضي الرباعي (أشاع) لأن معناه: نقل الإشاعات ونشرها بواسطة أفراد متطوعين أو مُكلَّفين مأمورين، وبالوسائل والأدوات المعروفة لها.. وهو المعهود في الإشاعات.

---

(1) راجع: لسان العرب.. مادو شاع 4 / 378.

(2) راجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (3 / 362) ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.. مصر.. ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني 397.

(3) راجع: المعجم الوسيط الجزء الأول.. مادة: شاع.

الخبيثة: يعني الفاسدة الضارة.. قال الخليل بن أحمد: والخَبيثُ: نعت كل شيء فاسد، خَبيث الطعم وخبيث اللون [1].. ويُقَالُ: شَيْءٌ خَبِيثٌ أَيْ نَجِسٌ أَوْ كَرِيهُ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ حَرَامٍ [2].

وعلى كل حال فالإشاعة هي: أخبار وحكايات يتناقلها الناس، وينشرونها بغير برهان، ولا تثبت من صحتها، ولا معرفة بمصدرها، فيُقال: زعموا كذا، وقيل كذا.

وفي أثناء نقلها وسريانها من شخص إلى آخر تتعرض للتحريف بالزيادة أو بالنقصان سواء كان ذلك بالتضخم أو بالإضافة، وأن هذا التضخيم يتضمن الجوانب الجاذبة فيها.

قال اللواء جمال الدين محمود: الإشاعات: هي أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التثبت من أصلها، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى المُوَّجهة إليهم ، ويُؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية [3].

ويعرفها علماء النفس بأنها: «أخبار مجهولة المصدر غالباً، تقوم على تزييف الحقائق، وتشويه الواقع، وتتسم هذه الأخبار بالأهمية والإثارة والغموض، وتهدف إلى إحداث اضطراب وقلق وشك في صفوف من توجه ضدهم الإشاعة».

وفى موسوعة علم النفس للدكتور عبدالقادر طه ذكر الإشاعة بأنها: خبر أو قصة أو حدث يتناقله الناس بدون تمحيص أو تحقق من صحته ، وغالبا ما يكون غير صحيح ، أو يكون مبالَغًا فيه سواء بالتهويل أم بالتقْليل [4].

---

(1) راجع: معجم العين.. للخليل بن أحمد الفراهيدي 4: 249 ط. دار ومكتبة الهلال.

(2) راجع: المغرب في ترتيب المعرب 1 / 137.. برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ ط. دار الكتاب العربي.

(3) راجع: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية 122 ط. الهيئة المصرية للكتاب.

(4) راجع: الشائعات في عصر المعلومات د. محمد مهدي.. استشاري الطب النفسي.. موجود على الإنترنت.

أنواع الإشاعات [1].

والإشاعات نوعان: حميدة وخبيثة، أو متفائلة ومتشائمة، بمقدار ما تُؤدي إليه من آثار ونتائج، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (النساء:83).

فإذا أدت إلى نتائج طيبة فهي حميدة،(أو هي أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ).. وإذا أدت إلى نتائج غير طيبة فهي خبيثة (أو هي أَمْرٌ مِنَ الْخَوْفِ).. وقد تكون الإشاعة طيبة في ظاهرها لكنها تُؤدي إلى نتائج خبيثة فتكون خبيثة، مثل الإشاعات المفرطة في الأمل والتفاؤل، والقناعة بالحال دون النظر في فساده وبطلانه؛ فتكون نتيجتها الاسترخاء والتباطؤ في استخدام الأسباب، وربما الإهمال في أخذ الحذر، وإهمال النظر في العواقب وهكذا حتى تقع الكارثة، كما يقول الله تعالى في شأن الكافرين: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر:3).

فالأمل بغير عمل مُناسب أمان فارغة، وأحلام كاذبة، ولهْو خادع، يُؤدي إلى الاسترخاء والدعة وعدم أخذ الحذر.

قال أحد الباحثين: والإشاعات الراغبة من ناحية أخرى بما تنطوي عليه من تفاؤل جد ساذج، قد أدت أحيانًا إلى الرضا عن الحال؛ بما يُوهن العزائم، ويتبدى استعداد الناس للاستنامة عند تلقيهم الأخبار السارة من هبوط تبرعات الدم بعد أخبار الانتصارات، فكلما اعتقد الناس في إشاعات النصر الوشيك، أو النهاية القريبة للحرب، كانوا يميلون إلى التلكؤ في الجهود التي يبذلونها، وإلى التقليل من التضحيات التي يُقدمونها [2].

والإشاعات الخبيثة من ناحية قوتها، وقدرتها على التغلغل، وما تتركه خلفها من تأثيرات، تنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة (عنيفة وزاحفة وغائصة).

---

(1) التمثيل لكل نوع سيكون في الآثار المترتبة على الإشاعات.

(2) راجع: الإشاعة. ص 110.. د. أحمد نوفل نقلاً عن كتاب سيكلوجية الإشاعة 28.

النوع الأول: الإشاعة العنيفة.

وهذا النوع من الإشاعات يعتمد على نشر أكذوبة قوية ومخيفة، تدفع فئة ما إلى الغضب والثورة، والاندفاع إلى التدمير أو التخريب، دون أن تتوقف للتفكير في الموقف، ودراسته، وتبين صحته أو كذبه.

ومثالها في مصر أحداث الأمن المركزي، في أواخر ثمانينات القرن العشرين، عندما سرت بين قوات الأمن المركزي إشاعة عنيفة، تقول: إن فترة تجنيدهم ستتضاعف مع أنهم يعيشون ظروفًا معيشيةً صعبة.

وبسبب تمكنها من هؤلاء الجنود انطلقوا بمنتهى العنف، يعلنون رفضهم، واشتعلت الدنيا كلها، وتنحَّى بسببها وزير الداخلية يومئذ من الوزارة.

النوع الثاني: الإشاعة البطيئة أو الزاحفة.

وهذا النوع من أقوى الإشاعات الخبيثة تأثيراً، وأكثرها قدرة على التعمية على الحقائق، وهي تبدأ هادئة بطيئة، ولكنها تمتلك من القوة ما يجعلها تزحف في المجتمعات زحفًا سريعًا، ويكثر تناقلها على الألسنة في سرعة مُخيفة، بحيث تصبح راسخة قوية، وإن لم تستند إلى عقل ومنطق سليم، لكنها بهذه القوة قادرة على دفع الناس إلى تصديقها والاستسلام لها، ورفض ما يُخالفها.

والغرض الرئيس لهذه الإشاعة الزاحفة هو توجيه الفكر والسلوك العام نحو أمر بعينه أو فكرة بذاتها، بحيث تقر في القلوب والنفوس، وتصبح قادرة على تحطيم الروح المعنوية أو سلب الإرادة العامة عندما تحين لحظات مواجهتها.

ونذكر من هذا النوع من الإشاعات الخبيثة التي تغرس اليأس: الإشاعة التتارية القديمة التي قالت: إذا سمعت أن التتار قد انهزموا فلا تُصدق [1].. ومثلها حديثًا:

---

(1) ونتيجة لهذا دبَّ اليأس في مسلمين بغداد، واستسلموا للعدو، وقد حكوا أن رجلًا تتاريًّا أسر مسلماً، وقال له: ضع رأسك على هذا الحجر حتى آتي بالخنجر فأذبحك، وخضع له المسلم!، ولم يسعه أن يبرح مكانه ذاك، ثم أتى التتاري بالخنجر من المدينة وذبحه! (راجع: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار.ص: 156).

الإشاعة اليهودية التي تذكر أن الجيش الإسرائيلي جيش لا يُقهر.. وأن محاربة إسرائيل جنون.. وأن فلسطين أولها فَلَس وآخرها طين.

النوع الثالث: الإشاعة الغاطسة أو الغائصة.

وهي تشبه كثيراً الإشاعة الزاحفة، من حيث بطئها وتغلغلها، ولكنها تختلف عنها في أنها لا تمس قطاعاً حيوياً من المجتمع مسًا دائماً، وإنما تمس أمراً يتعلق بأوقات محدودة، أو مواسم بعينها، بحيث تغوص الإشاعة وتختفي أو ترقد في عقول الناس بقصد أو بغير قصد، نسيانًا أو تجاهلاً، ثم تعود إلى السطح مرة أخرى، عندما يأتي دورها أو موسمها أو تأتى مناسبتها، ثم تظهر وتشيع في مناسبات أو ظروف وأحداث معيَّنة تستدعي شيوعها

مثل الإشاعات التي يُطلقونها ضد المسلمين بأنهم ليسوا أكْفاء للإدارة.. هذه الإشاعة الخبيثة تختفي معظم أيام السنة، ثم تعود إلى الظهور مع مواسم الانتخابات والترشح للمحليات أو للبرلمان أو للنقابات وغيرها.

ومثل الإشاعات التي تتهم المسلمين بالعجز عن الاختراع في الصناعات كلما جاءت مناسبة للحديث عن التقدم الصناعي، أو شراء الآلات من البلاد الصناعية.

ومثل إشاعة: أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم لليهود.. وتظهر هذه الإشاعات كلما استنجد الفلسطينيون بإخوانهم في الدين؛ لدفع العدوان اليهودي.

أقسام الإشاعات.

هذه أهم أنواع الإشاعات كما بينها العلماء، وهذه الأنواع على تعددها قسمين اثنين، منها ما هو سلمي ، ومنها ما هو حربي، وِفْقًا لموضوعها وهدفها.

القسم الأول: الإشاعات السلمية.

والإشاعات في السلم منها: السياسي كالتي تخص الحُكْم ورجاله.. ومنها الاقتصادية كالتي تتعلق بالمال، والأسعار والاستثمار وخطط التنمية الاقتصادية.. ومنها الاجتماعية والأخلاقية كالتي تخص سلوك الناس في مجتمعهم.. وغيرها.

القسم الثاني: الإشاعات الحربية.

والإشاعات في الحرب منها التي تستهدف تهويل أو تهوين القوى الحربية؛ للتأثير على القوة النفسية للطرف المقصود بها سلبًا أو إيجابًا.. ومنها التي تستهدف التأثير على الهوية الثقافية والدينية للطرف المقصود بها سلبًا أو إيجابًا.

والإشاعات في هذيْن القسميْن منها المتفائلة أو المريحة التي تريد إشاعة الاطمئنان والأمل.. ومنها المتشائمة أو المحزنة التي تُشيع الاضطراب والهزيمة النفسية.

والإشاعات في هذيْن القسميْن من حيث حركتها منها: ما هو سريع الانتشار، ومنها ما هو بطيء الشيوع، وفْقًا لخطر الإشاعة، وظروف الحدث الذي تنطلق فيه (كأوقات التوتر والغضب الشعبي)، وقوة الأداة التي تُشيعها.

وإذا كانت الحاجة إلى الإشاعة تستدعي سرعة شيوعها في ظرف أو حدث معين، وخاصة في وقت الحرب أو وقت التوتر، وكانت أدوات الدعاية لها قوية ومتعددة الأدوات والأساليب، كان العمل لنشرها بين الناس أقوى وأسرع.

طرائق تمييز الإشاعة من الحقيقة.

هذا، وقد وضع الباحثون طرائق عديدة؛ لتمْييز الإشاعة من الحقيقة، نذكر منها:

أولا: الإشاعة عادة لا يُعرف لها دليل يُثْبتها، ولا يُعرف مصدرها الأول على الحقيقة، بخلاف الحقيقة، فدليلها قائم، ومصدرها ظاهر.

ثانيا: الإشاعة يتبناها أفراد لهم توجه واحد، مثلا: الإشاعة التي يتبناها الليبراليون ضد الشيوعيين، والشيوعيون ضد الليبراليين، والاثنان ضد أبناء التوجه الإسلامي.. الإسرائيليون ضد العرب والمسلمين عامة.

ثالثا: الإشاعة تكون مستندة إلى كلام. قد يكون تصريحًا لبعض المسئولين، وقد يكون رأيًا أو خبرًا قيل في قناة إعلامية مع أو ضد شخص أو هيئة أو جهة أو دولة، وتتحدث بعمومية مخلة، ولا يستند كل هذا إلى وثائق أو برهان.. بخلاف الحقيقة فهي معروفة المعالم وتستند إلى وقائع ثابتة.

رابعًا: ومن الإشاعات ما يعتمد على حقائق مبتورة، وحوادث لم تذكر كاملة على طريقة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:4) بخلاف الحقيقة فإنها تذكر الخبر كاملاً والحقيقة كاملة.

ولهذا كثيرًا ما تكون الإشاعة مخالفة للعقل ومنطق الأمور، فلو قام الإنسان بتمحيصها لعرف أنها غير منطقية.. بخلاف الحقيقة فيقبلها منطق العقل.

أسباب الإشاعات

وللإشاعات أسباب ــ خفية وظاهرة ــ تدفع إلى إنشائها وإشاعتها.. وقد تكون هذه الأسباب مقصودة ومُتَعمَّدَة، وقد تكون غير مقصودة ولا مُتَعمَّدَة.

وقد يكون إنشاؤها أو ترويجها بسبب سوء التربية، أو أمراض القلوب، كالحقد والحسد وسوء الظن، والانتقام والشماتة، والرغبة في الإساءة بغير رادع من دين أو أخلاق أو قانون، وقد قيل: من أمن العقوبة أساء الأدب.

وقد تكون بسبب إلْف الفضول واللغو، وإشغال الفراغ، واشتهاء الثرثرة والإثارة، وإلف الاشتهار.

وقد تكون بسبب انعدام الثقة بين فئات المجتمع والقمة الحاكمة.. وقد تكون بسبب العجلة والتلهف على معرفة الأخبار، وعدم التأني في تقصي الحقائق.

وقد تكون بسبب استرضاء النفس لدى بعض الناس عند الشعور بالفشل في أمور حياتهم، ونقص في شخصيتهم، ويظنون أنهم يُكملونه بالمشاركة في الإشاعات التي تنتقص أعراض من هم أكبر منهم همة وسبْقًا، وأجل قدرًا ومكانة.

كأن يقولوا: إن تفوقهم في أعمالهم بسبب الرشوة والغش والمداهنات والأَيْمان الكاذبة، وإنه خير لي ما أنا فيه من حال من أن أغتني أو أتفوق على حساب كرامتي ومبادئي ، فهو كما قيل في المثل السائر: قال: حُصرُمًا لما رأى أنه لا يناله.

وهؤلاء في الغالب ضعفاء النفوس، وصغار الهمم.

وقد يكون سبب الإشاعات نسيان تفاصيل الأخبار والأحداث الحقيقية، بسبب ضعف الذاكرة، وطول الزمن؛ فتتعرض الأخبار في الذاكرة للاختزال والنقص، ثم يجري الإنسان تسوية أو طمس أو تشويه أخبار معينة، وإبراز أخبار أخرى.. هذا النقص من جهة، والطمس من جهة أخرى والتركيز من جهة ثالثة سبب من أسباب انطلاق الإشاعة [1].

(1) راجع: الإشاعة.. د. أحمد نوفل 65:62 ط. دار الوفاء.. المنصورة.. مصر.

وقد يكون إنشاؤها وإشاعتها بقصد مُتَعمَّدَ لأجل أهداف معينة، يقصدها مُخْتلقُوها ومُروِّجوها من الأفراد، والدول.

قال الحسن البصري: خرج عندنا رجل في البصرة فقال: لأكذبن كذبة يتحدث بها الوليد، قال الرجل: فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون به [1].

وتبرز الإشاعة وتنتشر دائما في أجواء الجهل والغموض والتوتر الانفعالي، والترقب والتوقع، حيث تضارب الأخبار، وانعدام الأخبار الصحيحة لحقيقة الإشاعة، وينعدم الاستقرار ويشيع فُقْدان الثقة، ويسوء الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وقد قيل: إِذا وَقَعَتِ المَخَاوِيفُ، كَثُرَت الأَراجِيفُ.

وكثيرًا ما يستثمر خصوم الإسلام من المستشرقين وذيولهم من العلمانيين في المجتمع المسلم هذه الأسباب، ويختلقون الشبهات التي تُشوِّه نقاء الإسلام؛ للتأثير على نفوس الناس وتنفيرهم منه، وإبعاد المسلمين عن تطبيقه والحكم به في حياتهم.. أو إبعادهم عن مناطق الحكم والنفوذ وصناعة القرار في المجتمع المسلم.

ﻣﻘﺖ ﻣﻘﺖ ﻣﻘﺖ

(1) راجع: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ل6/ 327، محمد نصر الدين عويضة.

الإشاعات لها أجهزة متخصصة في اختلاقها وإشاعتها

ولأجل آثار وأخطار الإشاعات الخبيثة على الفرد والمجتمع أنشأت الدول أجهزة لمقاومتها في مجتمعها.. ولاختلاقها وترويجها في مجتمعات أعدائها.

وأحيانًا يختلقها ويُروجها الأفراد والأحزاب والجماعات في المجتمع الواحد ضد بعضهم بعضًا، لأسباب شخصية أو سياسية أو اقتصادية تخصَّ كلًا منهم.

وهذا معروف من قديم، ففي قصة قوم ثمود يُبين الله تعالى أن الذي قام بترويج الإشاعات ضد النبي صالح عليه السلام جهاز من كبار قومه، كما نفهمه من قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل: 48).

وهؤلاء الرهط بلغت بهم القسوة أن تآمروا لقتل النبي صالح عليه السلام، ثم يُشيعوا أنهم برآء من قتله، يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل ــ 49:50).

وقد اجتمع كبار المشركين في مكة واتفقوا على اختلاق إشاعات خبيثة عينوها، واتفقوا عليها، وأشاعوها ضد الرسول ^؛ ليصدوا عنه الناس.

قال ابن إسحاق: إنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ... فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدَّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا.. قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ.. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ، قَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ، قَالَ: لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ.. قَالُوا: فَنَقُولُ: مَجْنُونٌ.. قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ.. لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ، فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ، وَلَا تَخَالُجِهِ، وَلَا وَسْوَسَتِهِ.. قَالُوا: فَنَقُولُ: شَاعِرٌ.. قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشِّعْرِ.. قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ.. قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ

رَأَيْنَا السُّحَّارَ وَسِحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ، قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟.. قَالَ: وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً.. وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ.. قال: وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ. فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسُبُلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَّرُوهُ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ [1].

وفي إشاعة الإفك ضد رسول الله ﷺ وزوجته عائشة رضي الله عنها كان القائمون بها عصبة من الناس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:11).. فقوله سبحانه: (عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) يعني جماعة منكم (من العشرة إلى الأربعين)، ويُقال لهم عصبة لاتفاقهم على الإشاعة التي يُروجونها.

قال عروة: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كِبْرَ (زعيم) ذَلِكَ: عبد الله بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ [2].

الأدوات الناقلة للإشاعة.

أمَّا الأدوات الناقلة للإشاعة بين الناس فكثيرة، وهي تتعدد وتتطور من عصر إلى آخر بتطور العلم في أدوات الدعاية والإعلام، فقديمًا كان التخاطب في الجلسات الخاصة والعامة وسيلة وحيدة لنقل الإشاعات وترويجها، ولا تزال هذه الأداة موجودة وقائمة إلى الآن وستبقى هي الأداة الكبرى في نقل الإشاعات وإشاعتها.

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 1/ 337 رقم 268.. ودلائل النبوة للبيهقي 2/ 189.

(2) أخرجه البخاري 4141، ومسلم 2770، وغيرهما.

ثم تطورت أدوات الدعاية والإعلام فأضيف إليها الكتب والرسائل التي تعتمد على النسخ باليد.. ثم تطورت أدوات الكتابة والطباعة تطورًا هائلاً باستخدام الآلات، فأضحت الكتب أكثر عددًا، وأسرع انتشارًا، ثم أضيف إليها المجلات والجرائد والكتب السنوية والفصلية والشهرية والأسبوعية واليومية ونصف اليومية.. ثم تطورت أدوات الدعاية ليُضاف إلى الأدوات السابقة الإذاعة المسموعة ثم الإذاعة المرئية.. وكانت الأخيرتان قاصرتين على قطر من الأقطار الجغرافية، فتطورتا بتطور العلم لتشمل قارات الأرض عن طريق الأقمار الاصطناعية.. ثم تطورت أدوات الدعاية أكثر بتطور العلم فأضيف إليها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت.. والفيس بوك.. والتويتر وغيرها).. هذا، فضلاً عن الهاتف الأرضي والمحمول والمسموع والمرئي والفاكس، وغيرها.

وبهذا وجدت الإشاعات في عصرنا أدوات للدعاية والإعلام أكثر عددًا، وأسرع نقلاً وترويجًا؛ مما جعل الإشاعات أقوى أثرًا؛ حيث أنها تنتشر انتشارًا واسعًا لتشمل الكرة الأرضية كلها في أقصر وقت وبأقل كُلْفة.

وفي بطن العلم أدوات أخرى أقوى وأسرع في الدعاية والإعلام، وسيشف عنها التطور العلمي الذي لا يتوقف في يوم من الأيام.

الأوعية الحاملة للإشاعة.

وللإشاعة أوعية تحملها وتُشيعها، منها: وعاء الخبر والقصة..ومنها: وعاء اللغز الذي يتطلب تفسيرًا يُعرب عن معناه وهدفه.. ومنها: وعاء النكتة التي يُقصد بها في ظاهرها الضحك ويُقصد في باطنها إشاعة موضوعها.. ومنها: وعاء الأمثال السائرة بين الناس.. ومنها: وعاء النشرة الإخبارية والجلسات الحوارية في قنوات الإعلام.. ومنها: وعاء الكتب والمؤلفات المكتوبة، نثرًا وشعرًا.. ومنها: وعاء الغناء ومنها: وعاء الأعمال المسرحية والأفلام السينمائية.. وغيرها.

فكثيرًا ما تحمل هذه الأوعية الإشاعات الخبيثة إلى عدد كبير من الناس في أقطار الأرض، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ» [1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم فيسقط بها أبعد من السماء ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة يضحك بها أصحابه فيسخط الله بها عليه لا يرضى عنه حتى يدخله النار [2].

فمثلاً: وعاء الأمثال التي تشيع بين الناس، وتسير بها الركبان [3]، شاركت في صناعة الإشاعات والرأي العام، منها: (حاميها حراميها). و(الشجرة التي لا تُظل أهلها حلال قطعها). و(الذي له ظهر لا يُضرب على بطنه). (الجدران لها آذان).الخ.

هذه المُثلات ونحوها يُريد الذين يُشيعونها ضد المسئولين: اتهامهم بإهمال حقوق الرعية، وسرقة المال العام وتوزيعه على أنفسهم وذويهم... الخ.

وقالوا في الأمثال: (لا بيرحم ولا بيترك رحمة الله تنزل).. وهذا مثال يُراد به: الإشاعة بأن فلانًا من الناس قاسي القلب على الخلق [4].

وعاء اللُّغْز والنكتة.. فمنها ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ قال يومًا لأصحابه: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟».. فَوَقَعَ

---

(1) أخرجه البخاري 6477، ومسلم 2988، وغيرهما.

(2)حسن.. أخرجه الألباني في صحيح الترغيب 2877، وعزاه لأبي الشيخ بإسناد حسن عن الحسن مرسلاً.

(3) الأمثال مفردها مثل، وهو قول موجز أُطلق في مناسبة معينة (هي مورده)، وكلما حدث مثلها قيل هذا المثل.. وغالبًا ما تكون حِكمًا أفرزتها خبرة الإنسان وتجاربه في الحياة.

(4) ليس في خلق الله من يستطيع منع رحمة الله أو إرسالها، والله تعالى يقول: (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (فاطر:2).. ولهذا يجب عدم ذكر هذا المثل.

النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ الله: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنَا بِهَا؟.. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

قَالَ عَبْدُ الله: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا» [1].

ووجه الشبه الذي أراد النبي ﷺ إشاعته بهذا التمثيل: أن المسلم يجب أن يكون في نفعه للخلْق مثل النخلة في طيب ثمرتها، ودوام ظلها ونفعها في كل أيام السنة.. فحين تطيب ثمرها تُؤكل رُطبًا، وحين تيبس تُتخذ طعامًا.. وفي خشبها وورقها وأغصانها منافع.. فهي منافع كلها، وهكذا يجب أن يكون المؤمن في نفعه للخلْق.

ومن هذا القبيل ما أشاعه المصريون في وقت من أوقات الضيق المالي الذي ألمَّ بهم أن مصريًّا اصطاد سمكة من البحر، ثم رجع إلى زوجته وطلب منها أن تقليها بالزيت.. فقالت: لا يُوجد في البيت زيت ، فقال لها: اشويها على لهب الوقود، فقالت: لا يُوجد وقود (أي غاز)، فقال لها: احفظيها في الثلاجة حتى يتيسر الأمر، فقالت: لا يُوجد كهرباء، والثلاجة عطلانة، فاستشاط المسكين غضبًا، وأخذ السمكة، ورمى بها في البحر الذي اصطادها منه، فغاصت السمكة في الماء، ثم رفعت رأسها مُبْتهجة، وقالت: تحيا جمهورية مصر العربية!.

هذا اللغز يُراد به إشاعة اتهام الحكومة بالإهمال ، حتى تركت حقوق الرعية حتى اشتدت بهم الأزمات المعيشية، واشتد بهم الفقر والعوز، حتى لم يجد أحدهم زيتًا ولا وقودًا لشي سمكة، ولا كهرباء ولا ثلاجة صحيحة لحفظها.

وفي أثناء الاعتداء الصليبي على العراق (عام 2003م) طعن جنديٌ أمريكي مسلمًا عراقيًا بخنجر بندقيته فمات أمام بَنيه، فقاضت الأسرة وزير الدفاع الأمريكي وقتئذ (دونالد را مسيفلد) فقال له القاضي: لماذا قام جنودك بطعن المواطن العراقي

(1) أخرجه البخاري 131، ومسلم 2811، وغيرهما.

بالخنجر؟.. فقال الوزير: لأن جنودي حريصون على ترشيد الإنفاق، والمواطن العراقي لا يستحق ثمن رصاصة.

كلام الوزير المذكور يُريد الإشاعة بأن المواطن المسلم لدى أعدائه ليس له قيمة، ويجب قتله بأرخص تكاليف القتل.. وهذا مترسخ في شخصية العدو.

وأراد أحد الجنود الصليبيين الأمريكيين أن يغتصب مسلمة عراقية في سجن (أبو غريب) العراقي فقالت له بإباء وشَمَم: لن أعطيك ما تريده حتى لو أفرغت في جسدي كل رصاصاتك ، لأن شرف البنت المسلمة مثل عود الكبريت، لا يولع (يشتعل) إلا مرة واحدة، ولزوجها فقط.

فقال لها الجندي الصليبي: مُتخلفون أنتم، ما زلتم في عصر الكبريت، أمَّا البنت الأمريكية فشرفها مثل الولاعة، يُولع آلاف المرات!.

هذه النكتة تُعرب عن الشائع والمغروس في المجتمع المسلم من أخلاق العفاف عند المسلم، بخلاف ما عند أعدائه من أخلاق التحلل من العفة [1].

وعاء الكتب والرسائل والرسوم في إشاعة الإشاعات الخبيثة فكثيرة، حتى طال رسولَ الله ﷺ كثير منها.. مثل ما ذكرناه من النكت السابقة، فقد ذكرتها جريدة الشعب المصرية، كما بيناه في الهامش السابق.

وكم من كتب انتشرت تحمل شبهات وإشاعات خبيثة، تطعن في الإسلام والرسول ﷺ، مثل ما يكتبه المستشرقون والمبشرون ضد الإسلام من شبهات، ورد عليهم علماء الإسلام في مئات الكُتب والرسائل.

ومثل ما أشاعه المستهزئون بأهل العلم الإسلامي من إشاعات خبيثة تتهمهم وتنتقصهم، مثل قول أحد المسئولين مرة: الواحد مهم تأكَّله فرخة يُعطيك فتوى!.

---

(1) راجع: جريدة الشعب المصرية، عدد 81، في الجمعة 16/ 10/ 1434هـ = 23 / 8 / 2013م.. وراجع في هذا الأمر: كيف يسخر المصريون من حكامهم لعادل حمودة.

ورسم أحد الشيوعيين مفتي الديار المصرية، الشيخ محمد حسنين مخلوف رسمًا كاريكاتوريًا هزليًا، وذكر أنه الشيخ متلوف.. ورسم أحدهم شيخنا محمد الغزالي رحمه الله أربعة عشر رسمًا كاريكاتوريًا هزليًا للسخرية منه، تحت عنوان: (تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية) كان أحدها: رسمًا يركب فيه الغزالي حمارًا ووجهه إلى خلف الحمار، وعمامته ساقطة على الأرض، ومكتوب تحته أبو زيد الغزالي سلامة.. ونحو هذا كثير [1].

ﷺ ﷺ ﷺ

(1) راجع: الشيخ الغزالي كما عرفته 52 د. يوسف القرضاوي.. ط. دار الشروق.. وفي عامها (1962م).

وقال الغزالي في المؤتمر الوطني: إن تحت هذه العمامة رأس مُفكر، كان يُحارب الظلم والإقطاع، أيام أن كان هذا الكاتب وأمثاله قوادًا لفاروق (راجع: الشيخ الغزالي ومعركة المصحف 79).

الأضرار المُتَوقعة للإشاعات الخبيثة

وكما أن للإشاعات المتفائلة والمُحبَّبة آثارًا طيبة على المجتمع فإن للإشاعات الخبيثة أضرارًا خطيرة على الفرد والأسرة والدولة كأضرار الطاعون الخبيث!.

ونذكر هنا شيئًا من أضرارها على الفرد والدولة والدين:

1 ــ غرس وإشاعة ثقافة الكذب والبهتان في المجتمع. فإن تتابُع الإشاعات الخبيثة على الألسنة يُروِّض الناس على الكذب والبهتان حتى يعتادوه، ويُصبح ثقافة وخُلُقًا لهم؛ مما يُنذر بخطر كبير على المجتمع.. فالإنسان الكذوب يعتاد البهتان ويُشيع الخصومات، ولا يقوم بواجبه في عمارة البلاد، لأن الكذوب كثيرًا ما يكون سارقًا أو مُختلسًا، ولهذا يقرن الله تعالى أكل السحت بالكذب كما في قوله سبحانه: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)(المائدة: 42).

ومن ثَـمَّ يُحرِّم النبي ﷺ الكذب والافتراء، والغيبة والبهتان أشد التحريم، كما جاء عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ يقول: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» [1].

2 ــ تشويه نقاء المبادئ والثقافة الإصلاحية، والتعاليم الدينية لتنفير الناس منها، وصدهم عنها، كما نرى في الشبهات التي يُشيعها خصوم الإسلام لتشويه صفاء الإسلام ونقائه، وصد الناس عنه، مثل إشاعة الطعن في صدق نبوة النبي محمد ﷺ، والطعن في إلهية القرآن الكريم، والطعن في عدالة تعاليم الشريعة الإسلامية ونحوها من الشبهات والإشاعات الخبيثة، وقد ردها علماء الإسلام وصححوها [2].

---

(1) صحيح.. أخرجه مسلم 2607، والترمذي 1971، وابن ماجة 3849، وغيرهم عن ابن مسعود ﷺ.

(2) منها: كتاب وزارة الأوقاف المصرية: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، وغيره.

مثل: إشاعة المنافقين في غزوة الأحزاب: التشكيك في صدق الرسول ﷺ، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب:12).

3 ــ تلويث شخصية البرآء من المؤمنين، ولاسيما الدعاة إلى الإسلام، وتشويه سيرتهم ومسيرتهم، لتشيع كراهيتهم في الصدور.. وكثيرًا ما يكون بقصد تنفير الناس منهم، وإبعادهم عن الانتفاع بعلمهم، أو يكون بقصد الطعن في المبادئ التي يحملونها،أو في الدين الذي يعتنقونه، ويدعون الناس إليه، وتكون نتيجته إبعاد الناس عن الإسلام نفسه، مثلما اختلق الكافرون إشاعاتهم الخبيثة وأشاعوها ضد الأنبياء والمرسلين للإضرار بهم في تلويث سمعتهم وسيرتهم، وتنفير الناس منهم، مثل السحر والكهانة والجنون.. يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذريات: 52).

4 ــ ومن أضرار الإشاعات الخبيثة: الضرر النفسي والجسدي.. فكثيرًا ما كان النبي ﷺ يحزن لما يسمعه من إشاعات المشركين والمنافقين ضده، وكان الله تعالى يُثبته ويُخفف عنه بين حين وآخر، كما في قوله سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:33).

ويقص الله تعالى على رسوله ^ قصص الأنبياء عليهم السلام من قبله، وما لاقوه من شدائد، ليُثبت فؤاده، ويُعينه على تحمل الشدائد والإشاعات الخبيثة، كما يقول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود:120).

وحينما ابتُلي رسول الله ﷺ وامرأته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بإشاعة الإفك آذته ﷺ وآذتها إيذاءً شديدًا، كما أوذي أبويْها، بل كادت هذه الإشاعة الخبيثة أن تفتك ببنيان الأسرة ، قالت: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي.. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ الله، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟.. قَالَتْ:

فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُـمَّ أَصْـبَحْتُ أَبْكِي.. فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي [1].

وأصدر قادة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي القديم في موسكو وثيقة عمـل لمحاربـة الإسلام، وكان مـن بنودهـا: تشـويه سُـمْعة علمـاء الإسـلام والحكـام المتـدينين، بالأكاذيـب والإشـاعات الخبيثـة، واتهـامهم بالعمالـة للاسـتعمار والرأسماليـة والصهيونية؛ لتنفير الناس منهم، وللتنفير مـن الإسـلام الـذي يحملونـه، ويـدعون إليه.

ولهذا عرفنا في عالمنا العربي والإسـلامي إشـاعات خبيثـة تـتهم العلمـاء ورجـال القضاء الشرعي في أخلاقهم بالسوء، كإشاعة اتهام الشيخ (فيل) والشيخ (سـيف) في عفتهما، وهما من رجال القضاء الشرعي؛ حتـى هيئـوا العامـة مـن المسـلمين لقبول إلغاء القضاء الشـرعي الإسـلامي..ثم ظهـرت الحقيقـة الأليمـة، وظهـر أن الإشاعات الخبيثة كانت زورًا وبهتانًا، لأجل إلغاء القضاء الشرعي.

ومثل اتهام علماء الإسلام بأنهم يُفصلون الفتاوى الشرعية على مقـاس الطـالبين لأجل وجبة طعام!!، أو بتعبير أحد الحاكمين العرب: (الشيخ مـن دول يرقـع وزه ويروح فاقع فتوى)! [2].

وفي هذه الموجة من تاريخنا استحضر الشيوعيون في مصر أمثلة قديمة سـاخرة تحـط من قدر علماء الإسلام وأشاعوها، وأكثروا من استخدامها، مثل: (شـد العمـة يـا أستاذ تحت العمة باجور الجاز).. وقولهم: (شد العمة شد تحت العمة قرد).

---

(1) راجع: مغازي الواقدي 2/ 433 .. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة 2/ 267 .

(2) راجع: الإسلام في عين الخطر 206 للأستاذ أنور الجندي ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

والمعروف أن الذي يلبس العمامة الأزهرية هم علماء الأزهر المعروفون برعاية الإسلام، والعامة يعرفون إسلامهم عن طريق السماع منهم في حلقات الوعظ، والفتوى.. فإذا أصبح شيخهم (باجور جاز).. أو (قرد)، أو كل همه وجبة طعام، فرخة أو غيرها؛ ويعطي من يُطعمه الفتوى الذي يُريد.

فكيف يجلس المسلمون إليه ويسمعونه له، ويأخذون إسلامهم منه، والهدف من استحضار هذه الأمثلة والإكثار من ترديدها هو: إبْعاد المسلمين عن أداة معرفتهم بإسلامهم؛ مما يترتب عليه جهلهم بالإسلام؛ ليكونوا بعد ذلك فريسة للفكر الجاهلي الوافد (علماني.. مسيحي..يهودي.. وثني... الخ) وهذا تطبيق مُبكِّر لسياسة تجفيف منابع الإسلام في بلاده، لأجل تجهيل المسلمين بإسلامهم، ليتيسر تضليلهم، ثم إخراجهم منه فيما بعد إن أمكن!.

وبهذا يتحقق لليهود ما خططوا له من قديم، قالوا في تخطيطهم للسيطرة على العالم الإنساني:

وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين (clergy) من الأممين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئوداً في طريقنا.. وان نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يومًا فيومًا.

اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدداً انهياراً تاماً، وسيبقى ما هو أيْسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى (الإسلام)، على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جداً لأوانه.

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها [1].

5 ــ تمزيق الصف المتلاحم، وغرس الشقاق بين أبنائه، وقطع الروابط الأخلاقية والرَّحِمِية بينهم، وتفتيت قواهم المعنوية، بما يحملهم على الخذلان وتولية الأدبار.

* ــ مثلما حدث للمؤمنين في غزوة أحد، حيث أشاع كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في جيش المؤمنين إشاعة خبيثة، قال: «ما ندري علام نقتل أنفسنا أيها الناس ههنا؟».. فدبت الفرقة في الجيش الواحد، وانقسم إلى فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تقول: نُقاتلهم وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ.. ورجع مع هذا المنافق ثلث الجيش!.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ ا بْنُ أُبَيٍّ ابن سَلُولَ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ.

وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، يَقُولُ: يَا قَوْمِ، أذكِّركم الله أَلَّا تَخْذُلُوا قومكم ونبيّكم عِنْد مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ.. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: أَبْعَدَكُمْ الله أَعْدَاءَ الله، فَسَيُغْنِي الله عَنْكُمْ نَبِيَّهُ [2].

---

(1) راجع: الخطر اليهودي.. بروتوكولات صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي بروتوكول 17، ص 228.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 8، 9، والصالحي في سبل الهدى والرشاد 4 / 280، 281، وغيرهما.

يقول الله تعالى مُعاتبًا المؤمنين: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(النساء:88).

* ــ ومثلما حدث للمؤمنين في ذات الغزوة بسبب إشاعة مقتل رسول الله ﷺ، حيث أشاع ابن قمئة أنه قتل الرسول ﷺ، وأشاع المشركون تلك الإشاعة بين المؤمنين، حتى اختلط أمرهم، ولم يعرفوا كيف يُقاتلون، فمنهم من صعد جبل أحُد، ومنهم رجع إلى المدينة، ومنهم من ثبت وقاتل، وقال: نُقاتل عن دين الله تعالى ، والله تعالى حي لا يموت [1].

وفي هذه الواقعة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: 166 ، 167).

* ــ ومثلما حدث للمؤمنين بسبب إشاعة الإفك، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ

(1) خبر الإشاعة ورد كاملاً في فقرة: الإشاعات الخبيثة.... شيء من التاريخ.

عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ.. وَكَانَ قَبْلَ ذٰلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلٰكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ.. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ .. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ [1].

* ــ ومثلما حدث للمؤمنين في معركة (بلاط الشهداء) المعروفة في التاريخ الأندلسي ، حيث كانت المعركة دائرة، وقد لاح النصر للمؤمنين، فدس العدو في صفوف المؤمنين إشاعة خبيثة: بأن معسكر الغنائم سوف يقع في يد العدو، فارتدت على الفور قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم، حتى دب الخلل في صفوف المسلمين.

وحاول قائد الجيش (عبد الرحمن الغافقي) أن يعيد النظام إلى جيشه فلم يُفلح، وبينما هو يتنقل أمام الصفوف، أصابه سهم فارتفع إلى ربه شهيدًا ، وعم الذعر والاضطراب في الجيش، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين، وكثر القتل في صفوفهم.. ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل، وافترق الجيشان دون فصل[2].

6 ــ زعزعة الثقة في المؤمنين، وفي إمكانها إحراز الهدف المنشود، وغرس اليأس في نفوسهم، وبث الرعب في مجتمعهم بما يُضعف قواهم، ويجعلهم يكفون عن العمل، أو يحجمون عن الاستمرار فيه؛ مما يترتب عليه استسلامهم لما يقع من ضعف وهزيمة، ومثال ذلك: يهود المدينة حينما علموا أن المؤمنين يُعدون عدتهم لغزو يهود خيبر شرعوا يُخذلونهم عنه، ويُزعزعون ثقتهم في قوتهم الذاتية وفي قدرتهم على إحراز النصر على يهود خيبر.

---

(1) صحيح.. أخرجه الشيخان..سيأتي تخريجه في الفقرة التاريخية الآتية.

(2) وكان ذلك في 21/ 10 / 732 م (رمضان 114 هـ).. راجع: دولة الإسلام في الأندلس 1/ 100 ط. الخانجي

قال الواقدي: كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِ يَقُولُونَ حِينَ تَجَهّزَ النّبِيّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ: مَا أَمْنَعُ وَاَللهِ خَيْبَرَ مِنْكُمْ! لَوْ رَأَيْتُمْ خَيْبَرَ وَحُصُونَهَا وَرِجَالَهَا لَرَجَعْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَصَلّوا إِلَيْهِمْ، حُصُونٌ شَامِخَاتٌ فِي ذُرَا الْجِبَالِ، وَالْمَاءُ فِيهَا وَاتِنٌ (متوفر)، إنّ بِخَيْبَرَ لِأَلْفِ دَارِعٍ، مَا كَانَتْ أَسَدٌ وَغَطْفَان يَمْتَنِعُونَ مِنْ الْعَرَبِ قَاطِبَةً إلّا بِهِمْ، فَأَنْتُمْ تُطِيقُونَ خَيْبَرَ؟.. فَجَعَلُوا يُوحَونَ بِذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِ النّبِيّ ^.

وكان أَصْحَابُ النّبِيّ ^ يُقابلون هذا التخذيل بالثقة في وعد الله لهم بالنصر كلما عملوا له، ويقولون لهم: قَدْ وَعَدَهَا اللهُ نَبِيّهُ أَنْ يَغْنَمَهُ إيّاهَ

وقال أبو الشحم اليهودي لأحد الصحابة: تَحْسِبُ أَنّ قِتَالَ خَيْبَرَ مِثْلُ مَا تَلْقَوْنَهُ مِنْ الْأَعْرَابِ؟.. فِيهَا والتوراة عشرة آلاف مقاتل [1].

* ــ ومثلما أشاع التتار بين المؤمنين اليأس من مقاومته، فقالوا: إذا سمعت أن التتار قد انهزموا فلا تُصدق.. وأشاعوا بين المؤمنين عن طريق قوافل التجار أن جنوده من شدتهم وقسوتهم يأكلون الثعالب والكلاب [2].

وأرسل قائد التتار الأعظم (هولاكو) رسالة تيئيسية إلى حاكم مصر يومئذ القائد المُظفر (قطز) قال فيها: من ملك الْمُلُوك شرقاً وغرباً .. لكم بِجَمِيعِ الْبِلَاد مُعْتَبر، وَعَن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وَأَسْلمُوا إِلَيْنَا أَمركُم، قبل أَن ينْكَشف الغطاء، فتندموا وَيعود عَلَيْكُم الْخَطَأ، فَنحْن مَا نرحم من بَكَى، وَلَا نرق لمن شكى، وَقد سَمِعْتُمْ أننا قد فتحنا الْبِلَاد، وَطَهَّرْنَا الْأَرْض من الْفساد، وقتلنا مُعظم العباد، فَعَلَيْكُم بالهرب، وعلينا بِالطَّلَبِ، فَأَي أَرض تأويكم، وَأي طَرِيق تنجيكم، وَأي بِلَاد تحميكم، فَمَا من سُيُوفنَا خلاص، وَلَا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لَا تمنع، والعساكر لقتالنا لَا تَنْفَع، ودعاؤكم علينا لَا يسمع ... فَمن طلب حربنا نَدم، وَمن قصد أماننا سلم، فَإِن أَنْتُم

(1) راجع: مغازي الواقدي 2/ 637، 635.. وكتابنا: حتمية زوال إسرائيل 24 ط. مركز الإعلام العربي.

(2) راجع: الإشاعة د. أحمد نوفل ط. دار الوفاء عن مقدمة صلاح نصر لترجمة سيكولوجية الإشاعة 9.

لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم مَا لنا وَعَلَيْكُم مَا علينا، وَإِن خالفتم هلكتم، فَلَا تهلكوا نفوسكم بِأَيْدِيكُمْ، فقد حذر من أنذر [1].

أراد (هولاكو) بهذا الخطاب: أن يُشيع اليأس في نفوس المؤمنين من مقاومتهم، لكن القائد المصري رفض هذه الإشاعة الخبيثة، وقتل حاملها، وسار بالجيش الإسلامي وقاتل التتار، وهزمهم في عين جالوت (عام 658م).

وهذا مثل الإشاعة اليهودية الخبيثة التي عمل اليهود لإشاعتها في عصرنا: بأن الجيش اليهودي لا يُقْهر، وجنودهم لا تُهزم.. وأن العرب قوم لا يقرءون، وإذا قرءوا لا يتعلمون، وإذا تعلموا لا يعملون!!.

* ــ ومثل الإشاعة التي روجها اليهود في حرب حزيران (يونيو) 1967م.. قال الرائد كامل أحمد: أثناء تقدم العدو باتجاه القدس العربية وقُرَاها قام عملاء العدو ببث إشاعة خبيثة مُفادها: أن الجيش الإسرائيلي يقوم بذبح الشباب، وقتلهم في كل مكان يدخله، وقد تناقلت الجماهير هذه الإشاعة على حسن نية، مدفوعة بالحرص على شبابها، وحدثت الكارثة بنزوح ما لا يقل عن مائة ألف شاب من الضفة الغربية، ثم تبين فيما بعد أنها إشاعة كاذبة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وكان هدف العدو من ورائها تفريغ المناطق التي يتقدم لاحتلالها من سكانها الشباب [2].

7 ــ ومن الأضرار المُتوقعة للإشاعات الخبيثة: إبعاد القوى الأخرى عن معاونة المؤمنين ونصرتهم، مثل: الإشاعة التي روَّجها المنافقون في غزوة أحد، بأنه ليس هناك سبب للقتال، يقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

(1) راجع: السلوك لمعرفة دول الملوك 1/ 514، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) راجع: الاستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها ص 70، 71، كامل أحمد.. دار فلسطين المحتلة لعام 1401، 1981م.. الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي 269: 272 د. أحمد نوفل.. دار النفائس بيروت.

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران:167) .. ورجع معه أتباعه ومن تبعهم.. وبذلك فقد المؤمنون ثلث الجيش.

* ــ ومثل الإشاعة اليهودية الخبيثة التي أشاعها اليهود بين المسلمين: بأن الفلسطينيين باعوا أرضهم لليهود، وسكروا بها في أحضان اليهوديات.. وصدَّق عدد من المؤمنين هذه الإشاعة الخاطئة، وتخاذلوا عن نُصرة إخوانهم.

8 ــ إرباك وسائل الإعلام لدى الطرف الآخر؛ لإيجاد الاضطراب في الأخبار والرؤى؛ مما يُؤدي إلى زعزعة الثقة فيه، لأجل طمس الحقائق حتى لا يتمكن من الاهتداء إليها والانتفاع بها.

فمثلاً: ينشر الأعداء خبرًا يُوهمون به المؤمنين أن المجاهدين انتصروا عليهم، واعتنق الأعداء دين الإسلام، فيذيعه المؤمنون في وسائلهم الإعلامية، ثم يُكذبِّ الأعداء ذات الخبر بعد ذلك ويُفندونه بالأدلة والوقائع؛ وبالتالي تهبط قيمة الأخبار التي تُذيعها سائل الإعلام لدى المسلمين، وتتزعزع الثقة فيها، وربما دفع ذلك بعض المسلمين إلى الإعراض عن سماع وسائل الإعلام الوطنية، ويتجهون إلى سماع وسائل إعلام الأعداء؛ مما يُتيح للأعداء بعد ذلك اختراق المجتمع الإسلامي.

ولا زلت أذكر: في وقت كان الناس في مصر يُباهون بأنهم يأخذون أخبارهم من الإذاعات الأجنبية، كإذاعة لندن (ب. ب. س.. ومونت كارلو) مما دعا الحكومة المصرية في عصر الرئيس الشهيد محمد أنور السادات رحمه الله أن تكتب الإعلانات في محطات السفر في مصر للتحذير من سماع الإذاعات الأجنبية، وقد قرأتها بنفسي على مدخل محطة القطار بمدينتي (المحلة الكبرى).

9 ــ وأحيانًا يُشيع الأعداء إشاعة متفائلة في ظاهرها، لكنها في باطنها خبيثة؛ حيث يقصد الأعداء بها دفع المؤمنين إلى الغفلة عن موضع الضرر والخطر، والاسترخاء وإهمال أخذ الحيطة والحذر حتى يُفاجئوهم بما لم يكونوا يحتسبون.

* ــ ومن ذلك الإشاعة الخبيثة التي طارت بين المؤمنين من مهاجري الحبشة بأن المشركين في مكة قد أسلموا؛ فرجعوا إلى مكة، ليجدوا أن الأمر كان إشاعة خبيثة لأجل الإمساك بهم بغير تكاليف.. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، إِسْلَامُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا لَمَّا بَلَغَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ، بَلَغَهُمْ أَنَّ مَا كَانُوا تَحَدَّثُوا بِهِ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ بَاطِلًا، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِجِوَارٍ أَو مستخفيًا [1].

* ــ وفي عصرنا نسمع في قنوات الإعلام أن الإسلام ينتشر بسرعة البرق في البلاد غير الإسلامية، أكثر من غيره؛ فيفرح المسلمون لهذا، ويخلدون إلى الراحة والكسل، ولا يعملون لنشر دينهم في الأرض.. وكثيرًا ما تكون هذه الإشاعات خبيثة من عمل المُنصِّرين، لأجل تغفيل المسلمين عن نشر إسلامهم، وعن نُصرة إخوانهم المسلمين المنكوبين، حتى يُفاجئوا بما لم يكن في حسابهم.

10ــ دفْع أحد الأطراف ليذيع الأخبار الصحيحة التي يُخفيها لأسباب عنده، وبالتالي يكشف أسرار الدولة التي يجب إخفاؤها؛ فيعرفها الطرف الآخر، وينتفع بها لتحقيق هدفه، ومثال ذلك: أن يُشيع الأعداء أخبارًا كاذبة عن خسائر ألحقوها بالدولة الإسلامية؛ فيضطر قادة هذه الدولة الإسلامية أن يُذيعوا لشعوبهم حقيقة الخبر؛ ليُكذِّبوا الأعداء؛ وبالتالي يُقدمون لأعدائهم المعلومات السرية التي يُريدونها.

وهنا يظهر وعي القادة المؤمنين، ووعي الشعوب المؤمنة، فكل منهما يتفهم دور الآخر في موقعه؛ بما يُفوت على الأعداء كشف أسرار الدولة ومعرفتها.

ولهذا كله يُؤكد الباحثون: أن الإشاعات الخبيثة تُعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص.. فإذا كان في دنيا النبات طفيليات تلتفُّ حول النبتة

(1) راجع: الروض الأنف 3 / 205 .

الصالحة، لتفسد نموّها، فإن ضرر الإشاعات الخبيثة أشدُّ وأنكى، لما تقوم به من خلخلة البُنَى التحتية للمجتمع، وتقويض أركانه، وتصديع بنيانه، فكم تجنّت على أبرياء، وأشعلت نار الفتنة بين الأصفياء، وكم نالت من علماء وعظماء ، وتسبّبت في جرائم، وكم هزمت من جيوش، وكم أسقطت من عروش، ولهذا قيل: الأَرَاجِيفُ مَلاَقِيحُ الفِتِنِ.. أي تُنتج الفتن وتُشيعها بين الناس.

الإشاعات الخبيثة.. شيء من التاريخ

ولهذا كله استخدم الناس من قديم الإشاعات الخبيثة سلاحًا يوجهونه ضد بعضهم في حالة السلم، وفي حالة الحرب الباردة والساخنة.

الإشاعات في السلم وفي الحرب.

ففي حالة السلم والحرب لا تخلو حياة الناس من إشاعات طيبة أو خبيثة.

1 ــ ففي القديم.. وجدنا الكافرين يُرسلون الإشاعات الخبيثة ضد الأنبياء عليهم السلام بقصد صد الناس عن الإيمان بهم، وكان أهمها: إشاعة اتهامهم بالسحر والجنون، والكذب، والدعوة إلى الدين للوصول إلى الُحكم.. الخ... وكلها إشاعات تتكرر ولا تتغير، مع اختلاف الزمان وتغاير المكان، كما يقول الله تعالى: **(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)** (الذريات: 52،53).

ومعنى الاستفهام في قوله سبحانه: (أَتَوَاصَوْا بِهِ) أي هل وصى بعضهم بعضًا بهذه الإشاعات الخبيثة؟.. فكان الجواب الإلهي: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) يعني أنهم لم يُوص بعضهم بعضًا، لأن الزمان بينهما بعيد، ولم يلتق اللاحق منهما بالسابق، لكن طبائع الجاهلية وأخلاقها واحدة، تتكرر ولا تتغير، ولهذا تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ وأخلاقهم وأكاذيبهم وإشاعاتهم الخبيثة، فَقَالَ مُتَأَخِّرُهُمْ كَمَا قَالَ مُتَقَدِّمُهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيملة لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ الله كَمَا تَقُولُ، فَقُلْ لِلَّهِ فَلْيُكَلمْنا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَأَنْزَلَ الله فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: **(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** (البقرة:118).

* ــ النبي نوح عليه السلام أشاع عنه قومه بأنه كذاب وضال ومجنون، ونفي عليه السلام هذه الإشاعات عن نفسه نفيًا مُقترنًا بعفة لسانه.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف ــ 59: 61).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون: 23 ، 25).

وقولهم: (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) إشاعة تتهم نبي الله نوح عليه السلام بأنه يستخدم الدعوة إلى توحيد الله تعالى للوصول إلى الملك والحكم.. (إشاعة قديمة جديدة).

* ــ والنبي هود عليه السلام لقي من قومه مثلما لقي نوح عليه السلام من قومه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف ــ 65: 67).. والسفه ضآلة في التفكير، والمراد هنا: الجنون.

* ــ والنبي شعيب عليه السلام أُشيع ضده مثل هذا، يقول الله تعالى: (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)(الشعراء: 185 ، 186).

* ــ والنبي موسى عليه السلام أشاع فرعون ضده مثل هذه الإشاعات الخبيثة المتناقضة، ولاسيما بعدما رأي سحرته قد آمنوا به، ووجد نفسه ضعيفًا، فاستثمر جهالة شعبه، وتوقف عقولهم عن التفكير في عقيدتهم الموروثة؛ فاستخف بهم،

وأشاع فيهم الإشاعات الخبيثة ضد موسى عليه السلام؛ ليقلب الحق باطلاً.. ومن هذه الإشاعات:

1 ــ موسى عليه السلام ساحر عليم.. يُريد بالدعوة إلى توحيد الله تعالى إخراج الشعب المصري من أرضه، يقول الله تعالى على لسان فرعون لقومه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء:34، 35).

2 ــ موسى عليه السلام مُفْسد، يُظهر في الأرض الفساد، حيث يُريد أن يُبدِّل عقيدة الشعب المصري من الوثنية إلى التوحيد، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: 26).

3 ــ موسى عليه السلام يريد بالدعوة إلى التوحيد الوصول إلى الحكم لنفسه ولقومه، يقول الله تعالى على لسان قوم فرعون: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: 24).

ويقول سبحانه على لسان قوم فرعون: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:78).

قال كبار علماء الأزهر: قال قوم فرعون لموسى: أجئتنا بدعوى الرسالة عن الله، لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة فرعون وسائر المعبودات التي ورثناها عنهم (كعبادة الشمس... الخ)، لكي نعبد إلهك الذي طلبت أن نعبده وحده، ولكى تكون لك ولأخيك الكبرياءُ والعظمة في الأرض، بتولي الملك والرياسة علينا؟! [1].

(1) راجع: التفسير الوسيط، لكبار علماء الأزهر، ط. مجمع البحوث الإسلامية 4/ 124، 125.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ): أي السلطان والسيطرة والحكم في الأرض وهي أرض مصر؛ وعبر عن الحكم والسلطان بالكبرياء؛ لأن المصريين كانوا لَا يفهمون في الحكم إلا الاستعلاء والتحكم والاستكبار، وأن تكون طبقة الحاكمين العالية وطبقة المحكومين المرذولين، وعبادة المحكوم للحاكم.

ثم أكدوا كفرهم بالحق لما جاءهم، فقالوا: (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) نفوْا عن أنفسهم صفة الإيمان نفْيًا مُؤكدًا [1].

4 ــ موسى عليه السلام أصابه جنون.. إشاعة خبيثة أشاعها قوم فرعون عن موسى عليه السلام، يقول الله تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) (المؤمنون: 24، 25).

5 ــ ويُواصل فرعون إشاعاته الخبيثة ضد النبي موسى عليه السلام، فيُشيع أنه (مَهِينٌ).. وهذه إشاعة خبيثة، فقد كان موسى عليه السلام مُهابًا مُوقَّرًا في شعبه وبين المصريين.

6 ــ ويُشيع فرعون أن موسى عليه السلام في لسانه حبْسة: (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ).

وهذه إشاعة خبيثة، فموسى عليه السلام عافاه الله من الحبْسة التي كانت في لسانه بعدما دعا الله تعالى أن يرفعها عنه، قال: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه: 27، 28).. وقد أجاب الله دعاءه، كما يقول سبحانه: (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)(طه:36).. وأصبح فصيح اللسان، حسن البيان، وحاور فرعون، وفهم فرعون حواره، كما في سورة طه.

(1) راجع: زهرة التفاسير 7 / 3621.

وفي الإشاعتيْن الأخيرتيْن يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: 51 ، 52).

بهذه الإشاعات الخبيثة استطاع فرعون أن يستخف بقومه، ويعزلهم عن سبيل الوعي والمعرفة بالرسالة الجديدة؛ فصدقوه واتبعوه، كما يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:54).

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْمَعْنَى فَاسْتَجْهَلَ قَوْمَهُ (فَأَطاعُوهُ)؛ لِخِفَّةِ أَحْلَامِهِمْ، وَقِلَّةِ عُقُولِهِمْ، يُقَالُ: اسْتَخَفَّهُ أَيْ حَمَلَهُ عَلَى الْجَهْلِ [1].. (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ).

وبهذا استطاع فرعون أن يستخف بأبناء قومه، ويطلب منهم إذْنًا ليقتل موسى عليه السلام، ويُزيل الإفساد من مصر!، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: 26).

ويبدو من سياق سورة الأعراف أن الملأ المنتفعين بوجود فرعون حينما رأوا ظهور موسى عليه السلام على السحرة، وإيمان السحرة به، وعدم اكتراثهم بوعيد فرعون أمام الشعب، وأن فرعون لَمْ يَتَعَرَّضْ لِمُوسَى [2] وَلَا أَخَذَهُ وَلَا حَبَسَهُ، بَلْ خَلَّى سَبِيلَهُ؛ فخافوا أن يطول الوقت على بقاء موسى عليه السلام والمؤمنين معه أكثر مما طال؛ فيُفيق الشعب من غفلته، ويُفكر فيما قيل له من الإشاعات الخبيثة، ويكشف جريمة الاستخفاف به، ويؤمن بموسى ودعوته كما آمن السحرة، ويذهب فرعون وملؤه؛ فحرضوا فرعون على استخدام القوة

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي 19 / 62 تحقيق د. عبد الله التركي.

(2) راجع: التفسير الكبير للرازي 14/ 219، ط. دار الفكر.. لم يتعرض موسى وهارون عليهما السلام للأذى لأن الله تعالى حفظهما من طغيان فرعون، كما يقول سبحانه: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:46).

للتخلص من موسى عليه السلام ودعوته والمؤمنين معه؛ فطمأنهم فرعون بأن معه القوة التي تقهرهم، وأنه عازم على استخدامها للتخلص منهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف:127).

والإفساد في الأرض الذي يقصده قوم فرعون هو تغيير نظامهم الحياتي الجاهلي القائم على الشرك، وإنشاء وضع إيماني جديد يقوم على العبودية لله وحده لا شريك له، والاستقامة على شريعته.

قال العلامة الشيخ محمد أبو زهرة: اللام في قوله تعالى: (لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) هي ما تسمى لام العاقبة، أي أتتركهم لتكون عاقبة الترك أن يؤلبوا الناس عليك، وينتفضوا على حكمك.. والاستفهام هنا إنكاري؛ لإنكار الواقع، وهو بمعنى لَا ينبغي لك أن تترك موسى عليه السلام وقومه يؤلبون عليك.

هكذا حرضوا فرعون على ـــ موسى عليه السلام و ـــ بني إسرائيل ذلك التحريض الخبيث ليزدلفوا إليه، وكذلك الحاشية المفسدة تسبق إلى فكر الطاغي، ليتوهم إخلاصهم له، وما هم إلا الممالئون المنافقون الكذابون.. واستجاب فرعون الطاغي لهم، لأنها رغبته، وقد سبقوه إلى ذكرها، ممالئين مزدلفين إليه بالباطل، **(قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)** [1].

وعندئذ أنزل الله عليهم عقابه، كما يقول الله تعالي: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف: 55، 56).

أي جعلناهم مثلاً وعبرة للناس من بعدهم إلى يوم القيامة.

(1) راجع: زهرة التفاسير للشيخ الكبير: محمد أبو زهرة 6 / 2929، 2930، ط. دار الفكر.. مصر.

الرسول ﷺ وإشاعات المشركين في مكة.

وكذلك كان المشركون في مكة يُخاطبون شعبهم بالإشاعات الخبيثة ضد رسول الله ﷺ، ليظلوا قائمين على حالتهم الشركية، وعلى حالتهم في الصَّدِّ عن سبيل الله، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سبأ:43).

ولهذا لقي النبي ﷺ من الإشاعات الخبيثة مثلما لقي الأنبياء عليهم السلام وأكثر.

1 ــ فقد أشاعوا أنه ﷺ ساحر كذاب، كما يقول الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:4).

2 ــ وأشاعوا أنه ﷺ مجنون.. كما يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(الحجر:6).

3 ــ وأشاعوا: أن رسول الله ﷺ نقل القرآن العظيم عن بشر.

قال ابن إسحاق: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إلَى مَبْيَعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ، يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ، عَبْدٌ لِبَنِي الْحَضْرَمِيِّ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: وَالله مَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِمَّا يَأْتِي بِهْ إلَّا جَبْرٌ النَّصْرَانِيُّ، غُلَامُ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ. فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:103) [1].

وكان الواجب عليهم أن يسألوا هذا الغلام النصراني عن حقيقة الأمر، وهو قريب منهم، بل يعيش بينهم؟!.

(1) راجع: سيرة ابن هشام .. والصحيح المسند من أسباب النزول 124، 125.

وكان الواجب عليهم أيضًا أن يرجعوا إلى عقولهم، ويتدبروا القرآن الذي يقرؤه الرسول ﷺ وهو عربي اللسان والبيان، ويروا إن كان يمكن لهذا الأعجمي اللسان والبيان أن يقول شيئًا منه؟!، كما يقول الله تعالى: **(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**.

فالغلام المقصود ــ كما قال ابن كثير ــ كان نصراني الديانة، وأعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه، فلهذا قال الله تعالى: رادا عليهم في افترائهم ذلك: (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) أي القرآن، أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني أرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟.. لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل [1].

ولو كان الرسول ﷺ ينقل عن هذا الغلام النصراني لنقل عنه عقيدة التثليث، وقتل المسيح وصلبه... الخ، وسجلها في القرآن ودعا الناس إليها؟!.. ولو كانوا يتدبرون القرآن لعرفوا أنه يُكذِّب هذه الخرافات، ويُكفِّر معتنقيها.

4 ــ ومرة أخرى تناقضوا مع أنفسهم فأشاعوا أن الرسول ﷺ هو الذي اختلق القرآن وافتراه، فكذَّبهم الله تعالى، وقال لهم: إذا كان الرسول ﷺ قد افتراه فاختلقوا أنتم مثله أو آية مثله؛ ففيكم الفصحاء والبلغاء المشهود لهم.. فلماذا عجزتم؟!.

يقول الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) (الطور: 33 ، 34).

ويقول سبحانه: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (هود:13).. ويقول سبحانه:

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 523، ط. دار الشعب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:38).

أجل، كان بوسعهم أن يتدبروا آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ ليعرفوا الفرق بينهما، وإنهم لو فعلوا هذا لأيقنوا أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ، وليس لرسوله ﷺ فيه إلا البلاغ والدعوة إليه.

الرسول ﷺ وإشاعات المنافقين في المدينة.

5 ــ ومن الإشاعات الخبيثة التي اختلقها اليهود والمنافقون وروجوها في المدينة أن النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادته من دون الله تعالى، كما روى ابن عباس ﷺ عن أبي رَافِعٍ القُرَظِي قال: حِينَ اجْتَمَعَتِ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، قالوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نعبدكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٌّ، يقال له الرئيس: أوَ ذاك تُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ، وَإِلَيْهِ تَدْعُونَنَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أَوْ أَنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، وَلَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي، أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:79).

6 ــ وفي غزوة بدر أشاع المنافقون أن الرسول ﷺ يسرق من المال العام لنفسه وذويه، فأنزل الله تعالى القرآن يُكذِّبهم، ويُبرئ رسول الله ﷺ من هذه الإشاعة الخبيثة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران:161).

قال ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ، فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةِ الكريمة [1].

قال ابن كثير: وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة، وقسم الغنيمة، وغير ذلك [2].

وكلما منعهم رسول الله ﷺ من المال العام لعدم أحقيتهم له أشاعوا أنه لا يعدل في قسمته، ولا يُريد بها وجه الله تعالى.. كما يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾(التوبة:58).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ.. فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ.. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ.. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ».. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» [3].

7 ــ وكان النبي ﷺ يُعامل المنافقين على ظاهر حالهم، فيسمع لهم، ولا يجرح مشاعرهم بإظهار كذبهم وحقيقة نفاقهم، فأشاعوا أنه ^ أُذُن، أي يسمع لهم، ولا يفطن لكذبهم وخداعهم، فأنزل الله تكذيبه لهم، وبيَّن أن الرسول ﷺ أُذُن خير لهم، ورحمة للمؤمنين، كما يقول سبحانه: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ

(1) صحيح.. أخرجه أبو داود 3971، والترمذي 3009، وأبو يعلى 2438، وغيرهم.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2 / 130، ط. دار الشعب.

(3) أخرجه مسلم 1062، البخاري 3405، وغيرهما (كَالصِّرْفِ) أي وجهه كاللون الأحمر من الغضب.

وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة:61).

قال أحمد ابن المنير في حاشيته على الكشاف للإمام الزمخشري: لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لأنه في الأول إطماع لهم بالموافقة، ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه [1].

8 ــ ومن الإشاعات الخبيثة التي اتخذت شكلاً عمليًا: اتفاق اليهود على اعتناق الإسلام ثم يرتدون عنه بعد وقت، ويرجعون إلى يهوديتهم؛ ليُشيعوا بين الناس أنهم وجدوا الرسول ﷺ كاذب، وأن الإسلام لا خير فيه، ولو كان فيه خير ما تركوه.

قال السُّدِّيُّ: كَانَ أَحْبَارُ اليهود قَال بعضهم لِبَعْضٍ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ وَقُولُوا: نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ صَادِقٌ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ فَاكْفُرُوا، وَقُولُوا: إِنَّا رَجَعْنَا إِلَى عُلَمَائِنَا وَأَحْبَارِنَا فَسَأَلْنَاهُمْ فَحَدَّثُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَاذِبٌ، وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى دِينِنَا فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ دِينِكُمْ، لَعَلَّهُمْ يَشُكُّونَ فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ كَانُوا مَعَنَا أَوَّلَ النَّهَارِ فَمَا بَالُهُم؟.

يقول الله تعالى: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران: 72 ، 73).

قَالَ الْإِمَامُ محمد عبده: وهذا النوع الذي تحكيه الآية ــ الكريمة ــ من صد اليهود عن الإسلام مبني على قاعدة طبيعية في البشر، وهي أن من علامة الحق ألا يرجع عنه من

(1) راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 2 / 284 للإمام الزمخشري.

يعرفه، وقد فقه هذا هرقل صاحب الروم فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبي ^ عندما دعاه إلى الإسلام: هَلْ يَرْجِعُ عَنْهُ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِ؟.. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَا.. وقد أرادت هذه الطائفة أن تغشَّ الناس من هذه الناحية ليقولوا: لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه، واطلعوا على باطنه وخوافيه؛ إذْ لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته، ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب [1].

9 ــ وفي غزوة بدر قبل مجيء البشير بالنصر كان اليهود في المدينة يُشيعون الإشاعات الخبيثة بأن النبي ﷺ والمؤمنين معه قد هُزموا.. وأن رسول الله ^ قد قُتل؛ مما جعل المؤمنين في المدينة يقضون أوقاتًا عصيبة، ينتظرون معرفة أخبار إخوانهم على أحر من الجمر.. وما أطول أوقات الانتظار على الإنسان.

وحينما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ﷺ إلى المدينة وأركبه ﷺ ناقته (القصواء) ليُبشر المؤمنين بالنصر أشاعوا أن زيدًا مَا جَاءَ إِلَّا فَلًّا (أي هاربًا).. حَتَّى غَاظَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ، وَخَافُوا على إخوانهم أكثر.

وَقَدِمَ زَيْدٌ حِينَ سَوَّوْا عَلَى رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ بِالْبَقِيعِ.. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: قُتِلَ صَاحِبُكُمْ وَمَنْ مَعَهُ!.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِأَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ: قَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُكُمْ تَفَرُّقًا لَا يَجْتَمِعُونَ مِنْهُ أَبَدًا، وَقَدْ قُتِلَ عِلْيَةُ أَصْحَابِهِ، وَقُتِلَ مُحَمَّدٌ، وهَذِهِ نَاقَتُهُ نَعْرِفُهَا، وَهَذَا زَيْدٌ لَا يدْرَى مَا يَقُولُ مِنَ الرُّعْبِ وَجَاءَ فَلًّا!.

قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: يُكَذِّبُ الله تَعَالَى قَوْلَكَ.. وَقَالَتِ الْيَهُودُ: مَا جَاءَ زَيْدٌ إلا فَلّا.

قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ: فَجِئْتُ حَتَّى خَلَوْتُ بِأَبِي فَقُلْتُ يَا أَبَهْ أَحَقٌّ مَا تَقُولُ؟.

(1) راجع: تفسير المنار 3 / 274، 275.

قَالَ إِي والله حَقٌّ يَا بُنَيَّ، فَقَوِيَتْ نَفْسِي فَرَفَعْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمُنَافِقِ.. فَقُلْتُ: أَنْتَ الْمُرْجِفُ بِرَسُولِ الله وَبِالْمُسْلِمِينَ لَنُقَدِّمَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ إِذَا قَدِمَ فَلَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَهُ [1].

ولم يمض وقت طويل حتى جاء النبي ﷺ والمؤمنون يقودون أسراهم، والبشر يملأ وجوههم، فأُسقط في أيدي اليهود والمنافقين، ولم يجدوا ما يقولونه وقد امتلأت قلوبهم غيظًا وحقدًا على المؤمنين ففاضت على ألسنتهم.

10 ــ وفي غزوة أحد حمل ابن قمئة المشرك على مصعب بن عمير ﷺ فقتله، وكان مصعب ﷺ شديد الشبه برسول الله ﷺ فقال ابن قمئة لقريش:

قتلت محمدًا.. وَصَرَخَ الَصَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ.

وامتلأت الأفواه بتلك الإشاعة الخبيثة، حتى أصاب المؤمنين ذهول، واختلطت عليهم أحوالهم، فما يدرون كيف ينتظمون ويُقاتلون.. فَصَارُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ، وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ما يشعرون به من العجلة والدّهش [2].

ومنهم من دخل المدينة، ومنهم من انطلق فوق الجبل ، ومنهم من ثبت وصابر، وقال: إنهم يُقاتلون عن دين الله ، والله تعالى حي لا يموت.

وَقَالَ بَعَضُ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ: لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ فَيَأْخُذُ لَنَا أَمَنَةً مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، يَا قَوْمُ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ!!.

وَمَرّ مَالِكُ بْنُ الدّخْشُمِ عَلَى خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي حَشْوَتِهِ، بِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، كُلّهَا قَدْ خَلَصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْت أَنّ مُحَمّدًا قَدْ قُتِلَ؟.. فَقَالَ خَارِجَةُ: فَإِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَإِنّ اللهَ حَيّ لَا يَمُوتُ، فَقَدْ بَلّغَ مُحَمّدٌ، فَقَاتِلْ عَنْ دِينِك!.

---

(1) راجع: دلائل النبوة للبيهقي 3 / 132، 133. تحقيق: قلعجي.. وسبل الهدى والرشاد للصالحي 4/ 87، 88.

(2) راجع: عيون الأثر 2 / 19.

وَمَرّ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ وَبِهِ اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا، كُلّهَا قَدْ خَلَصَ إلَى مَقْتَلٍ، فَقَالَ: عَلِمْت أَنّ مُحَمّدًا قَدْ قُتِلَ؟.

فقَالَ سَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ: أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا قَدْ بَلّغَ رِسَالَةَ رَبّهِ، فَقَاتِلْ عَنْ دِينِك، فَإِنّ اللهَ حَيّ لَا يَمُوتُ!.

وَأَقْبَلَ ثَابِتُ بْنُ الدّحْدَاحَةِ يَوْمَئِذٍ وَالْمُسْلِمُونَ أَوْزَاعٌ، قَدْ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَجَعَلَ يَصِيحُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إلَيّ! إلَيّ! أَنَا ثَابِتُ بْنُ الدّحْدَاحَةِ، إنْ كَانَ مُحَمّدٌ قَدْ قُتِلَ فَإِنّ اللهَ حَيّ لَا يَمُوتُ! فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنّ اللهَ مُظْهِرُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ! فَنَهَضَ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

ومن هؤلاء أنس بن النضر ﷺ ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.. فقد انْتَهَى إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْن عُبَيْدِ الله، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟.

قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ.. قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ (قُومُوا) فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، وَبَهْ سُمّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ [1].

ثم تبين للمؤمنين كذب هذه الإشاعة الخبيثة، وأن رسول الله ﷺ حي لم يُقتل، وَكَانَ أَوّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ الله ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ تَزْهَرَانِ (تلمعان) مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَبْشِرُوا، هَذَا رَسُولُ الله ^ فَأَشَارَ إلَيّ رَسُولُ الله ^: أَنْ أَنْصِتْ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فلما عرف المسلمون رسول الله ^ نهضوا معه، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين [2].

وعندئذ التف المؤمنون حول النبي ﷺ وعادوا إلى انتظامهم وقتالهم.

---

(1) أخرجه البخاري 4051، ومسلم 2505، وغيرهما.

(2) راجع: السيرة النبوية لابن هشام 3 / 38، 39 رقم 1133، 1134.

قَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرْقَى فِي الْجَبَلِ كَأَنِّي أُرْوِيَّةً (أنثى الشياة الجبلية) حَتّى انْتَهَيْت إلَى رسول الله ﷺ وهو يَنْزِلُ عَلَيْهِ قول الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:144) [1].

11 ــ وفي غزوة الأحزاب التي اجتمعت فيها قوى الكفر على المؤمنين، حتى اشتد بهم الخوف ، كما يقول الله تعالى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) (الأحزاب: 10 ، 11).

في هذا الوقت الرعيب كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يُشيعون الإشاعات الخبيثة، ويُطَيِّرون الأراجيف القبيحة بين المؤمنين؛ لتخذيلهم وتيئيسهم من نصر الله تعالى، وتشكيكهم في صدق رسول الله ﷺ، حتى قال أحدهم: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الأحزاب: 12) [2].

وفي رواية: قَالَ الْمُنَافِقُونَ: أَلَا تَعْجَبُونَ: يُحَدِّثُكُمْ وَيُمَنِّيكُمْ، وَيَعِدُكُمْ بِالْبَاطِلِ، يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ بَصُرَ مِنْ يَثْرِبَ قُصُورَ الْحِيرَةِ، وَمَدَائِنَ كِسْرَى، وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَبْرُزُوا! [3].

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 3/ 37 رقم 1130، والطبري في تاريخه 2/ 517، والبيهقي في الدلائل 3/ 245، وابن كثير في البداية والنهاية 4 / 24، وغيرهم.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 206 رقم 1358.

(3) راجع: دلائل النبوة للبيهقي 3 / 422، وسبل الهدى والرشاد 4 / 425، وغيرهما.

وقَالَ آخر: يَا رَسُولَ الله، إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ مِنْ الْعَـدُوِّ، وَذَلِـكَ عَـنْ مَلَـإٍ مِـنْ رِجَـالِ قَوْمِهِ، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجٌ مِنْ الْمَدِينَةِ [1].

وهذه إشاعة خبيثة تأتي النفوس المريضة من الثغرة الضعيفة، وهي ثغرة الخـوف على النساء والذرية، والخطر مُحدق ، والظنـون لا تثبـت ولا تسـتقر، وفـيهم يقـول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً﴾ (الأحزاب ــ 13: 15).

12ــ وحينمـا شـرع رسـول الله ﷺ في تجهيـز جـيش العسـرة لملاقـاة الـروم في تبـوك لم يكتف المنافقون بقعودهم، وإنما شرعوا يُشيعون بين المؤمنين الإشاعات الخبيثة؛ لستر تخاذلهم من ناحية، ولتخذيل المؤمنين معهم من ناحية أخرى، وقال كـبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول: يَغْزُو مُحَمّدٌ بَنِـي الْأَصْـفَرِ، مَـعَ جَهْـدِ الْحَـالِ وَالْحَـرّ وَالْبَلَدِ الْبَعِيدِ، إلَى مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ! يَحْسِبُ مُحَمّدٌ أَنّ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ اللّعِـبُ؟، وَاَللّهِ لَكَأَنّي أَنْظُرُ إلَى أَصْحَابِهِ غَدًا مُقَرّنِينَ فِي الْحِبَالِ [2].

قال الراوي: زهادةً في الجهاد، وشـكًّا في الحـق، وإرْجَافًـا برسـول الله ﷺ، وَتَرْهِيبًـا لِلْمُؤْمِنِينَ، فأنزل الله تعـالى قولـه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: 81، 82) [3].

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 3/ 206 رقم 1360 .

(2) راجع: شرح المواهب 3 / 72، إمتاع الأسماع 1 / 453، ومغازي الواقدي 3/ 995، 996.

(3) راجع: سبل الهدى والرشاد 5 / 642، وسيرة ابن هشام 4 / 194 رقم 1881، وغيرهما.

13 ــ وفي ذات الغزوة روى عَبْدُ الله بْنِ عُمَرَ أن رَجُلاً أشاع في غزوة تبوك إشاعة خبيثة، يهزأ برسول الله ﷺ وبالمؤمنين معه، فقال في مجلس: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرائنا هَؤُلَاءِ (النبي ﷺ وأصحابه)، أرغبَ بُطُونًا، وَلَا أكذبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ.

فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ: كذبتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لَأُخْبِرَنَّ رَسُولِ الله ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ (يكشف هذا الاستهزاء بالعاملين للإسلام).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي- لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَدْرِكْ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا ، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا.

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ: فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَسُولُ الله ﷺ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ على رسوله ﷺ يفضح هؤلاء المنافقين، ويُكذب إشاعتهم الخبيثة، يقول الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة ــ 64: 66).

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ تَنْكُبُه الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ.

وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [1].

ولهذا تفضل الله على المؤمنين في ذات الغزوة بأن ثبَّط همة جمهور المنافقين؛ فقعدوا ولم يخرجوا معهم، ولو خرجوا فيهم لأرجفوا بينهم بالإشاعات الخبيثة التي تُصيبهم

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 111، 112.. وقول ابن عمر: (بِحَقَبِ نَاقَةِ) الحبل الذي يُشد به الرحل على بطن الناقة.. (تَنْكُبُه الْحِجَارَةُ) تصدم الحجارة رجليْه، وتُؤذيه.

بالفتن والاضطراب، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة ــ 46: 48).

14 ــ إشاعة مقتل الرسول ﷺ في غزوة حُنيْن.

وفي غزوة (حنين) أصابت المؤمنين المجاهدين كسرة تفرق بها صفهم، وتفرقوا عن رسول الله ﷺ؛ فشاعت بين المؤمنين إشاعة خبيثة خلاصتها: أن النبي ﷺ قُتل.. وأشاع المنافقون ومرضى القلوب بما في قلوبهم من الطعن في الإسلام، والتشكيك في صدق الرسول ﷺ.

قال ابنُ هشام في السيرة: فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ، وَرَأَى مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْهَزِيمَةَ، تَكَلَّمَ رِجَالٌ مِنْهُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ الضِّغْنِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ، وَإِنَّ الْأَزْلَامَ لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ. وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ، وَهُوَ مَعَ أَخِيهِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ مُشْرِكٌ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَا بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ! فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ: اُسْكُتْ فَضَّ اللهُ فَاكَ، فو الله لَأَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ [1].

وأدرك النبي ﷺ إشاعة السوء التي يُشيعها بعض المنافقين والطلقاء؛ فوقف ذات اليمين، وقد أغضبه فرار المؤمنين عنه، وظل ثابتًا في مكانه يُناديهم.

ذكر ابن هشام في السيرة: عَنْ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: إنِّي لَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ آخِذٌ بِحَكَمَةِ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ قَدْ شَجَرْتُهَا بِهَا، قَالَ: وَكُنْتُ امْرَأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ.. وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنْ النَّاسِ: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟.. هلموا إليَّ.. أنا

(1) راجع: سيرة ابن هشام 2 / 443.

رسول الله ﷺ.. أنا محمد بن عبد الله ﷺ.. لكن زحمة الجنود أثناء الفرار أحدثت فيهم الاضطراب، وجعلتهم لا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ، أي: لا يُبالي كل منهم بالآخر.

وَكَانَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ يَقُول: وَاَللهِ الّذِي لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ، مَا وَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَكِنّهُ وَقَفَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمّ نَزَلَ وأخذ بزمام بغلته التي يركبها ويتقدم نحو العدو، وهو يُنكر على المؤمنين فرارهم، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا النّبِيّ لَا كَذِبْ * أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبْ [1].

وَقَالَ ﷺ: يَا عَبَّاسُ، اُصْرُخْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، وكان العباس جهير الصوت فصرخ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ!.

وحينما سمع المؤمنون صوت رسول الله ﷺ وصوت العباس بن عبد المطلب تبين لهم الخبر الصحيح للإشاعة، وأن الرسول ﷺ لم يُقتل؛ فأجابوه من كل صوْب.. فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ، فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ، وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ، وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ، فَيَؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُم مائة، اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ، فَاقْتَتَلُوا، وَكَانَتْ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ: يَا لَلْأَنْصَارِ، ثُمَّ خَلَصَتْ أَخِيرًا: يَا لَلْخَزْرَجِ، وَكَانُوا صُبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ الله ﷺ فِي رَكَائِبِهِ، فَنَظَرَ إِلَى مُجْتَلَدِ الْقَوْمِ وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فَقَالَ: الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ [2].

15ــ إشاعة الإفك ضد زوجة رسول الله ﷺ.

* ـــ ومن الإشاعات الخبيثة التي آذت رسول الله ﷺ وآذت زوجته عائشة رضي الله عنها وآذت أبويْها: إشاعة الإفك، وخلاصتها كما قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ (رجع) دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ

(1) راجع: مغازي الواقدي 3 / 902.

(2) راجع: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي 390، 301، (مُجْتَلَدِ الْقَوْمِ) أي شدة تقاتلهم.. (الْوَطِيسُ) الحرب.

الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ (لم يسمن)، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ (فقصدت) مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ [1] وَهُمْ نُزُولٌ.

قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ ابْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ.

وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ ابْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كِبْرَ (زعيم) ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.. قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ❊ لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ

(1) (مُوغِرِينَ) أي داخلين (نَحْرِ الظَّهِيرَةِ) أي في قوت الظهيرة وشدة الحر.

رَسُولِ الله ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ» ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا [1] وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ قِبَلَ الغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟.. فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ [2] وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟.. قُلْتُ: مَا قَالَ؟.. فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ».

فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟.

قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا.. فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟.. قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَالله لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا.. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ الله، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟.. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا.. وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ:

---

(1) (قِبَلَ المَنَاصِعِ) أي اتجاه مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها واحدها منصع لأنه يبرز إليه ويظهر من نصع الشيء إذا وضح وبان. (متبرزنا) مكان قضاء حاجتنا.

(2) (أَيْ هَنْتَاهْ) أي يا هذه وقيل يا بلهاء لقلة معرفتها بمكايد الناس وشرورهم.

يَا رَسُولَ الله، لَمْ يُضَيِّقِ الله عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟».. قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ (أعيبه) غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ (الشاة) فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ.. وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ.. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ.

قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ .. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.. وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي .. فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ.. وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ.. فَتَشَهَّدَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا

عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ الله عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ الله ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ.. فَقَالَ أَبِي: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ الله ﷺ فِيمَا قَالَ.. قَالَتْ أُمِّي: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لاَ أَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَالله يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَالله لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [يوسف: 18] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَالله يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ الله مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَالله مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الله مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ الله فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله بِهَا، فَوَالله مَا رَامَ رَسُولُ الله ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا الله فَقَدْ بَرَّأَكِ».

فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ.

فَقُلْتُ: وَالله لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَتْ: وَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِي البراءة من هذه الإشاعة الخبيثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا

هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (النور ـــ 11: 20).. ثُمَّ أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَالله لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ الله: (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور:22).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ.. وَقَالَ: وَالله لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي.. فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ، أَوْ رَأَيْتِ».

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَالله مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي (تُطاولني) مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا الله بِالوَرَعِ.. وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ، فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَتِفِ أُنْثَى قَطُّ.. قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ [1].

وفي هذا الحدث الجَلَل دروس للحياة والأحياء.. نذكر منها أهمها في الآتي:

الدرس الأول: المقصود بالإشاعات الخبيثة إيذاء الدعاة إلى الله تعالى والمؤمنين في أهليهم، كما قال الرسول ﷺ نفسه: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ».

قال ابن القيم: وأيضًا فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، فهو ﷺ الذي رُمِيَتْ زوجته [2].

الدرس الثاني: للإشاعات الخبيثة في أحيان كثيرة جهاز يقوم باختلاقها وإشاعتها في البلاد، كما يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)، ويظهر هذا في قول عروة: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كِبْرَ (زعيم) ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ.

الدرس الثالث: وكل واحد في هذا الجهاز الإشاعاتي ينال وزره وعقابه بقدر عمله فيها، كما يقول الله تعالى: (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

الدرس الرابع: وجوب إحسان الظن بالمؤمنين، وخاصة الذين يظهر عليهم الصلاح، كما يقول الله تعالى: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ).

---

(1) أخرجه البخاري 4141، ومسلم 2770، وغيرهما.

(2) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 235).

وقد أحسن النبي ﷺ الظن بأهله، وخرج على أصحابه يقول: «وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

الدرس الخامس: ومع هذا عمد رسول الله ﷺ إلى التثبت من الإشاعة، فسأل أصحابه، وقال لزوجته: « يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ الله عَلَيْهِ».

الدرس السادس: اختلال أدلة الإثبات أو نقصها دليل على بطلان الإشاعة الخبيثة ، وبراءة المنكوب منها، كما يقول الله تعالى: (لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ الله هُمُ الْكَاذِبُونَ).

الدرس السابع: وجوب إدراك خطر الإشاعات الخبيثة على المؤمنين، وتحريم الاستهانة بأعراض الناس.. ووجوب التبيُّن من صحة الإشاعة قبل نقلها، كما يقول الله تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ) .

الدرس الثامن: تحريم الإشاعات الخبيثة، كما يقول الله تعالى: (يَعِظُكُمُ الله أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

الدرس التاسع: إن الذين يُحبون إشاعة الإشاعات الخبيثة ويُشاركون في ترويجها لتلويث المؤمنين يُنزل الله تعالى عليهم عقابه في الدنيا والآخرة، فكيف بمن يقوم بها عملًا؟، يقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور ــ 23: 25).

الدرس العاشر: الحرص على التصالح والتسامح بين المؤمنين؛ لأجل استمرار التلاحم الإيماني، والتراحم الإنساني، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

الدرس الحادي عشر: وجوب تأمل السيرة الذاتية للمنكوب بالإشاعة الخبيثة قبل أن تطاله، فإن كان مستقيم السيرة يجب إحسان الظن به، ونفي الإشاعة الخبيثة عنه، كما يقول الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور:26).

الدرس الثاني عشر: يسوق الله تعالى في طي كل محنة منحة، وفي بطن كل ضراء سراء.. والمظلوم البريء يُعلي الله قدره، ويرفع شأنه ، ويُظهر براءته.. ففي هذه المحنة عرف المؤمنون منزلة أبي بكر ﷺ وابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الله تعالى؛ فقد أنزل الله تعالى براءتها في كتابه الكريم؛ فخلَّد بذلك ذِكْرها وذِكْر أبيها؛ حتى قالت أم المؤمنين عائشة نفسها: (وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي

وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا».

قال ابن القيم: إظهار الله منزلته ﷺ وأهل بيته عنده، وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله ^ عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته [1].

الدرس الثالث عشر: البريء الصابر الثابت على طاعة الله تعالى، الآمل في فرجه سبحانه سيُفرِّج الله عنه، وسيُظهر براءته عاجلاً أو آجلاً مهما طال وقت البهتان والإشاعات الخبيثة.. والكذوب الخادع الذي يستطيع أن يخدع الناس بعض الوقت لن يستطيع أن يخدعهم كل الوقت، وسيفضح الله تعالى خبيئته.

ويظهر هذا في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لاَ أَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللهِ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي).

16 ــ وفي عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كان المجتمع المسلم مستقرًا، ونظام الحكم قائمًا، حتى هبت رياح الإشاعات الخبيثة من كل فج عميق، وانتشرت في

(1) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد 3/ 235.

بلاد الخلافة انتشارًا مُخيفًا؛ حتى أحدثت فيه اضطرابًا وإرباكًا، انتهى باستشهاد أمير المؤمنين، وزوال عرشه رضي الله عنه [1].

* ــ فمن القائمين بهذه الإشاعات الخبيثة محمد بن أبي حذيفة، وكان يتيمًا ، وكفله أمير المؤمنين عثمان ﷺ بعد مقتل أبيه حتى كبر، فطلب من أمير المؤمنين أن يجعله أميرًا على بلد، فأبى ﷺ لصغر سنه، وعدم كفاءته، فخرج ابن أبي حذيفة إلى مصر، ينشر الإشاعات الخبيثة، ويُؤلب الناس على أمير المؤمنين [2].

* ــ ومثله: محمد بن أبي بكر.. وقد ذكر الطبري بسنده عن مبشر، قَالَ: سألت سَالم بن عَبْدِ الله عن مُحَمَّد بن أبي بكر: مَا دعاه إِلَى ركوب التشهير بعُثْمَان؟.

فَقَالَ: الغضب والطمع.. قلت: مَا الغضب والطمع؟.

قَالَ: كَانَ من الإِسْلام بالمكان الَّذِي هُوَ بِهِ، وغره أقوام فطمع، وكانت لَهُ دالة (علامة) فلزمه حق، فأخذه عُثْمَان من ظهره ولم يدهن، فاجتمع هَذَا إِلَى هَذَا، فصار مُذَمِّمًا بعد أن كَانَ مُحمِّدًا [3].

* ــ ومن الإشاعات الخبيثة التي أشاعوها في أقطار دولة الخلافة الإسلامية:

ا ــ أن عثمان ﷺ قد حرَّق المصاحف.. فجعلوا من هذا العمل إشاعة خبيثة هيَّجوا بها العامة والسذج من المسلمين، وأعموا بها عقولهم عن تدبر حقيقة الأمر.

---

(1) روَّج دعاة الفتنة إشاعات خبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وقد ناظرهم فيها الصحابة، (مثل: علي بن أبي طالب ﷺ) وأعلموهم أنها بهتان وافتراء، كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (7/ 178) لكن دعاة الفتنة لا يُريدون إلا زوال عرش عثمان ﷺ بعزله أو بقتله؛ لإرباك الدولة كلها، للإضرار بالإسلام والمسلمين .

(2) راجع: أسد الغابة 5/ 82 ط. دار الكتب العلمية.

(3) راجع: تاريخ الرسل والملوك للطبري 4/ 400 ط. دار المعارف المصرية.

ذكر ابن كثير ما يُشير إلى هذا حينما جاء محمد بن أبي بكر مع أهل مصر، الذين سَأَلُوا عُثْمَانَ أَنْ يَعْزِلَ عَنْهُمُ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ، وَيُوَلِّيَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذلك (راجع: البداية والنهاية 7/ 182) فدل هذا على اتفاق سابق بينهم، كما دل على أن طمع محمد بن أبي بكر وغضبه لفوات هذا هو الذي حركه للخوض في الفتنة.

وهذه والله منقبة لأمير المؤمنين عثمان ﷺ، فقد حرَّق المصاحف التي كانت سببًا في الاختلاف بين المؤمنين، ووحدها في مصحف واحد، ليوحَّد به صف المؤمنين، وما فعل هذا إلا بأمر الصحابة واجتماعهم.

وحذيفة بن اليمان ﷺ ــ كاتم سر رسول الله ﷺ ــ هو الذي هالهُ اختلاف المؤمنين في قراءة القرآن، وركب إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي كِتَابِهَا كَاخْتِلَافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ جَمَعَ عُثْمَانُ الصَّحَابَةَ وَشَاوَرَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَرَأَى أَنْ يَكْتُبَ الْمُصْحَفَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَأَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ عَلَى الْقِرَاءَةِ بِهِ، دُونَ مَا سِوَاهُ، لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنْ مَصْلَحَةِ كَفِّ الْمُنَازَعَةِ، وَدَفْعِ الِاخْتِلَافِ.

قال ابن كثير: «لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال: أَصَبْتَ وَوُفِّقْتَ، أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ أُمَّتِي حُبًّا لِي قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، يَعْمَلُونَ بِمَا فِي الْوَرَقِ الْمُعَلَّقِ» [1].

فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف، قال: فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف، وقال: وَالله مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ لَتَحْبِسُ عَلَيْنَا حديث نبينا ﷺ».

---

(1) الحديث ذكره الألباني في الأحاديث الضعيفة 649، وقال: موضوع بهذا اللفظ، وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق، وذكر في إسناده أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، وهو كذاب.. وأحمد بن القاسم بن الريان، وهو ضعيف

وأخرجه أبو يعلى 160، بلفظ قريب، والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: محمد بن أبي حميد ضعفوه، والبزار كما في الكشف 2839، وقال: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ عُمَرَ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَحَدِيثُ الْمِنْهَالِ بْنِ بَحْرٍ، يَرْوِيهِ الْحُفَّاظُ الثِّقَاتُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ زَيْدٍ مُرْسَلا.. والهيثمي في المجمع 16690، وقال: الصَّوَابُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.. وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الْبَزَّارِ الْمَرْفُوعِ حَسَنٌ، وَالْمِنْهَالُ بْنُ بَحْرٍ وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَفِيهِ خِلَافٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وأخرجه الدارمي بلفظ آخر صحيح 2786، وأحمد 16976، وغيرهما، وليس فيه الورق المعلق.

قَالَ: فَأَعْجَبَ ذَلِكَ عُثْمَانَ وَأَمَرَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، وَقَالَ: وَالله مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ لَتَحْبِسُ عَلَيْنَا حديث نبينا ﷺ.

ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف [1].

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ سُوَيد بْنَ غَفَلَةَ قَالَ: «قَالَ عَلِيٌّ: أيها الناس! إياكم والغلو في عثمان تقولون: حَرَقَ الْمَصَاحِفَ، وَالله مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلَوْ وَلِيتُ مِثْلَ مَا وَلِيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ» [2].

ب ــ وأشاعوا أنه ﷺ توسع في إقطاع أرض الدولة للقريبين منه.

وهذه ــ والله ــ محمدة له، لا مَذمَّة، فإن النبي ﷺ هو الذي شرع إقطاع الأرض البور لمن يزرعها، وتبعه في هذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وعثمان ﷺ لم يفعل غير ما فعلوه، غير أنه ﷺ توسع في إحياء الأرض الموات بإقطاعها للصحابة القادرين على إعمارها، لينتفع المؤمنين بثمرتها [3].

ج ــ وأشاعوا أنه رضي الله عنه كان يُؤثر أقاربه في الإمارة، مثل:

معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعبد الله بن أبي السرح ﷺ.

أمَّا معاوية بن أبي سفيان ﷺ فقد كان جديرًا بالإمارة، وقد استعمله رسول الله ﷺ كاتبًا للوحي، وولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ واليًا على (الأردن ثم دمشق) من بلاد الشام ، ولو كان في إمارته مغمز لما استعمله رسول الله ﷺ كاتبًا للوحي بين يديه [4] ، ولما ولاه أمير المؤمنين عمر واليًا على بلد من بلاد الإسلام.

---

(1) راجع: البداية والنهاية 7/ 228 ط. دار الفكر.. بيروت .

(2) راجع: البداية والنهاية 7/ 228 ط. دار الفكر.. بيروت .

(3) راجع: كتابنا عن: البطالة.. وكيف عالجها الإسلام.. ورعاية المال العام في ضوء القرآن والسنة.. مخطوط .

(4) ذكر أبو بكر بن الخلال في السنة رقم 659 أَنَّ أَبَا الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: وَجَّهْنَا رُقْعَةً إِلَى أَبِي عَبْدِ الله: مَا تَقُولُ رَحِمَكَ الله فِيمَنْ قَالَ: لَا أَقُولُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَاتِبُ الْوَحْيِ، وَلَا أَقُولُ إِنَّهُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ،

أمَّا عبد الله بن سعد بن أبي السرح فهو الـذي ارتـد، وأهـدر الـنبي ﷺ دمـه، وقـد تاب ﷻ إلى الله تعالى، وحسن إسلامه، وظهرت عليه أمارات ذلك في الفتوح، حيث أبلى فيها بلاءً حسنًا، وقاتل تحت إمرته كثير من الصحابة؛ ولهذا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر [1].

* ــ ومن الذين قاموا بالإشاعات الخبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ بهدف الكيد للإسلام، وتفريق دولته: اليهودي: عبد الله بن سبأ.

قَالَ يَزِيدُ الْفَقْعَسِيِّ،: كَانَ عَبْد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عُثْمَان، ثُمَّ تنقل فِي بلدان الْمُسْلِمِينَ، يحاول إضلالهم وإثارتهم بإشاعاته الخبيثة في أمر العقيدة، فبدأ بالحجاز، ثُمَّ الْبَصْرَةِ، ثُمَّ الْكُوفَة، ثُمَّ الشام، فلم يقدر عَلَى مَا يريد عِنْدَ أحد من أهل الشام، فأخرجوه حَتَّى أتى مصر، فاعتمر فِيهِمْ (أي قبلوا منه إشاعاته الخبيثة)، فَقَالَ لَهُمْ فِيمَا يقول: لعجب ممن يزعم أن عِيسَى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع، وَقَدْ قَالَ الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ» (القصص: 85) ، فمحمد أحق بالرجوع من عِيسَى قَالَ: فقبل ذَلِكَ عنه، ووضع لَهُمُ الرجعة، فتكلموا فِيهَا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بعد ذَلِكَ: إنه كَانَ ألف نبي، ولكل نبي وصي، وَكَانَ علي وصي مُحَمَّد، ثُمَّ قَالَ: مُحَمَّد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.. [2].. إلى آخر الضلالات والإشاعات الخبيثة التي اشتغل ابن سبأ اليهودي بترويجها وإفساد المجتمع المسلم بإشاعتها.

وبهذه الإشاعات الخبيثة التي أشاعها الفاسدون، وتداولها السذج من المسلمين ثاروا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.. وكانوا في البداية يطلبون خلع عبد الله بن أبي السرح من إمارة مصر.. وأجاب أمير المؤمنين طلبهم، وأرسل معهم خطابًا يطلب

فَإِنَّهُ أَخَذَهَا بِالسَّيْفِ غَصْبًا؟.. قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: هَذَا قَوْلُ سَوْءٍ رَدِيءٌ، يُجَانِبُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَلَا يُجَالِسُونَ، وَيُبَيِّنُ أَمْرَهُمْ لِلنَّاسِ.

(1) راجع: سيرة ابن هشام 2/ 409.

(2) راجع: تاريخ الرسل والملوك للطبري، في أحداث سنة 35هـ (4 / 340) ط. دار المعارف.

من ابن أبي السرح أن يأتيه، لكن الساعين إلى الفتنة (اليهودي عبد الله بن سبأ وجنوده) دسوا إليهم ما أثارهم وأرجعهم، ليتم لهم ما أرادوه.

قال الطبري: ثم رجع الوفد المصريون راضين، فبينا هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم، ثم يفارقهم ويتبينهم قال: قالوا له: ما لك؟ إن لك لأمرا! ما شأنك؟.. فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

فأقبلوا حتى قدموا المدينة، قال: دخلوا على عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا! قال: فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا علي رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت.

قال: وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم على الخاتم.. فقالوا: فقد والله أحل الله دمك، ونقضت العهد والميثاق قال: فحاصروه. ومنعوا عنه الماء حتى أشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال:: أَنْشُدُكُمُ الله هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ بِئْرَ رُومَةَ بِمَالِي لِيُسْتَعْذَبَ بِهَا، فَجَعَلْتُ رِشَائِي فِيهَا كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟.

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَلِمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أُفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ؟! [1].

وكان أمير المؤمنين عثمان ﷺ قد استشار المؤمنين من حوله في هذا الإشاعات الخبيثة، قَالَ: فَأَشِيرُوا عَلَيَّ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ: هَذَا أَمْرٌ مَصْنُوعٌ يُصْنَعُ فِي السِّرِّ، فَيُلْقَى بِهِ غَيْرُ ذِي الْمَعْرِفَةِ، فَيُخْبَرُ بِهِ، فَيُتَحَدَّثُ بِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ.

قَالَ: فَمَا دَوَاءُ ذَلِكَ؟.. قَالَ: طَلَبُ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ، ثُمَّ قَتْلُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَخْرُجُ هَذَا مِنْ عِنْدِهِمْ [1].. ويبدو أن أمير المؤمنين استعظم القتل، فأعرض عنه.

(1) راجع: سيرة ابن هشام 2/ 409، والكامل في التاريخ لابن الأثير 2/ 540.

وبهذا كان الصحابة ﷺ يُدركون أن هذه الفتنة تآمر أثيم، أو (أَمْرٌ مَصْنُوعٌ صُنِعَ فِي السِّرِّ) بالإشاعات الخبيثة لإسقاط حكم أمير المؤمنين عثمان ﷺ بعزله أو بقتله لإرباك الدولة، والكيد للإسلام.

وفي رواية ابن كثير للحدث ما يُشير إلى هذا ، قال: قَالَ عَلِيٌّ لِأَهْلِ مِصْرَ: مَا رَدُّكُمْ بَعْدَ دُهَابِكُمْ وَرُجُوعِكُمْ عَنْ رَأْيِكُمْ؟.

فَقَالُوا: وجدنا مع البريد كتابا بقتلنا إذا دخلنا مصر.. وَكَذَلِكَ قَالَ الْبَصْرِيُّونَ لِطَلْحَةَ، وَالْكُوفِيُّونَ لِلزُّبَيْرِ.. وَقَالَ أهل كل مصر: إنما جئنا للنصر أَصْحَابَنَا.

فَقَالَ لَهُمُ الصَّحَابَةُ: كَيْفَ عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِكُمْ، وَقَدِ افْتَرَقْتُمْ وَصَارَ بَيْنَكُمْ مَرَاحِلُ؟، إِنَّمَا هَذَا أَمْرٌ اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهِ (وهكذا كشف الصحابة السبب الحقيقي للفتنة).

فَقَالُوا: ضَعُوهُ عَلَى مَا أَرَدْتُمْ، لَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرَّجُلِ، لِيَعْتَزِلْنَا وَنَحْنُ نَعْتَزِلُهُ ــ يَعْنُونَ أَنَّهُ إِنْ نَزَلَ عَنِ الْخِلَافَةِ تَرَكُوهُ آمِنًا ــ (هذا هو السبب الظاهر للفتنة، أمَّا السبب الحقيقي فهو الكيد للإسلام والمسلمين).

وَكَانَ الْمِصْرِيُّونَ ــ فِيمَا ذُكِرَ ــ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَجَدُوا فِي الطَّرِيقِ بَرِيدًا يَسِيرُ، فَأَخَذُوهُ فَفَتَّشُوهُ، فإذا معه في إداوة كتابا عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ فِيهِ الْأَمْرُ بِقَتْلِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ، وَبِصَلْبِ آخَرِينَ، وَبِقَطْعِ أَيْدِي آخَرِينَ مِنْهُمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَكَانَ عَلَى الْكِتَابِ طَابَعٌ بِخَاتَمِ عُثْمَانَ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله، فَلَمَّا رَجَعُوا جَاءُوا بِالْكِتَابِ وَدَارُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ.

فَكَلَّمَ النَّاسُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَيِّنَةٌ عَلَيَّ بِذَلِكَ، وإلا فو الله لَا كَتَبْتُ وَلَا أَمْلَيْتُ، وَلَا دَرَيْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالْخَاتَمُ قَدْ يُزَوَّرُ عَلَى الْخَاتَمِ [2].

---

(1) راجع: تاريخ الرسل والملوك للطبري 4: 342.. ويبدو أن أمير المؤمنين عثمان ﷺ كان يستشير بعد أن ازداد المخدوعون بالإشاعات الخبيثة، وتفاقمت الفتنة، وازداد شررها؛ فاستعظم القتل وأعرض عنه.

(2) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 7/ 182، ط. دار الفكر.

وبهذا وضحت الفتنة، ووضح سببها، وهو: الإضرار بالدولة المسلمة، والكيد للإسلام والمسلمين عن طريق إزالة حكم أمير المؤمنين عثمان ﷺ، بعزله أو بقتله.

وفي هذه الإشاعات الخبيثة غاب عقل هؤلاء المسلمين الثائرين، والذين تجاوبوا معهم، ولم يُفتشوا عن سببها وهدفها الحقيقي، وهو إشعال الفتنة، والإطاعة بسيدنا عثمان ﷺ، وأصروا على القيام بفتنتهم حتى دخلوا الدار على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وكان على رأسهم مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَهُ كِنَانَةُ بْنُ بِشْرِ بْنِ عَتَّابٍ، وَسُودَانُ بْنُ حُمْرَانَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، فَوَجَدُوا عُثْمَانَ عِنْدَ امْرَأَتِهِ نَائِلَةَ (بنت الفرافصة) وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَتَقَدَّمَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِلِحْيَةِ عُثْمَانَ، فَقَالَ: قَدْ أَخْزَاكَ الله يَا نَعْثَلُ! [1].. فَقَالَ عُثْمَانُ: لَسْتُ بِنَعْثَلٍ، وَلَكِنِّي عَبْدُ الله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: مَا أَغْنَى عَنْكَ مُعَاوِيَةُ وَفُلانُ وَفُلانُ!.. فَقَالَ عثمان: يا بن أَخِي، دَعْ عَنْكَ لِحْيَتِي، فَمَا كَانَ أَبُوكَ لِيَقْبِضَ عَلَى مَا قَبَضْتَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَوْ رَآكَ أَبِي تَعْمَلُ هَذِهِ الأَعْمَالَ أَنْكَرَهَا عَلَيْكَ، وَمَا أُرِيدُ بِكَ أَشَدَّ مِنْ قَبْضِي عَلَى لِحْيَتِكَ.

قَالَ عُثْمَانُ: أَسْتَنْصِرُ الله عَلَيْكَ وَأَسْتَعِينُ بِهِ.. ثُمَّ طَعَنَ جَبِينَهُ بِمِشْقَصٍ فِي يَدِهِ، وَرَفَعَ كِنَانَةُ بْنُ بِشْرٍ مَشَاقِصَ كَانَتْ فِي يَدِهِ، فَوَجَأَ بِهَا فِي أَصْلِ أُذُنِ عُثْمَانَ، فَمَضَتْ حَتَّى دَخَلَتْ فِي حَلْقِهِ، ثُمَّ عَلاهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ.

---

(1) (نعثل) أي أحمق كما في المعجم الوسيط 2/ 933.. قَالَ ابْن الْكَلْبِيّ: إِنَّمَا قيل لَهُ: نَعْثل لِأَنَّهُ كَانَ يشبَّه بِرَجُل من أهل مصر كَانَ طَوِيل اللِّحْيَة يُسمى نعثلاً، فَكَانَ عُثْمَان إِذا نيل مِنْهُ شُبِّه بذلك الرجل لطول لحيته، وَلم يَكُونُوا يَجدونَ فِيهِ عَيْبا غير هَذَا (راجع: تهذيب اللغة 3/ 232 للأزهري).. وهل هذا عيب يُعاب به سيدنا عثمان؟.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ أَبَا عَوْنٍ يَقُولُ: ضَرَبَ كِنَانَةُ بْنُ بشر جبينه!! [1].

وبهذه الإشاعات الخبيثة قُتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وسقط حكمه، وزال عرشه.. ومن يومها لم تذق الدولة المسلمة طعم الحرية والاستقرار.

17ـ وفي معركة (بلاط الشهداء) المعروفة في التاريخ الأندلسي ذكر الأستاذ عبد الله عنان: أن الجيش الإسلامي وضع غنائمه في مؤخرته، فكانت ثقلاً عليه، وحاول قائده عبد الرحمن الغافقي أن يُبعدها عن الجيش فلم يُفْلح.

وخاض المؤمنون المعركة، وحينما لاح نصرهم افتتح الفرنج ثغرة إلى معسكر الغنائم الإسلامي، وأشاعوا إشاعة خبيثة ارتفعت بها صيحة مجهول في الجيش الإسلامي: بأن معسكر الغنائم سوف يقع في يد العدو.

---

(1) راجع: تاريخ الرسل والملوك 4/ 393.. وخلفاء الرسول ﷺ لخالد حمد خالد 297: 356 .. وعبد الله بن سبأ.. وأثره في أحداث الفتنة، لسلمان بن حمد العودة 112، 147 ط. دار طيبة بالرياض، السعودية.

ويبقى السؤال: لماذا لم يُجبهم أمير المؤمنين إلى اعتزال الحاكم، وينجو بنفسه؟.

ويكفينا أمير المؤمنين عثمان الإجابة على هذا السؤال الكبير.. فقد روى أحمد عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَقْبَلَتْ إِحْدَانَا عَلَى الْأُخْرَى، فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامٍ كَلَّمَهُ، أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ، وَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي... (ثلاثا) (صحيح.. أخرجه أحمد24566، وغيره).

وهذا التوجيه النبوي لمصلحة الدولة الإسلامية فيما بعد، كما يظهر فيما رواه ابن سعد في طبقاته: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: قَالَ لِي عُثْمَانُ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ: مَا تَرَى فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ.. قُلْتُ: مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ؟.. قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يُرِيدُونَ خَلْعِي، فَإِنْ خَلَعْتُ تَرَكُونِي، وَإِنْ لَمْ أَخْلَعْ قَتَلُونِي.. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ خَلَعْتَ تُتْرَكُ مُخَلَّدًا فِي الدُّنْيَا.. قَالَ: لَا.. قَالَ: فَهَلْ يَمْلِكُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؟.. قَالَ: لَا.. قَالَ: فَقُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تَخْلَعْ هَلْ يَزِيدُونَ عَلَى قَتْلِكَ؟.. قَالَ: لَا.. قُلْتُ: فَلَا أَرَى أَنْ تُسُنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، كُلَّمَا سَخِطَ قَوْمٌ عَلَى أَمِيرِهِمْ خَلَعُوهُ ، لَا تَخْلَعْ قَمِيصًا قَمَّصَكَهُ الله اهـ (راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد 3/ 62).

وعندئذ ارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم، فدب الخلل في صفوف المسلمين.

وحاول القائد أن يعيد النظام إلى جيشه، ولكن هيهات، وبينما هو يتنقل أمام الصفوف، أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته، فارتفع إلى ربه شهيدًا، وعم الذعر والاضطراب في الجيش، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين، وكثر القتل في صفوفهم، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل، وافترق الجيشان دون فصل[1].

وقد علق الأستاذ العبادي رحمه الله فقال: وتعد هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ العام، إذْ ترتب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حد كبير.

هذه المعركة من غير شك عظيمة الأهمية جدًا في التاريخ، لا لأن العرب هُزموا فيها وارتدوا، بل لأنهم لم يُعاودوا الغزو مرة أخرى [2].

18ــ وفي معركة فلسطين عام 1948م بين المسلمين واليهود، كان اليهود يأمرون جنودهم بارتداء اللباس العربي، لإرسال إشاعة إلى المجاهدين المسلمين الذي جاءوا من أقطار الإسلام لنصرة إخوانهم الفلسطينيين توهمهم بأن مسلمي فلسطين يقاتلونهم في صفوف اليهود حتى يتركوهم وينصرفوا عن نصرتهم!.

قال الأستاذ كامل الشريف: ولقد حدثني أحد الإخوان الذين اشتركوا في معركة (اللّد) قال: إن هذه الطريقة بالذات اتبعت ضد الجيش الأردني المسلم، إذْ هجمت القوات اليهودية على المدينة، والجنود اليهود يضعون على رءوسهم العقال العربي، وتعلوه شارة الجيش الأردني، فخرج الناس يقولون: إن الجيش الأردني يقاتل مع اليهود جنباً إلى جنب [3].

---

(1) وكان ذلك في 21/ 10 / 732 م (رمضان 114 هـ).. راجع: دولة الإسلام في الأندلس 1/ 100 ط. الخانجي

(2) راجع: الإشاعات الكاذبة، وكيف عالجها الإسلام؟ 186، نقلًا عن كتاب المجمل في تاريخ الأندلس ص 47 للأستاذ / عبد الحميد العبادي.

(3) راجع: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ص 84.

راجت هذه الإشاعات الخبيثة كثيراً بين الجيوش العربية المقاتلة، حتى خذلت عددًا من المؤمنين عن نصرة أخوانهم المؤمنين، وجعلت المهزومين منهم يُعلِّلون هزائمهم بأن عرب فلسطين يُقاتلونهم مع اليهود، ويطلقون عليهم الرصاص من حدائق البرتقال.

وأعجب ما في الأمر أن هذه الإشاعات كانت تلاقى آذاناً صاغية في القيادات العربية، مما كان له أكبر الأثر في تخذيل المسلمين [1].

19 ــ وقال الرائد (كامل أحمد):في حرب حزيران (يونيو) 1967م: وأثناء تقدم العدو باتجاه القدس العربية وقُرَاها قام عملاء العدو ببث إشاعة خبيثة مُفادها: أن الجيش الإسرائيلي يقوم بذبح الشباب، وقتلهم في كل مكان يدخله، وقد تناقلت الجماهير هذه الإشاعة على حسن نية، مدفوعة بالحرص على شبابها، وحدثت الكارثة بنزوح ما لا يقل عن مائة ألف شاب من الضفة الغربية، ثم تبين فيما بعد أنها إشاعة كاذبة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وكان هدف العدو من ورائها تفريغ المناطق التي يتقدم لاحتلالها من سكانها الشباب [2].

20 ــ وفي حرب اليهود على لبنان عام 1982م، قال أحد الكاتبين اللبنانيين: نصف حرب إسرائيل في لبنان كان حربًا عسكرية، ونصفها الآخر كان حربًا نفسية (بالإشاعات الخبيثة).. ويُمكن القول: إن الحرب النفسية كانت أشد إيلامًا من الحرب العسكرية، وخاصة في الأيام الأولى للحرب.

ثم قال الكاتب: مارست إسرائيل في حرب لبنان الأسلوب التقليدي في الحرب النفسية، أي أسلوب حرب الإشاعات، فبعد الأسبوع الأول للحرب، انتشرت إشاعة مدروسة تتناول أسماء معروفة على أنها متعاونة مع إسرائيل، من هذه الإشاعات: أن الرائد (...) وهو من المسئولين العسكريين الفلسطينيين المعروفين في الجنوب، قد وصل إلى (النبطية) على رأس القوات الإسرائيلية، في الوقت الذي كان فيه يخوض مواجهات

---

(1) راجع: كتابنا: القدس والوعد المفترى.

(2) راجع: الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي 269: 272 د. أحمد نوفل.. دار النفائس بيروت.

عنيفة ضد قوات الغزو، ثم ينسحب بانتظام مع قواته إلى منطقة (البقاع)، وفْقًا للأوامر التي لديه.

21 ــ إشاعة بيع الأرض الفلسطينية.

ومن الإشاعات الخبيثة التي روَّجها اليهود بين المسلمين: أن الفلسطينيين باعوا لهم الأرض، وشربوا الخمور بثمنها في أحضان اليهوديات العاهرات.

وهذه إشاعة كذبة خاطئة، فالمعروف أن أكثر الأراضي الفلسطينية وقْفية لا يملكها الأفراد، وكانت الدولة الإسلامية العثمانية تُديرها وتقوم على رعايتها، وبعدما احتل الصليبيون الإنجليز فلسطين اغتصبوها وأعطوها لليهود.

وأكثر القرى والمدن الفلسطينية اغتصبها اليهود بقتل أهلها، وطرد ما تبقى منهم إلى أرض الشتات، مثل: طبريا ودير ياسين وكفر قاسم واللد والرملة، وغيرها [1].

ومن الذي باع الصحراء الفلسطينية والمياه الإقليمية لها؟!.

22 ــ إشاعة نحن وحدنا الذين حاربنا لأجل فلسطين.

ومن الإشاعات التي يُشيعها اليهود، وسمعتها بأذني مرات عديدة: إننا في مصر حاربنا لأجل فلسطين كل حروبها، وتحملنا وحدنا تكاليف تلك الحروب من الفقر والقتل والأزمات ما لم يتحمله غيرنا، ولم يُساعدنا أحد من العرب.. فإلى متى؟.

ونسأل أولاً كل مصري.. وكل عربي.. وكل مسلم:

ما هي الحرب التي خاضها المصريون والعرب والمسلمون لأجل فلسطين؟.

وجوابنا: لا تُوجد معركة خاضها المصريون والعرب والمسلمون لأجل فلسطين منذ احتلالها احتلالاً يهوديًا إلى الآن، ربما نستثني معركة عام 1948م، حيث خرجت سبعة جيوش عربية، وخاضت المعركة لتحرير فلسطين!!.

---

(1) راجع: كتابنا: القدس والوعد المفترى نشر المركز المصري للمطبوعات.

وليتهم أعطوا أهل فلسطين السلاح والمال والتدريب، وتركوهم يُحررون أرضهم بأنفسهم؛ فهم أعرف بمداخلها ومخارجها، وأقدر على تحريرها، وقد قيل: أهل مكة أدرى بشعابها.

ويبدوا أن خروج الجيوش العربية السبعة كان مرسومًا؛ ليغتصب اليهود فلسطين بالحرب، وبهزيمة سبعة دول إسلامية؛ ولهذا خرجت بغير تدريب كاف، ومعها أسلحة فاسدة، وخلفها قيادات لا ترغب في قتال [1].

قال اللواء أحمد المواوي ــ أول قائد للجيش المصري ــ: إن النقراشي قال له: إن الاشتباكات ستكون مجرد مظاهرة سياسية ، وليست عملاً حربياً، ويعتقد أن المسألة ستسوى سياسياً بسرعة، وأن الأمم المتحدة سوف تتدخل.

ولهذا قال أحد العلماء في مرارة: ما فيش فايدة ، هؤلاء الناس ـــ الحكومة المصرية ــ مش عايزين يحاربوا!.. وفي محاضرة له قال بصراحة: إني أشم رائحة خيانة [2].

ثم كانت نكبة عام 1956م، وفيها لم يُقاتل المصريون لأجل فلسطين، بل فاجأهم اليهود مع فرنسا وبريطانيا بالقتال، فيما عُرف بالاعتداء الثلاثي على مصر.

وفي نكبة 1967م لم يُقاتل العرب، بل كانوا يغُطون في لهوٍ داخلي كبير، وشغلتهم قيادتهم بالشعارات القومية والاشتراكية حتى فاجأهم اليهود بالاعتداء، واحتلال سيناء المصرية، والجولان السورية، والضفة الغربية، وغيرها.. وما أضير الفلسطينيون في حرب مثلما أضيروا في هذه النكبة!.

وفي معركة عام 1393هـ = 1973م قاتل المصريون والسوريون قتالاً جادًا لأجل الأرض المحتلة في سيناء والجولان، ولم تكن لأجل فلسطين.

فأي معركة خاضها العرب والمسلمون لأجل فلسطين ؟!.

---

(1) راجع: القدس والوعد المفترى.. لمحمد السيد الشناوي.

(2) نفسه 123 نقلاً عن مجلة آخر ساعة المصرية فى 13/ 5/ 1952 م 0

ولو قلنا: إن مسلمين مصر يتحملون العبء الأكبر في نصرة أهل فلسطين لكان ــ والله ــ فضلاً وشرفًا خصهم الله تعالى به، ولو عقلوا الأمر لرفعوا به رءوسهم عزًا وفخرًا.

والنبي ﷺ يُخبر بهذا الفضل والشرف الذي خص الله به مسلمي مصر، كما جاء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: «اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ الله» [1].

وروى أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ وَعَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ: إِنَّ رَسُولَ الله ^ قَالَ:إِنَّكُمْ ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ، فَإِنَّهُ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عدوكم بإذن الله.. يعني قبط مصر [2].

وعن عمرو بن العاص، قال: حدثني عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا فتح الله عليكم مصر بعدي فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض.

قال أبو بكر: ولم ذاك يا رسول الله؟.. قال: لأنهم في رباط إلى يوم القيامة [3].

---

(1) صحيح.. أخرجه الهيثمي في المجمع 16678، وعزاه للطَّبَرَانِيُّ في الكبير، وقال: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(2) مرسل حسن.. أبو عبد الرحمن ألحبلي (عبد الله بن زيد) تابعي ثقة.. وَعَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ لَيْسَ هُوَ الْمَخْزُومِيُّ، بَلْ هُوَ آخَرُ مُخْتَلِفٌ فِي صُحْبَتِهِ، وقال ابن معين في تاريخه (رقم: 5227): عَمْرو بن حُرَيْث المصري وَلم يسمع من النَّبِي ﷺ شَيْئا إِنَّمَا هُوَ رجل من أهل مصر .. أخرجه ابن حبان 6677، وأبو يعلى 1473، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية 4195، والهيثمي في المجمع 16681، وقال: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(3) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة رقم 1029، وعلاء الدين الهندي في كنز العمال 38262، وعزاه لابن عبد الحكم في فتوح مصر، وقال: وفيه ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري عن بحر بن داخر المعافري، ولم أر للأسود ترجمة إلا أن ابن حبان ذكر في الثقات: أنه يروى عن بحر بن داخر، ووثق بحرًا.

وروى أَبُو ذَرٍّ ﷺ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا» (1).

23 ــ إشاعة: الوهابية.

ومن الإشاعات الخبيثة التي شاعت وانتشرت في عالمنا الإسلامي: الوهابية.

فمع أن كلمة (الوهابية) لا حرج فيها من ناحية اللغة لكن الذين ابتدعوها وأشاعوها حمّلوها معاني كريهة مُنفِّرة، ينفر منها المسلم، وينفر ممن يُتهم بها.

فقد حمَّلوها: معنى كراهية أهل بيت النبي ﷺ، ومعاداة أولياء الله الصالحين.. فإذا اتهموا بها مسلمًا فمعناه: أنه يكره أهل البيت، ويُعادي أولياء الله الصالحين!.

وقد انخدع بهذه الإشاعة الخبيثة الجهال والسذج من المسلمين وصدقوها، وصاروا يُعادون كل من يُوصف بها، وأضحى كل من يريد الكيد لمسلم أو يثأر منه يتهمه بأنه وهابي، ويكفي هذا لكي يصبح منبوذًا بين قومه.

قال الأستاذ على الطنطاوي رحمه الله تحت عنوان: مضحكات ومبكيات: ولقد أخبرني الأستاذ أبو الأعلى المودودي أنه كان في بلدة في (الهند) مرابٍ مجوسي يستقرض منه بعض جهلة المسلمين بالربا الفاحش، وكان له على واحد منهم دين عجز عن وفائه، فرفع المرابي الأمر إلى القاضي، فجاء المسلم المسجد فقام فيه، وقال: إن فلاناً (المرابي) قد صار وهابيًا!.. (لاحظ أن المرابي مجوسي!).

فقاطعه المسلمون حتى كاد يفلس، فتحرى عن السبب، فلما عرفه رجع إلى المدين فأسقط عنه الدين وترضاه أن ينفي عنه تهمة الوهابية.. فعاد المسلم إلى المسجد فقال: إن فلاناً قد تاب من الوهابية ورجع إلى دينه؛ فرجعوا إلى معاملته!.

وذكر (علي الطنطاوي) في ترجمة أحمد بن عرفان الشهيد، خبر الدولة الإسلامية التي أقامها في شمالي الهند، وحارب السيخ وكسرهم، وعجز عنها الإنكليز، فلم يجدوا

(1) أخرجه مسلم 2543، وابن حبان 6676، والبيهقي في الكبرى 18739، وغيرهم.

وسيلة إلى القضاء عليها، إلا اتهامها عند شيوخ القبائل الأفغانية بأنها دولة وهابية، فاستحلوا بذلك قتالها وقضوا عليها!! .

وأخبرني الشيخ فوزان ــ سفير السعودية في الهند ـــ لما قابلته في بومباي: أن المنبوذين في الهند، وهم زهاء أربعين مليوناً، قبلوا الدخول في الإسلام من نحو نصف قرن وأقبلوا عليه أفواجاً، فما كان من الإنكليز إلا أن عمدوا إلى سلاحهم القديم وهو التهمة بالوهابية، فأثاروا بذلك العامة، وأفهموهم أن هؤلاء إن أسلموا صاروا وهابيين، فعقدت لهم امتحانات، يسألونهم فيها عن الوهابية، ورأيهم فيها، وفي مسائلها؛ فكانت العاقبة أن انصرفوا عن الإسلام وآثروا البقاء على ما هم فيه[1].

معنى هذا أن الصليبيين استخدموا تلك الإشاعة الخبيثة في كل بلد إسلامي لهم فيه نفوذ لمحاربة التوحيد، وإبعاد الناس عنه، ليظل المسلم قائمًا على إسلام ممسوخ بالبدع والخرافات، فيكون أمامهم ضعيفًا، ويتمكنوا من احتلال بلاده، مثلما حدث في الهند.. حيث كان كل من رفع يديه في الصلاة أو جهر بآمين معرضًا لأشد أنواع الأذى لأنه ـــ في زعمهم ــ وهابي!.

ومع أن العلامة الإمام صديق حسن خان ــ رحمه الله ــ بلغ رتبة عالية في أمور الدنيا، ومنزلة عليا في العلم والتقى كان المخالفون له الذين يتربصون به الدوائر يتملقون لدى المستعمرين البريطانيين، ويتمنون إقصاءه من منصبه، وكانت جريمته التي وشوا بها لدى المستعمرين (الصليبيين) بأنه ينشر المذهب الوهابي، وأنه يريد أن ينظم حركة الجهاد الإسلامي.

ولهذا كان الشغل الشاغل لدى صديق حسن خان كغيره من زعماء الموحدين في الهند في ذلك الوقت هو الدفاع عن أرواح الموحدين في الهند وأموالهم وأعراضهم، حيث كانوا يؤخذون بجريمة (الوهابية) يُقْتلون ويُنفوْن ويُشرَّدون؛ فكان الغالب في كتاباته وكثير

(1) راجع: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب 131، 132.

من علماء أهل الحديث في ذلك الوقت هو بيان أن الموحدين في الهند ليست لهم صلة مع أهل نجد، يعني ليسوا وهابيين، وليس لهم صلة بالوهابيين [1].

لازلت أذكر: حينما كنت حديث عهد بالعمل في مساجد وزارة الأوقاف المصرية دعوت المسلمين على منبر مسجدي إلى هجر (البدع) المتعلقة بالعبادات؛ فصاح في وجهي أحد معارفي ــ وكأنه أصيب بسُّعار هستيري ــ: يا شيخ محمد، أنت وهابي.. أنت وهابي.. أنت وهابي!.

فقلت في نفسي: ما معنى وهابي.. وهابي؟.. إني تدرجت في التعليم الأزهري، ولم أقل شيئًا إلا مما تعلمته في الأزهر، في مختصر صحيح البخاري وشرحه، وفي الفقه الإسلامي وشرحه، وما دار في ذهني أني أكره أهل البيت، ولا أولياء الله الصالحين، ولا دعوت الناس إلى كراهيتهم.. وقد تعلمت في الأزهر أن حب أهل البيت فريضة إسلامية، وأن الصالحين من المؤمنين حبهم مرغوب، وأن المسلم يجب أن يكون عف اللسان عن لحوم الناس، وخاصة عن لحوم الصالحين من المؤمنين.

وكانت أول مرة في حياتي أسمع بهذه الإشاعة الخبيثة؛ وأول مرة يتهمني بها أحد؛ لأجل تنفير الناس مني ومن الاستماع إليَّ، وعرفت بعد ذلك أن هذه الإشاعة الخبيثة يستخدمها الناس في اتهام من يُخالفهم؛ لأجل تنفير الناس منه، وإبعادهم عنه.

وحينما أرجع إلى أصل هذه الإشاعة الخبيثة أجدها نسبة إلى الإمام: محمد ابن عبد الوهاب النجدي رحمه الله، وقد قرأت عددًا من كتبه، وفي مقدمتها كتابه الشهير: (التوحيد)، وأشهد أني ما وجدت فيه إلا آيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ^ التي تتحدث عن التوحيد نقيًّا صافيًا من كدر شوائب الشرك.

---

(1) قال الأستاذ مسعود الندوي: وهم كانوا على حق في ذلك، فالموحدون في الهند لم يتعلموا عقيدتهم من أهل نجد، ولكنهم تعلموها من الكتاب والسنة، فالتقوا مع أهل نجد ومع غيرهم على جادة الحق وصراط الهدى (راجع: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه 211، الطبعة الأولى، 1397هـ = 1977م).

وقد شرحت على منبر مسجدي أكثر موضوعات هذا الكتاب في التوحيد، وشرحته للمسلمين في دروسي الليلية، فلم يسمع المسلمون على لساني سوى القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ^، ولم يسمعوا مني إساءة لأحد من المؤمنين الصالحين أحياءً وأمواتًا [1].

هذا، وقد عملت مدرسًا في وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية، ودرَّست الطلاب هناك علم التوحيد في سنوات المرحلة المتوسطة، وكان المنهج المُقرر في السنوات الثلاث موضوعات مختارة من كتاب (التوحيد) لابن عبد الوهاب، وقد وجدت أن كل ما يُعاب على الكتاب أنه خلا من شوائب الفلسفة في العقيدة، وعمل بدأب على ترسيخ عقيدة التوحيد صافية، ولم أسمع قط عن هذه البدعة (الوهابية) في بلد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وقد قرأت وأنا أكتب الرد على هذه الإشاعة أن المُلا عمران بن رضوان ــ الغالب أنه من معاصري الشيخ ابن عبد الوهاب ــ قد آلمه هذا الاتهام الخبيث بعدما عرف التوحيد الذي يدعو له ابن عبد الوهاب، فقال:

إن كان تابع أحمد متوهِّبًا * فأنا المُقر بأنني وهابي

أصل إشاعة الاتهام بالوهابية.

وبتتبع منبع هذه الإشاعة وجدتها تنبع من معين السياسة.

فقد أنشأتها وروَّجتها إدارة الدولة العثمانية ووواليها على مصر محمد علي من ناحية، والصليبيون من ناحية أخرى.. واستخدموا فيها الدين سبيلًا لاستثارة عواطف العامة من المسلمين ضد إخوانهم المؤمنين في بلاد الحرميْن الشريفيْن.

---

(1) في ثلاث مساجد، الأول: مسجد الأنصاري بقرية طرينة (م. المحلة الكبرى ... مصر)، والثاني: مسجد الغمري القبلي بالمحلة الكبرى.. والثالث: مسجد أبو بكر الطريني بالمحلة الكبرى، وقد عملت فيه ما يربو على عشرين سنة، ولم أتركه إلا بعد أن جدد الله تعالى بناءه على يدي تجديدًا مطلوبًا، أسأل الله أن يجعله في ميزاني، وميزان كل من شارك في بنائه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ا ــ فقد قام عدد من العلماء الموالين للدولة العثمانية في بلاد الجزيرة العربية بتسويغ الاعتداء على المؤمنين الموحدين في بلاد الحرميْن الشريفيْن، مثل: الشيخ سليمان بن محمد بن سحيم (من علماء الرياض ت 1181هـ)، فقد نشر رسالة يتهم فيها الإمام ابن عبد الوهاب بأنه يهدم قباب الصالحين، مثل: قبة زيد بن الخطاب، ويُكفِّر ابن الفارض وابن عربي.. الخ.

أما القباب على القبور فلم يفعلها رسول الله ^، ولو كان في بنائها خيرٌ للحي والمقبور لفعلها ﷺ، أو لدلَّنا عليها.

وهدي رسول الله ^ في بناء القبور معروف ومُشاهد في مقبرة المدينة (البقيع).

وإذا كان ابن عبد الوهاب هدم القباب التي على القبور فهو من محاسن أعماله، ويجب أن يُشْكر عليه، وقد قيل:

إذا كانت محاسني اللاتي أُدلُّ بها * كانت عيوبي، فقل لي كيف أعتذرُ؟.

وقبور زيد المذكور وأصحابه فمجهولة، وقد جزم الأستاذ مسعود الندوي نقلاً عن العلماء أنها ليست معروفة.

أمَّا تكفير ابن عربي وابن الفارض فقد جاء عن عدد كبير من الأئمة، مثل: عز الدين بن عبد السلام، وابن دقيق العيد والقسطلاني والحافظ ابن حجر والعيني وزين الدين العراقي وغيرهم بسبب المنقول عنهما [1].

قال الإمام البقاعي في كتابه مصرع التصوف: وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما، وما صدَّق ذلك من كلامهما [2].

---

(1) راجع: محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم، ومفترى عليه 206، نقلًا عن الدرر السنية 46.

(2) وقال: أمَّا ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جدًا، وكان له علم كثير في فنون كثيرة؛ فأثنى عليه ناس من العلماء والمؤرخين، وأطبق على تكفيره عدد غفير من العلماء.. وأمَّا ابن الفارض فقد أثنى عليه عدد من العلماء، ودمغه بالفسق أو التكفير عدد آخر من العلماء. والله تعالى أعلم بحاله (راجع في حاله: مصرع التصوف للإمام البقاعي 214، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط. دار التقوى، مصر).

وقد بلغ الافتراء على الإمام محمد بن عبد الوهاب حد الفجور حتى أشاع أحمد ابن زيني بن دحلان قوله الكذوب: إن الظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدَّعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك [1].

وهذا كذب، فما كان محمد بن عبد الوهاب إلا عالمًا مسلمًا، داعيًا إلى اتِّباع القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتناب البدع التي شوَّهت صفاء التوحيد، وعسَّرت على الناس العبادة.

ومع هؤلاء: أشراف مكة وأنصارهم الذين اشتد غضبهم وتشنيعهم على ابن عبد الوهاب بسبب انقطاع عطاياهم وموارادهم من الهدايا والنذور التي كانت تأتيهم بوجود القباب على القبور، وكانوا يعتاشون بها في ترف زائد.

قال الجبرتي رحمه الله: وحضر في صحبة الحِجَّاج كثير من أهل مكة؛ هروبًا من الوهابي، ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه، فمنهم من يجعله خارجيًّا وكافرًا، وهم المكيون ومن تابعهم وصدَّق أقوالهم، ومنهم من يقول بخلاف ذلك؛ لخلو غرضه [2].

وقول الجبرتي رحمه الله: (لخلو غرضه) معناه: أن الطاعنين في ابن عبد الوهاب لهم أغراض في الطعن فيه، فهم الذين انقطعت منافعهم التي كانت تأتيهم ببدع القبور والموالد الصوفية!!.. أمَّا من لم يكن لهم غرض ولا منفعة في دعوة محمد ابن عبد الوهاب فلم يقل فيه إلا عدلاً.

وفي ذات الوقت عزم محمد علي والي مصر وقتئذ، ومن ورائه الدولة العثمانية والدول الصليبية على مسير الجيش المصري لشن الحرب العدوانية على المؤمنين الموحدين في بلاد الحرميْن الشريفيْن.

---

(1) راجع: محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم، ومفترى عليه 204.

(2) تاريخ الجبرتي 3/ 401 في حوادث 2/ 1218هـ). ط. دار الكتب والوثائق المصرية.

وقد جمع محمد علي علماء الأزهر وقال لهم: لا يخفاكم أن الحرمين استولى عليها الوهابيون، ومشُّوا أحكامهم بها، وقد وردت علينا الأوامر السلطانية (العثمانية) للخروج إليهم ومحاربتهم، وجلاؤهم وطردهم من الحرميْن الشريفيْن [1].

فإنهم يعلمون أن الشعب المصري مسلم يحب آل بيت رسول الله ^، وأن بلاد الحرميْن الشريفيْن لها قدسية وحُرمة لديه؛ فأشاعوا في ربوعه أن جيشه المصري ذاهب ليُحارب الوهابيين الكفار الذين يكرهون أهل البيت، ويُعادون أولياء الله الصالحين، ويُريدون هدم الملة المحمدية.

وبهذا الإفك الخبيث انخدع الشعب المصري والعالم الإسلامي ورضي عن خروج جيشه لهذا المهمة المؤسفة.

وقد عرَّفنا بهذه الجريمة المؤرخ المصري المعاصر لهذه المرحلة عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى حيث قال: وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برًا وبحرًا، يتلو بعضهم بعضا في شعبان ورمضان، وبرز عرضي (خليل باشا) إلى خارج باب النصر، وترددوا في الخروج والدخول، واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر، فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام [2].

ومعنى قول الجبرتي في استباحة الجنود الفطر في شهر الصيام أن القيادة ألقت في يقينهم واعتقادهم أنهم في جهاد يُباح فيه الفطر في شهر الصيام، وأفْهمتهم أنهم خارجون لجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام!.

---

(1) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 129 في حوادث محرم 1223هـ = 28/ 2/ 1808م.
وللصليبيين منفعة كبيرة في هذه الحرب الضروس ضد المؤمنين الموحدين؛ لأنهم يُعتبرون أن استحضار التوحيد، وتمكينه في دولة تقوم به تجديد للانبعاث والمد الإسلامي، الذي يأبى الاستبداد والظلم، ويُحرض على الحرية والعزة، ويسعى لنشر الإسلام وتمكينه في الأرض.

(2) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 449، في حوادث رمضان سنة 1233هـ = 3/ 8/ 1818م.

وقد عملت هذه الإشاعة الخبيثة تأثيرها في سلوك الجنود المصريين؛ فحينما نزلوا بلاد الحرميْن الشريفيْن اعتدوا على أهلها اعتداءً فاحشًا، ويقولون: هؤلاء الكفار الخوارج (أي أتباع محمد بن عبد الوهاب) [1].

وكلما تمكنوا من احتلال بلد من بلاد الحرميْن الشريفيْن عاثوا فيها فسادًا، واستباحوا حرماتها من الأموال والأعراض.

مثال ذلك: حينما رست مراكب الجيش المصري إلى (ينبع) لإنقاذ الحجاز من الكفار الخوارج (زعموا)، قال الجبرتي: نهبت ــ الجنود ــ ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر، وأخذوهن أسرى، ويبيعوهن على بعضهم البعض! [2].

وقد نقل الجبرتي عن شهادة ضابط مصري كبير، قال: ولما وصلوا (جنود الجيش المصري) بدرًا (قريب من المدينة) واستولوا عليه وعلى القرى، وبها خيار الناس ـــ من المؤمنين ــ وبها أهل العلم والصلحاء نهبوهم، وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم، فكانوا يفعلون فيهم، ويبيعونهم بعضهم لبعض، ويقولون: هؤلاء الكفار

---

(1) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 226، في حوادث رمضان سنة 1217هـ = 25/ 1/ 1812.
يقصد بالخوارج الإمام محمد بن عبد الوهاب والذين معه.. بين يدي الآن كتاب قديم كُتب في هذه المرحلة، اسمه: (صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، لعبد الله حسن فضل الله. أمير ظفار)، وذكر فيه عددًا من الإشاعات التي لا يقبلها عقل، مثل زعمه: أن ابن عبد الوهاب كان يأمر بحلق رءوس النساء اللاتي يتبعنه (ص 123).. وأن جماعته يعتبرون بلاد المسلمين دار حرب، وبلادهم دار إيمان تجب الهجرة إليها (160).. وأنهم وجدوا ـــ في الطائف ـــ جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعًا (134).. وأنهم كانوا يقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد.. الخ.

(2) راجع: السعوديون والحل الإسلامي 180.. للأستاذ: محمد جلال كشك رحمه الله، نقلاً عن تاريخ الجبرتي.

الخوارج!!، حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العساكر زوجته، فقال له: حتى تبيت معي هذه الليلة، وأعطيها لك من الغد! [1].

معنى هذا: أن هؤلاء الجنود إمَّا أن يكونوا غير مسلمين.. أو من المسلمين الذي غسلوا أدمغتهم بهذه الإشاعة الخبيثة، وأفهموهم أنهم يُقاتلون الكفار الخوارج!!.

هذا، بينما شهد المُنصفون من كبار الضباط المصريين بأن أتباع محمد بن عبد الوهاب لم يكونوا كُفارًا كما ألقت قيادات الضلال في نفوس الجنود المصريين، بل كانوا مؤمنين على استقامة التوحيد وسلامة العبادة والأخلاق.

وقد نقل الجبرتي شيئًا من هذا في شهادة ضابط مصري كبير، فقال:

ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر؟ وأكثر عساكرنا على غير الملة!!، وفيهم من لا يتدين بدين!!، ولا ينتحل مذهبًا، وصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عرضينا (جمْعَنا) أذان ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم (الوهابيون) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون من ذلك؛ لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته.

ويُنادون في معسكرهم: هلموا إلى حرب المشركين المُحلِّقين الذقون ، المُستبيحين الزنا واللواط، والشاربين الخمور، التاركين الصلاة، الآكلين الربا، القاتلين الأنفس، المستحلين الحرمات.. قال: وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر (في الجيش المصري) فوجدوهم غُلْفًا غير مختونين [2] اهـ.

وقول الضابط المصري الشاهد: (وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين.. فوجدوهم غُلْفًا غير مختونين) معناه: أن محمد علي وحكومته ومن ورائه

(1) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 226، في حوادث رمضان سنة 1217هـ = 25/ 1/ 1812.

(2) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 226، في حوادث رمضان سنة 1217هـ = 25/ 1/ 1812.

الدولة العثمانية لم يستطيعوا أن يخدعوا كل المسلمين في مصر؛ فاستعانوا بغير المسلمين؛ لقتل المسلمين الموحدين في بلاد الحرميْن الشريفيْن؛ لأغراض سياسية.

ويسخر الجبرتي من كبار قادة هذا الجيش المصري لما خلعوه على أنفسهم من ألقاب تُبين خداعهم للشعب المصري، مثل لقب: مجاهدون، وعائدون من غزو الكفار، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين، وطردوا المُخالفين لديانتهم، حتى إن (طوسون) باشا قائد الجيش وابن محمد علي، وحسن باشا، كتبا في إمضائهما على المراسلات بعد اسمهما لقب: الغازي.. والله أعلم بخلقه [1] (كذا قال الجبرتي!!).

الغريب أن عامة علماء الأزهر في مصر انخدعوا بدعاية محمد علي وحكومته ضد الإمام ابن عبد الوهاب، وصدقوا ما أرادوه بإشاعة الوهابية، وباركوا خروج الجيش المصري لمحاربة أهل التوحيد، وحينما جاء عدد من علماء الحجاز من تلاميذ ابن عبد الوهاب، إلى مصر وعرضوا عليهم عقيدتهم الإسلامية التوحيدية انكشف لهم الكذب المستور، وافتضحت أمامهم حقيقة الإشاعات الخبيثة.

وحينما جاء شيخ الركب المغربي ومعه كتب وأوراق تتضمن دعوة محمد بن عبد الوهاب وعقيدته عرضها المؤرخ الجبرتي في تاريخه بأمانة ، كأنه يقول للناس ليس فيما سمعتم عن ابن عبد الوهاب ما يُشينه في الإسلام، وأن الإشاعات التي أشاعها محمد علي، والدولة العثماني والصليبية كلها كذب، وأن العقيدة التي عليها محمد بن عبد الوهاب ويدعو الناس لها، ويُريد نشرها في العالم الإسلامي لا تزيد على ما عند علماء الأزهر في العقيدة الإسلامية.

قال الجبرتي رحمه الله تعالى: أقول: إن كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان، والحافظ المقريزي في تجريد التوحيد، والإمام اليوسيفي

(1) راجع: السعوديون والحل الإسلامي 187... للأستاذ: محمد جلال كشك رحمه الله.

في شرح الكبرى، وشرح الحكم لابن عباد، وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل، وكتاب مصايد الشيطان، وغير ذلك [1].

وحينما التقى الجبرتي برجلين من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعجبه فيهما حسن الاعتقاد واستقامة السلوك الإسلامي، واهتمام بالعلم والأدب الإسلامي، وقال: فوجدت منهما أُنْسًا، وطلاقة لسان، وتضلعًا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحُسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبد الله، والآخر عبد العزيز، وهو الأكبر حسًا ومعنى [2].

ثم تحدث عن كذب الإشاعة الخبيثة التي انقطع بسببها: الحج الشامي والمصري مُعتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج، قال: والحال ليس كذلك، فإنه لم يمنع أحدًا يأتي إلى الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يُجيزها الشرع، مثل: الطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة، وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله، ولم يتعرض لهم أحد بشيء [3].

هذه شهادة إمام المؤرخين المصريين لهذه المرحلة من تاريخنا .. أمَّا شهادة غيره من العلماء، فنكتفي منها باثنيْن من المسلمين، وثلاثة من علماء العجم.

شهادة الإمام: محمد عبده.

قال حافظ وهبه في كتابه (20 عاماً في جزيرة العرب) وهو يتحدث عن طلبة العلم في الأزهر أنه سمع الإمام محمد عبده مفتي مصر يثني في دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويلقبه بالمصلح العظيم، ويلقي تبعة وقف دعوته على

(1) راجع: تاريخ الجبرتي 3/ 403، 404، في حوادث صفر سنة 1218هـ = 24/ 5/ 1803م.

(2) راجع: السعوديون والحل الإسلامي 187.. للأستاذ: محمد جلال كشك رحمه الله.

(3) راجع: تاريخ الجبرتي 4/ 141، في حوادث ذي الحجة 1223هـ = 8 من فبراير 1809م.

الأتراك وعلى محمد علي الألباني؛ لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدعة والخرافات ومجافاة حقائق الإسلام [1].

شهادة الإمام: محمد رشيد رضا.

وقال تلميذه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا: لم يخل قرن من القرون التي فيها البدع من علماء ربانيين، يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. كما ورد في الأحاديث. ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المُنْتهَكة فهبت لمناهضته واضطهاده، القوى الثلاث قوة الدولة والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام[2].

شهادة دائرة المعارف البريطانية

قالت دائرة المعارف البريطانية: الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح [3].

شهادة المستشرق الفرنسي (هنري لاوست).

وقال المستشرق الفرنسي (هنري لاوست):

إن السلفية لقب يطلق على الحركة الوهابية لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفائه الأول في عهد السلف الصالح إن هذه الحركة السلفية تتميز عن غيرها بأن نظرياتها أدنى

(1) راجع: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب 45، 46.

(2) راجع: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب 9 .

(3) راجع: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب 124.

إلى العقل وأنها تفتح باب الاجتهاد وتكافح الخرافات والغلو في الدين وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر [1].

شهادة المستشرق الأسباني (أرمانوا).

هذا، ونُوجز القول في هذه الإشاعة الخبيثة بقول المستشرق الأسباني (أرمانوا) الذي طاف الجزيرة العربية عام 1921م: إن كل ما أُلصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق، فالوهابيون قوم يُريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة محمد (ﷺ) وإنما ينقصهم للوصول إلى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مُثقفون، وهم يا للأسف قلائل في هذه الديار، كما تنقصهم أيضًا الدعاية لأجل إظهارهم على حقيقتهم البريئة الشريفة [2].

24 ــ إشاعة ظهور السيدة مريم العذراء على كنائس مصر!!.

ومن الإشاعات الخبيثة التي راجت في مصر منذ منتصف عام 1968م: إشاعة ظهور السيدة مريم العذراء في سماء كنائس مصر.

مع تصديقنا بظهور إشعاع فوق بعض الكنائس إلا أننا نؤمن أن الادعاء بأنه السيدة مريم العذراء بُعثت وظهرت للناس إشاعة كاذبة خاطئة.

أجل، هذه الإشاعة ليس لها في الإسلام أصل، بل الإسلام ينفيها ويُكذِّبها؛ ففي عقيدته أن بعث الموتى لا يكون إلا يوم القيامة؟.. ومع هذا انخدع بها عددٌ من عامة المسلمين في مصر، واحتشدوا في مكان الظهور المزعوم ليُشاهدوه!!.

وكان الأَوْلى بهم أن يستعملوا عقولهم، ويتساءلوا: لماذا تظهر مريم العذراء دون غيرها من المؤمنين الصالحين؟.. لماذا لم يظهر النبي موسى عليه السلام أو النبي إبراهيم عليه السلام... أو النبي يحيى عليه السلام، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام إن كان هذا الظهور صحيحًا ؟!... وهل جاء في عقيدة الإسلام أن البعث يكون قبل يوم القيامة؟.

---

(1) راجع: الوهابية تحت المجهر 64 د. ياسر السلامة، ط. وزارة الأوقاف السعودية.

(2) راجع: الوهابية تحت المجهر 68 د. ياسر السلامة.. نقلاً عن الديانات والحضارات لطه المدور 142.

ولماذا لم يذكروا أنهم لم يروا إلا إشعاعًا راسمًا صورة العذراء التي في الكنيسة، وهي صورة خيالية رسمها الرسامون وفْقًا لخيالهم، وليست هي الصورة الحقيقة لمريم عليها السلام؛ حيث لم يكن في عصرها تصوير ضوئي كالذي في عصرنا.

قال شيخنا محمد الغزالي رحمه الله: كأنما الصحف المصرية كانت على موعد مع هذه الإشاعة، فقد ظهرت كلها بغتة، وهى تذكر النبأ الغامض، وتنشر صورة البرج المحظوظ، وتلح إلى حد الإسفاف في توكيد القصة..

وذهبنا أنا (محمد الغزالي) والشيخ (محمد أبو زهرة) وآخرون، ومكثنا ليلاً طويلاً نرقب الأفق، ونبحث في الجو، ونفتش عن شيء، فلا نجد شيئاً البتة، وبين الحين والحين نسمع صياحاً من الدهماء المحتشدين لا يلبث أن ينكشف عن صفر.. عن فراغ.. عن ظلام يسود السماء فوقنا.. لا عذراء ولا شمطاء.. وعدنا وكتبنا ما شهدنا، وفوجئنا بالرقابة تمنع النشر.

وقال لنا بعض الخبراء: إن الحكومة محتاجة إلى جعل هذه المنطقة سياحية، لحاجتها إلى المال، ويهمها أن يبقى الخبر ولو كان مكذوباً.

ولقيني (الدكتور محمد جمال الدين الفندى)أستاذ الظواهر، وذكر:أن الشعاع الذي قيل برؤيته فوق برج كنيسة الزيتون ظاهرة طبيعية، إنها من ظواهر الكون الكهربائية التي تحدث تحت ظروف جوية معينة! [1]. انتهى كلام الشيخ الغزالي.

ونذكر هنا للمؤمنين: إن هذا الحدث لم يكن ظاهرة طبيعة، كما ذكر الدكتور ألفندي، إنما كان خدعة صناعية قام بها القساوسة في الكنيسة عن طريق جهاز إليكتروني يُصدر ضوءًا إشعاعيًا مثلما يفعله كشَّاف (الليزر) في يد الناس في عصرنا،

(1) ثم قال شيخنا محمد الغزالي: حاول الدكتور محمد جمال الدين الفندي أن ينشر بحثه في الصحف فأبت، والغريب أنه لما نشر في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية منع دخولها مصر (راجع: قذائف الحق لشخنا محمد الغزالي 59، 60، 64.ط. دار القلم.. دمشق).

ومن المتيقن أنهم وضعوا أمام هذا الجهاز الإليكتروني صورة العذراء التي يرسمونها في الكنائس، ثم يُسلطون مصباحه أو ضوءه في الهواء نازلاً من أعلى سماء الكنيسة إلى أسفل؛ فتبدو صورة العذراء في الفضاء كأنها هابطة من السماء [1]!.

هذا تفسير لما قاله قساوسة التنصير في مؤتمر (كلورادو) لتنصير المسلمين للقس (شاروبيم) عضو المؤتمر حيث استقبلوه بالتصفيق لإحسانه صناعة هذا الظهور المزعوم عن طريق الأجهزة التي أرسلوها إليه.

وقد نقل هذا الخبر الصحافي المصري الأستاذ صابر شوكت، قال: وكانت أحداث تلك الظاهرة ــ ظهور السيدة العذراء ــ في سطور تلك القصاصة الورقية التي تحدث خلالها أحد المبشرين المجتمعين في مؤتمر المبشرين بأمريكا عام 1978م عندما قال: نهنئ القس شاروبيم على مجهوده الرائع الذي قام به في عملية معجزة ظهور السيدة العذراء فوق كنائس القاهرة منذ عام 1968م، وقدرته الفائقة على استيعاب الأجهزة الإليكترونية الحديثة التي أرسلناها إليه من أمريكا وقتها؛ لاستخدامها في تكبير وانعكاسات أشعة تُكوِّن صورة السيدة العذراء فوق الكنائس، وكأنها هابطة من السماء.

وإن كانت عملية الظهور لم تُؤت نتائجها، وفوجئنا بصحوة المصريين، وهزيمة إسرائيل في يوم كيبور[2]، إلا أنها حققت مكسبًا كبيرًا لم نكن نتخيله، وهي أنها أرست قواعد نشر المعجزات في مصر، ولا زال أثرها ملموسًا بقوة داخل الكنائس

(1) هذا العمل بات معروفًا في عصرنا، حيث يستطيع الناس عن طريق هذه الأجهزة الإلكترونية وكشاف الليزر أن يرسموا في الفضاء ما يُريدونه من الصور أو الكتابة.

(2) هي معركة العاشر من شهر رمضان سنة 1393هـ الموافق السادس من شهر أكتوبر لعام / 1973م، بين مصر وسوريا من جانب واليهود من جانب آ خر.

هناك، وعلينا أن نستثمر ذلك النجاح المذهل لتدعيم خطتنا الجديدة [1]!.

نعم، إن هذا الظهور المزعوم هدفه تنصيري خالص، أو تحقيق مكاسب للنصرانية، وإن لم يتنصَّر أحد من المسلمين، وهذا ما حدث بالفعل في مناطق الظهور المزعوم في مصر وغير مصر.

فقد ذكر شيخنا محمد الغزالي: أن محافظ القاهرة (سعد زايد) ذهب ليضع تخطيطاً جديداً للميدان، يُلائم الكنيسة التي سوف تبنى تخليداً لهذا الحدث الجليل.. وعلمت بعد ذلك من زملائي وتلامذتي أن لتجليات العذراء دورات منظمة مقصودة.. فقد ظهرت في (الحبشة) قريباً من أحد المساجد الكبرى فاستولت عليه السلطة فوراً، وشيدت على المكان كله كنيسة سامقة!.

وظهرت في (لبنان) فشدت من أزر المسيحية التي تريد فرض وجودها على جباله وسهوله مع أن كثرة لبنان مسلمة.

وها هي ذي قد ظهرت في القاهرة أخيراً لتضاعف من نشاط إخواننا الأقباط كي يشددوا ضغطهم على الإسلام.. والأغرب من ذلك أن الأوامر صدرت لأئمة المساجد ألا يتعرضوا للقصة من قريب أو بعيد!

وقد ظلت جريدة (وطني) المصرية المسيحية تتحدث عن هذا التجلي الموهوم قريباً من سنة، حيث ظل العرض مستمر، والخوارق تترى.

كل ذلك وأفواه المسلمين مكممة، وأقلامهم مكسورة؛ حتى لا تتحدث عن هذا الظهور المهزلة؛ حفاظاً على الوحدة الوطنية! [2].

---

(1) راجع: أسرار مملكة السحرة السوداء 48، لصابر شوكت.. ط. دار الجنتل.. مصر.

(2) راجع: قذائف الحق لشخنا محمد الغزالي 64.. دار القلم .. دمشق.

الفصل الثاني

علاج الإشاعات الخبيثة

في ضوء القرآن والسنة.

الفصل الثاني

علاج الإشاعات الخبيثة

في ضوء القرآن والسنة.

في سبيل العلاج

وبعد أن بيَّنَّا حقيقة الإشاعات الخبيثة وأنواعها، وألقينا الضوء علي أضرارها علي الفرد والأمة، وكشفنا بواعث شيوعها بقى علينا أن نبيِّن العلاج ووسائله.

وقد قعد الإسلام للإشاعات الخبيثة كل مرصد، ووضع لها من الوسائل العلاجية ما يحيط بها من كل جانب؛ بما يكفل علاجها.

ونؤكد من البداية أن علاجها في الإسلام متعدد ومتنوع ومتداخل ، يقوم به الفرد والأسرة والمجتمع والحاكم.. فكلهم مسئولون عن مجاهدتها، كما يقول النبي ﷺ: كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته [1].

فالحاكم في سلطته مَسئول ، والمربى في مدرسته مَسْئول ، والزارع في أرضه مَسْئول ، والصانع في مصنعه مَسْئول ، والتاجر في متْجره مَسْئول ، والواعظ في موعظته مَسْئول ، والكاتب في كتابه مَسْئول ، والصحافي في صحيفته مَسْئول ، والمرأة في بيت زوجها وبين أبنائها مَسْئول ، والمجتمع في تضامنه وتكافله مَسْئول.. فكلهم مَسْئولون ، وإن تفاوتت مَسْئولية كل منهم وِفْقًا لدوره وموقعه في المجتمع.

أجل ، لابد أن يتعاون ويتضامن في علاج الإشاعات الخبيثة قلم الكاتب ، وخبر الصحافي ، ولسان الواعظ ، وعقل العالم ، وتربية المدرس ، ومال التاجر ، وخبرة الصانع ، وتربية الأسرة ، وتكافل المجتمع ، وسلطة الحاكم.. ونحو ذلك.

---

(1) صحيح.. أخرجه البخاري، ومسلم وغيرهما عن ابن عمر، كما في صحيح الجامع 4569.

1. التربية الإيمانية.

وأولى وسائل الإسلام لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: التربية الإيمانية.

وأعني بالتربية الإيمانية بناء الإنسان في صغره.. وتغيير ما بنفسه في كبره بأصول الإيمان وتعاليمه وأخلاقه؛ ليكون مؤمنًا ربانيًا، يليق بحمل الإسلام، وأهلاً لمدد الله تعالى ونصره.

التربية الإيمانية عمل شاق وضروري.

والتربية الإيمانية بهذا المعنى عمل شاق، يحتاج إلى جهود شاقة ومتواصلة، وإلى خبراء أمناء يقومون بها، وإلى وقت طويل، وجُهْد وصبر يمتد مع الإنسان إلى نهاية حياته.. ومع هذا فالتربية الإيمانية ضرورة لا فكاك منها لتربية الجيل المؤمن، والنهوض بالأمة المؤمنة، وغرس المناعة الذاتية في أبنائها لمجاهدة الإشاعات الخبيثة.

رسول الله ﷺ بعثه الله تعالى بالتربية الإيمانية لتربية الإنسان وبنائه.

ولضرورة التربية الإيمانية وأهميتها لبناء الإنسان المؤمن بعث الله تعالى رسوله ﷺ ليقوم بها، ويرثه في النهوض بها العلماء والمربون، كما يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الجمعة:2،3).

و(الْأُمِّيِّينَ) كما تعني الناس في عصر الرسول ﷺ تعني الناس من بعد عصره ^ إلى يوم القيامة، كما يقول الله تعالى في الآية التالية: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

والعمل الذي كلَّف الله تعالى به رسوله ^ والعلماء والمربين من بعده، هي الدعوة إلى دين الله تعالى، والتربية بتلاوة القرآن الكريم، ليُطهِّر قلوب الناس، ويُزكِّي نفوسهم من دنس الشرك وسوء الأخلاق، ويغرس محلها التوحيد وشريعته، ومكارم الأخلاق،

كما يقول الله تعالى في ذات الآية الكريمة: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ).

ظل رسول الله ﷺ ثلاثـة عشـر عامًـا في مكـة وفي كـل حياتـه يقـوم بهـذه التربيـة الإيمانية، حيث يتلو على الناس ما أنزله الله عليه من القرآن لتغيير ما بأنفسهم، ويدعوهم لما جاء به من التوحيد ومكارم الأخلاق وصالح الأعمال.

ومن آيات ذلك: أن عُتْبَة بْنَ رَبِيعَةَ حينما أتى النبي ﷺ ليطلـب منـه أن يكـف عـن الدعوة إلى التوحيد، فقـرأ عليـه رسـول الله ﷺ صـدر سـورة فصـلت.. فَقَـامَ عُتْبَـةُ إِلَـى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أُقْسِمُ ــ يَحْلِفُ بِالله ــ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيـدِ؟.. قَـالَ: وَرَائِـي أَنِّـي قَـدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَالله مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَالله مَا هُوَ بِالسِّحْرِ وَلَا بِالشِّـعْرِ وَلَـا بِالْكِهَانَـةِ، يَـا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا لِي، خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَـاعْتَزِلُوهُ، فَـوَالله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَـرْ عَلَـى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ.

قَالُوا: سَحَرَكَ وَالله يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ!.

قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ اهـ. [1].

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طريقة القـرآن العظـيم في تربيـة الإنسـان الكبير، فقالت: نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِن القرآن سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْـرَبُوا الخَمْـرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَـدًا، لَقَـدْ نَـزَلَ بِمَكَّـةَ

(1) راجع: تفسير ابن كثير في سورة فصلت 7/ 152 ط. دار الشعب، وسيرة ابن هشام 1/ 368، رقـم 283).

عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ [1].

وكان الصحابة ﷺ في مكة يأتون رسول الله ﷺ بين مضروب ومجروح ومشجوج، ومع هذا لم يأذن لواحد منهم بحمل السلاح ليدفع عن نفسه الأذى الواقع عليه، وكان يقول لهم: ﷺ [النساء: 77].

قال عبدُ الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا»، فَلَمَّا حَوَّلَنَا الُله إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﷺ [النساء: 77] [2].

وهذا أمر من الله تعالى يُوجب العكوف على تربية الإنسان، وتزكية نفسه بالعبادة ومكارم الأخلاق.

وروى خَبَّابُ بْنِ الْأَرَتِّ،: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو الله لَنَا؟.

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا الله، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [3].

---

(1) صحيح.. أخرجه البخاري 4993، والنسائي في الكبرى 11494، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه النسائي في الكبرى 4279، والحاكم 2377، والبيهقي في الكبرى 17741، وغيرهم.

(3) أخرجه البخاري 3612، وأبو داود 2649، والنسائي في الكبرى 5862، وغيرهم.

وبهذه التربية الإيمانية قام رسول الله ﷺ ببناء جيل المؤمنين الأول، وتغيير ما بنفسه من حال الجاهلية بعفنها الوثني والأخلاقي إلى حال التوحيد بنقائه وطهارته.

ويظهر هذا فيما روته أُمُّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أن جَعْفَرَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ للنجاشي: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، «فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ» ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا الله وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ الله، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ..الخ [1].

في هذه المدرسة الإيمانية تربى الجيل الإيماني الأول حتى أصبح إنسانًا آخر غير الذي كان في الجاهلية.. أصبح إنسانًا ربانيًا يليق بحمل الإسلام ونُصرته، وأهلاً لمدد الله تعالى ونصره، وانغرس في ذاته المناعة الذاتية لمجاهدة الإشاعات الخبيثة؛ فلم يُصدِّق ما روَّجه المشركون من إشاعات خبيثة ضد رسول الله ﷺ، مثل: ترويج اتهامه بالسحر والكذب والجنون والكهانة.

(1) صحيح.. أخرجه أحمد 1740، وابن خزيمة 2260، وإسحاق بن راهويه في مسنده 1835، وغيرهم.

ولن يتربى المؤمنون في كل عصورهم وأماكنهم تربية إيمانية إلا بنفس المنهج الذي تربى به الجيل الأول، بإشاعة التوحيد وشريعته، ومكارم الأخلاق، وصالح الأعمال، وقد قال الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا [1].

الإيمان أسرع في تربية الإنسان وبنائه.

والذي لاحظته في القرآن العظيم وفي تجارب الحياة أن الإيمان أسرع في تربية الإنسان على التوحيد والأخلاق من أي شيء آخر.. مثال ذلك:

* ــ سحرة فرعون.. وقد انتقاهم فرعون من الخبراء المتخصصين في فنون السحر ، كما قال الملأ لفرعون: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء:37).. وكانت نفوس هؤلاء السحرة كباقي الجاهليين مُتشبعة بحب الدنيا، حتى أنهم قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء:41).. وكان جواب فرعون مُغْرِيًا ومُشجِّعًا: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء:42).

فازدادوا بهذا الإغراء تملُّقًا له، وأقسموا بعزته إنهم لهم الغالبون، يقول الله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾(الشعراء:44).

وحينما ألقى موسى عليه السلام عصاه، ورآها السحرة تحولت إلى ثعبان غليظ، يبتلع حبالهم وسحرهم أيقنوا أنها ليست عمل ساحر، إنما هي عمل رب العالمين، مالك القُوَى والقُدَر؛ فآمنوا بالله طائعين، وخروا له ساجدين، يقول الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى

(1) راجع: حجة النبي ^ (ص: 103). للإمام محمد ناصر الدين الألباني (ت:1420هـ)، ط. المكتب الإسلامي.

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) (الشعراء ــ 45: 48).

فاستشاط فرعون غضبًا، وأشاع أن سحرته على اتفاق مع موسى عليه السلام، وأنه كبيرهم الذي علمهم السحر، وهددهم بالعذاب الهون قبل قتلهم، كما يقول الله تعالى: (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) (طـه:71).

وهنا يظهر التأثير السريع للإيمان في قلوبهم؛ حيث واجهوا هذا التهديد بالصبر والثبات، والزهد في دنيا فرعون، ورفْض ما أشاعه عن موسى عليه السلام بأنه ساحر.. يقول الله تعالى: (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طـه: 72 ، 73).. فما الذي غيرهم إلى هذا الأفق الإيماني في المواجهة؟.

إنهم كانوا قبل قليل يسيل لعابهم إلى دنيا فرعون، ولأجلها أقسموا بعزته، فإذا هُمْ بعد لحظات يركلون دنياه، ولا يُبالون بتهديده، ويُقسمون بالله تعالى وحده، ولا يُبالون بما أشاعه ضد موسى عليه السلام بأنه ساحر ، ويقولون في إيمان الواثق، وثقة المؤمن: (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).. (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .. بل جهروا أمام طغيان فرعون بالدعوة إلى الله ، فقالوا له: (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) (طـه ــ 74:76).

إن الذي غيرهم إلى هذا الأُفُق الإيماني هو الإيمان ذاته، فإنه حينما لامس قلوبهم غيرها من حال الجاهلية وأخلاقها إلى حال الإيمان وأخلاقه.

* ــ ومثال ثان: الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد) شاعرة العرب من النساء، وقد أجمع أهل الشعر أنه لم يكن في العرب امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

هذه الخنساء حينما كانت في جاهليتها مات أخوها لأبيها صخر بن عمرو بن الشريد فبكته وولولت عليه عامًا، وقالت في رثائه شعرًا كثيرًا، جمع العلماء منه ديوانًا، يعدونه من أقْوى شعر المراثي، وكان مما قالت:

يذكرني طلوع الشمس صخراً * وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي * على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

ألا يا صخر لا أنساك حتى * أفارق مهجتي ويَشُقّ رمسى

لكنها بعدما آمنت بالإسلام وعمل عمله في تربيتها وتزكية نفسها تغير حالها الجاهلي إلى حال الإيمان، حتى أنها حضرت بنفسها معركة القادسية، ومعها بنوها الأربعة، وأوصتهم ليلتها بالصبر والثبات حتى النصر أو الشهادة، قالت: يَا بني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الّذي لا إله إلّا هو إنكم لبنوا رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ومَا خُنْتُ أباكم، ولا فضحتُ خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون مَا أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فِي حرب الكافرين.

واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:200)، فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إِلَى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله عَلَى أعدائه مستنصرين... فخرج بنوها قابلين لنصحها.

وثبت الأبناء الأربعة كما أوصتهم أمهم حتى فازوا جميعًا بالشهادة في سبيل الله، واحدًا بعد الآخر وحينما جاءها الناعي ليُبلغها نبأ استشهادهم جميعًا، لم تجزع ولم تُولول، ولم تشق جيبًا، ولم تلطم خدًا، ولم تقل مقالة الجاهلية في شعر أو نثر، وإنما قالت مقولتها

الإيمانية التي أصبحت مثلاً للقدوة: الحمد لله الَّذِي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم فِي مستقر رحمته [1].

فما الذي غيَّر خنساء الجاهلية إلى خنساء الإسلام؟.

والجواب الذي لا جواب غيره: إنه الإسلام، وليس غيره.

ترويج الإشاعات الخبيثة من أكبر الكبائر.

ومن لوازم التربية الإيمانية أن نغرس في نفس المؤمن أن ترويج الإشاعات الخبيثة من المُحرمات المقطوع بحرمتها، بل هي أكبر الكبائر، لقول الله تعالى في خبر الإفك المعروف: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: 16، 17).

والآية الكريمة نزلت في خبر الإفك، وهي في ذات الوقت عامة يُؤدب الله تعالى بها المؤمنين لصيانة أعراضهم وحُرماتهم من ألسنة الخبيثين والخبيثات.

وبهذا يُحرِّم الله تعالى كشف ستر المؤمن، أو فَضْحُه والتشهير به ولو كان بالإشارة، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النور:19).

قال كبار علماء الأزهر: في هذه الآية تأديب من الله تعالى لمن يحبون القدح في أعراض الأعِفَّاءِ من المؤمنين والمؤمنات.

ومعنى الآية: إن الذين يريدون ويختارون أن تنشر تهمة الزنى في عرض المُحصَنين والمُحصَنات [2] من الذين آمنوا ويقومون بنشرها لهم عذاب أليم على إذاعتها في الدنيا والآخرة، لشدة قبح هذه الفرية في حق من افتريت عليه، أما عذابهم في الدنيا فبحد

---

(1) راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البَر في الترجمة رقم 3317، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير في الترجمة رقم 6883.

(2) أي الرجل العفيف، والمرأة العفيفة.

القذف، وأما عذابهم في الآخرة فبنار جهنم ــ إن لم يقم الحد عليهم في الدنيا، أو أُقيم عليهم وكانوا منافقين أو كافرين ــ فإن الحدود لا تكون جوابر ولا تحمى من النار إلا عصاة المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: 48، 116).

وهذه الآية قاعدة عامة تقصد صيانة الأعراض عمومًا، وإن نزلت بشأن قصة عائشة وصفوان التي افتراها المنافقون.

والمراد من حُبِّ إشاعة الفاحشة، أن يكون هذا الحب مقرونًا بإذاعتها فعلًا، حتى يكون بذلك قاذفًا فيستوجب حد القذف الذي جعله الله عذابه في الدنيا، أما إن أحب إذاعتها ولم يشترك في نشرها فلا حدَّ عليه، ولكن الله يعاقبه في الدنيا بمقتضى وعيده، كأن يصيبه بنوعٍ من البلاءِ، أو يبتليه بما تمناه لغيره؛ انتقامًا منه لفساد قلبه ورغبته في الفتنة، وكما يحرم التشنيع على المؤمنين والمؤمنات، يحرم قذف غيرهم وإشاعة الفاحشة عنهم؛ فإن لهم ما لنا وعليهم ما علينا [1].

* ــ والنبي ﷺ يقول: «وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» [2].

فقوله ﷺ: «وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا » نهي يُفيد التحريم، ولم يصرفه عن التحريم صارف. ومعناه: لا تتنصَّتوا على عورات المؤمنين وتبحثوا عن سوءاتهم وتُشيعوها.

* ــ وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا

(1) راجع: التفسير الوسيط لكبار علماء الأزهر في مجمع البحوث الإسلامية 6/ 1381، 1382.
(2) أخرجه البخاري 6064، ومسلم 2563، وغيرهما.

تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» [1].

* ــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ الله عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ [2].

* ــ وعَنْ جُنْدَب، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ» [3].

ومعناه: أن من سمع أو رأى عورات إخوانه المؤمنين وأشاعها وروَّجها عاقبه الله تعالى بمثل ما فعل، أي سلط عليه من يعرف عوراته ويُشيعها ويُروِّجها، جريًا على سنته الكونية: الجزاء من جنس العمل، والله تعالى يقول: (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) (الشورى: 40).

وسائل التربية الإيمانية في تربية الإنسان وبنائه.

وللتربية الإيمانية وسائل وأدوات عديدة لتربية الإنسان وبنائه، مثل الأسرة في أبنائها، والمجتمع في مدنه وقُراه، ومدارس التعليم ومناهجه، وقنوات الإعلام ووسائله، والمسجد في مواعظه وخُطبه ودروسه... الخ.

الوسيلة الأولى: الأسرة. أو البيئة الأولى للإنسان.

فالأسرة أو البيئة الأولى للإنسان هي التي تستقبل الإنسان وتحوطه منذ طفولته، وتنهض بتربيته ورعايته رعاية حسنة، والإنسان بفطرته قابل للبناء والتغيير.. ففي صغره يكون أو عجينة ليِّنة طيِّعة، وفي كبره يقبل التأثر والتغيُّر، كما يقول الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس: 7 ، 8).

ففي صغر الإنسان يكون عجينة ليِّنة أو صفحة بيضاء، قابلاً للصياغة والتشكيل والتلوين، وآية ذلك: أن أبواه إذا كانا نصرانيين، جعلاه مثلهما، وإذا كانا يهوديين أو

---

(1) صحيح.. أخرجه الترمذي 2032، وابن حبان 5763، وغيرهما.

(2) راجع: إحياء علوم الدين 2 / 179، 200.

(3) أخرجه البخاري 6499، ومسلم 2986، وغيرهما.

مسلميْن جعلاه مثلهما، كما يقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ».. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: (فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله) (الروم:30) [1].

والله تعالى يُوجب على الأسرة المؤمنة أن تقوم بتربية أبنائها تربية إيمانية تجعل منهم عبادًا لله تعالى صالحين، وعناصر نافعة للمؤمنين، كما يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم:6).

فالتربية الإيمانية كما تعني: إطعام الأبناء الحلال الطيب تعني: غرس أصول التوحيد وتعاليمه وأخلاقه في نفوسهم منذ صغرهم.

والأسرة كما تكون الأبويْن والأقارب تكون البيئة المحيطة بالإنسان منذ صغره، فكلها مُؤثرة في تربية الإنسان.. ولهذا يأمر الله تعالى المؤمنين أن يتعاونوا في تربية أبنائهم، كما يقول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:2).

ويُؤكد النبي ﷺ هذا التعاون في التربية حين يذكر أن المربي ينتفع بعد موته بدعاء الولد الذي أحسن تربيته وإن لم يكن ابنًا له من صُلْبه، كما يقول النبي^: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ، منها: وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» [2].

وحين يُؤكد النبي ﷺ أن اليتيم المقصود كفالته يكون من النسب ومن غير النسب، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ يقول: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ: بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا [1].

---

(1) أخرجه البخاري 1359، ومسلم 2658، وغيرهما عن أبي هريرة.. (جدعاء) مقطوعة طرف من أطرافها.

(2) صحيح.. أخرجه الترمذي 1376، وابن حبان 3016، والطبراني في الدعاء 1251، غيرهم عن أبي هريرة.

وإذا تركت الأسرة هذا الواجب فقد تركت فريضة الله عليها، وضيَّعت حقًا للمؤمنين عليها، وارتكبت حرامًا وإثمًا مبينًا، ويُعاقبها الله تعالى عليه، كما يقول الرسول ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ» (2).

الوسيلة الثانية: التعليم ومناهجه.. والإعلام ووسائله.

التعليم ومناهجه والإعلام ووسائله هو الأسرة الثانية أو المصنع الثاني لتربية الإنسان المطلوب، وصناعة الرجال الأبطال، فإنه يُلازم الإنسان منذ صغره في وقت صياغته حتى كبره، وتحمله للمسئولية.

ولهذا يرفع الإسلام درجة طالب العلم عن غيره، كما يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: 11).. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(الزمر: 9).

قال العلماء: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأمَّا من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم.. والنبي ^ يقول: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (3).

الوسيلة الثالثة: تغيير الإنسان ما بنفسه في كبره.

فإذا لم تنهض الأسرة ولم تنهض مناهج التعليم والإعلام بتربية صغارها تربية إيمانية يظل في كبره قابلاً للتأثر والتغيير، ويكون هو المسئول عن تغيير ما بنفسه، فإن غيَّر

---

(1) صحيح.. أخرجه مسلم 2983، وأحمد 8881، والبيهقي في الشعب 11030، وغيرهم.

(2) صحيح.. أخرجه الحميدي 610، والنسائي في الكبرى 9131، والقضاعي في الشهاب 1413، وغيرهم.

(3) صحيح.. أخرجه البخاري في كتابفَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم 5027، وأبو داود 1452، وأحمد 412، وغيرهم عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

ما بنفسه إلى التوحيد واستقامة الأخلاق وصالح الأعمال نجا وأفلح، وإن دنَّس نفسه بأخلاق الجاهلية خاب وخسر، كما يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 9 ، 10).

والإسلام يُوجب على المسلم في كبره أن يُجاهد نفسه، ويُروِّضها على التربية الإيمانية، لينجو ويعلو، كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت: 6).. وفي نهاية السورة وعد الله تعالى من جاهد نفسه لتستقيم على التربية الإيمانية أن يُحقق له ما طلب، كما يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

ومن المُلاحظ أن سورة العنكبوت التي ذُكر فيها هذا القول الكريم نزلت في مكة قبل تشريع الجهاد الحربي؛ مما يعني أن الجهاد المذكور فيها هو جهاد النفس وتربيتها على طاعة الله تعالى وتزكيتها بها لتزكو وتعلو.

ومما له دلالة ومغزى في هذا الشأن أن عيسى عليه السلام مع نبوته كان يُجاهد نفسه ليُروضها على كلمة الخير في كل حال، كما جاء عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ؛ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ لَقِيَ خِنْزِيراً عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ: انْفُذْ بِسَلاَمٍ.. فَقِيلَ لَهُ: تَقُولُ هذَا لِخِنْزِيرٍ؟.

فَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي المَنْطِقَ السُّوءِ [1].

المؤمن الذي صاغته التربية الإيمانية أسرع إلى مُجاهدة الإشاعات الخبيثة.

ولهذا فالمؤمن الذين صنعه الإيمان أسرع إلى مُجاهدة الإشاعات الخبيثة، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ

(1) أخرجه مالك في الموطأ 3609.

إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون ـــ 57:61).

ذكر كبار علماء الأزهر: أن هذا استئناف مسوق لبيان من هم المؤمنون المسارعون في الخيرات وما وعدوا به من جزيل الثواب، أتى بذلك عقب ذكر الكفار وتوعدهم بما يُقنطهم من رحمته، ويبطل حسبانهم الكاذب، وأملهم الخادع، ذكرهم سبحانه بأخص صفاتهم وأكملها، فبيَّن أنهم من أجل خوفهم من ربهم خائفون من التقصير فيما كلفهم به، مع صدق إيمانهم وصالح عملهم، كما قال الحسن البصرى:

إن المؤمن جمع إحسانًا وإشفاقًا، وإن المنافق جمع إساءَة وأمنًا [1].

* ـ قالت أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) (المؤمنون: 60).. أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟.. قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ: (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [المؤمنون: 61] [2].

ولهذا فكلما شاعت هذا التربية الإيمانية في المجتمع المسلم كانت أقوى في مجاهدة الإشاعات الخبيثة، وأقْدر على علاجها، ومثال ذلك: حينما أشاع المنافقون الإفك الذي آذى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنكرها جمهور الصحابة وردوها، حتى قال أحد الأنصار: سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد تحاور أبو أيوب الأنصاري مع زوجته، فقالت له: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ، رَضِيَ الله عَنْهَا؟.

قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أكنتِ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمَّ أَيُّوبَ؟.

---

(1) راجع: التفسير الوسيط لكبار علماء الأزهر 6/ 1303، ط. مجمع البحوث الإسلامية.. مصر.

(2) صحيح.. أخرجه الترمذي 2175، وابن ماجة 4198، وأحمد 25263، وغيرهم.

قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا كنتُ لِأَفْعَلَهُ.. قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللهِ خَيْرٌ مِنْكِ [1].

فما الذي جعل المؤمنين وأبا أيوب يرفضون هذه الإشاعة الخبيثة ويُكذِّبونها؟.

والجواب الذي لا جواب غيره: إنها التربية الإيمانية التي غرست في قلوب المؤمنين المناعة الذاتية ضد الفساد والظلم والإشاعات الخبيثة.

وفي الخاتمة أقول: إذا أردنا مجاهدة الإشاعات الخبيثة، ونَجُدَّ الألسنة التي سابت بها فلا يكون إلا بتغيير الأنفس، ولا تغيير للأنفس إلا بتربية إسلامية، ولا تربية إسلامية إلا بإيمان.

وإذا أردنا التماسك والسلام الاجتماعي فلا يتحقق إلا بإخاء، ولا إخاء إلا بتربية، ولا تربية إلا بإيمان.

وإذا أردنا الإصلاح لحياتنا فلا إصلاح إلا بتغيير ما بنفس الإنسان، ولا تغيير للأنفس إلا بتربية، ولا تربية إلا بإيمان.

تمت تمت تمت

(1) راجع: مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع (271)، وإسحاق بن راهويه في مسنده 1698، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 26، ط. دار الشعب.. وغيرهم.

2ـ إيقاظ العقل ليُفكِّر

ومن وسائل مجاهدة الإشاعات الخبيثة: إيقاظ العقل ليُفكِّر فيما يسمعه ويراه.

فالإشاعات الخبيثة تافهة في معناها، وتتناقض مع العقل، ولهذا تنتشر في أجواء التوتر، وظلمات الاضطراب؛ حيث تغشى عقول الناس سحابة من الغفلة عن التفكير والتأمل في معناها وآثارها، وكلما كثر ترديدها تناقلها الناس كما سمعوها كأنها حقائق مُسَلَّمة، وقد قالوا: اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يُصدقك الناس.

والإسلام يُوجب على المؤمن أن يظل عقله يقظًا، وعاملًا في التفكير والتأمل فيما يسمعه ويراه، مهما غلبت عليه أجواء التوتر، وخيَّمت عليه ظلمات الاضطراب.

والله تعالى في أكثر من مرة في القرآن يأمر المؤمنين أن يتدبروا ما يسمعونه من القول، كما يقول سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون:68)؟.. ويقول سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد:24) ؟.

وكثيرًا ما يقول الله تعالى في القرآن: (أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يونس:16)؟.. ويقول سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:50) ؟.

وهذا استفهام إنكاري، يُنكر على الإنسان تعطيل عقله عن التفكير، والاكتفاء بتقليد الآباء والكبراء تقليدًا أعمى، ويجعله بمنزلة الأعمى.. كما يجعل الذي أعمل عقله بمنزلة البصير.. وفي طّيِّ هذا أمْر من الله تعالى يُوجب على المسلم إعمال عقله في تدبر ما يسمعه ويراه.

وورد في القرآن الأمر صريحًا بإعمال العقل في التفكير فيما يسمع ويرى ، يقول الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس:101).

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل:69).

وهذا أمر صريح في الوجوب، ولهذا قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: «لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً» ، قَالُوا: وَمَا الْإِمَّعَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟.. قَالَ: «يَجْرِي مَعَ كُلِّ رِيحٍ».. يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنِ اهْتَدَوُا اهْتَدَيْتُ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لِيُوَطِّنْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى ــ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ يُحْسِنُ ــ وَإِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَنْ لَا يَكْفُرَ» [1].

ولهذا قال الأستاذ العقاد في عنوان كتابٍ له: التفكير فريضة إسلامية.

وإذا أصر الإنسان على تعطيل عقله عن التفكير فيما يسمعه، واكتفى بتقليد الآباء والكبراء تقليدًا أعمى فقد وضع على عقله قُفْلاً أو ترباسًا لم يأذن به الله تعالى، كما يقول الله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:24).. وأصبح بهذا التقليد أعمى العقل.. أعمى البصيرة، وهو العمى الحقيقي، كما يقول الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج:46).

ولهذا يُحرِّم الله تعالى تعطيل العقل عن التفكير، ويجعله ذنبًا كبيرًا، يَضِل به الإنسان، ويُعاقبه الله عليه، كما يقول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ)(الملك: 10، 11).

وقول الله تعالى: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) بيان بأن تعطيل العقل عن التفكير ذنب من أكبر الذنوب، ولأجل تعطيله عن التفكير استوجبوا هذه العقوبة الأليمة: (فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ).

وما أضل الشيطان الإنسان بمثل تعطيل عقله عن التفكير، وتقليد الآباء والكبراء، يقول الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (البقرة:170).

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (9 / 152) رقم 8765 ، والزهد لأبي داود رقم 133،وغيرهما.

ولهذا لا يجوز للمسلم أن يقبل كل إشاعة يسمعها إلا بعلم يطمئن إليه عقله، ويكون بأحد أمريْن اثنين أو بهما معًا: إمَّا بالإقرار الحر ، أو بالشاهد العدل.. وإمَّا بدلالة العقل الذي يتدبرما يسمعه ويراه، ويُفكر في معناه ودلالته.

والمؤمن الذي يقبل الإشاعة الخبيثة ويُرددها بغير هذا العلم يرتكب حرامًا وإثمًا مبينًا ، كما يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور:15).

والطريق الأسلم لتفكير العقل فيما يسمعه من الإشاعات الخبيثة: أن يجلس كل عاقل بمفرده أو مع عاقل مثله، ولا يجمعا معهما ثالثًا، ثم يتفكرا ويتأملا ما يسمعانه من الإشاعات بعيدًا عن غوغائية الجماعة الغافلة.

فإن الابتعاد عن ثرثرة الجماعة الغافلة وغوغائيتها، يُوفر للعقل العامل أجواءً من الهدوء اللازم للتأمل والتفكير؛ فعندئذ يتبين له حقيقة الإشاعة.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ:46).

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى رسوله ﷺ وكل مؤمن في الأرض، أن يأمر قومه بواحدة مكونة من خطوتين:

الخطوة الأولى: أن ينهضوا بعزم واجتهاد، كل واحد بمفرده أو كل اثنين لا ثالث لهما طالبين الحقيقة متجردين لله تعالى، ومتجردين من التأثير الجماهيري الغوغائي، أو من تأثير العقل الجمعي كما يُسميه علماء النفس، ومُتخلصين من الأهواء والعصبيات، والاعتبارات النفعية، وعواطف المجاملة، ومراعاة الخواطر، ومشاعر الخوف والطمع والخجل من مخالفة الآباء والكبراء، والخشية من الذم والإنكار، وحُب المحمدة والثناء، وغيرها من العوائق والأغلال التي تُكبل الناس، وتحول بينهم وبين التفكير الموضوعي الحر المستقل.

الخطوة الثانية: أن يُفكر كل واحد منهما بمفرده أو مع صاحبه تفكيرًا حرًا هادئًا وموضوعيًا في كل ما يسمعانه من الإشاعات الخبيثة، ويتحاور كل منهما مع الآخر حوارًا حرًا تتلاقح فيه الأفكار، ويتنافس فيه العقلان في التفكير لكشف الحقيقة.

والأخذ والرد الثنائي هنا أجدى وأنفع، لأن المرء يسمع من صديقه وجليسه، ويُسلم له إذا أقنعه، ولكنه قد يرفض الهزيمة إذا كانت أمام جمهور الناس [1].

قال الزمخشري: المعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصًا، متفرّقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أمّا الاثنان: فيتفكران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى، ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونُصفَة من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه، وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم، والذي أوجب تفرّقهم مثنى وفرادى: أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول، ويقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب. ولا يسمع إلا نصرة المذهب[2].

هذا التفكير الموضوعي الهادئ المستقل المخلص في طلب الحقيقة، يكشف حقيقة الإشاعة؛ وفقًا لسنة الله في الجِد والطلب، فإن من طلب شيئًا بجد وإخلاص من طريقه الصحيح وجده، وقد قيل: من جد وجد.. ومن سار على الدرب وصل.

ضرورة تحليل الإشاعة.

و الذي يُعين على التفكير العقلي لكشف حقيقة الإشاعة: تحليلها تحليلاً موضوعيًا عقليًا، يُبين دوافعها وأهدافها، والمنتفع بها والمُضار بها، ومدى توافقها أو

(1) راجع: العقل والعلم في القرآن ص 40 بتصرف .

(2) راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري 3 / 590 .

تناقضها مع الشرع والعقل.. وكلما استطاع الإنسان معرفة هذا تيسر له كشف حقيقتها، وكشف الذي أنشأها.. ومعرفة علاجها.

ومن تلك الإشاعات الخبيثة التي أمر الله تعالى الناس بالتفكر العقلي فيها: اتهام القرآن الكريم بأنه من قول النبي ﷺ نفسه.

وكان على الناس أن يقوموا بتحليل هذه الإشاعة الخبيثة، ويُعملوا عقولهم في تدبر آيات القرآن، ويُقارنوا بينها وبين أحاديث الرسول ﷺ التي صحت عنه، وعندئذ سيُوقنون أن هذا غير ذاك، وأن القرآن الكريم تنزيل من الله الحكيم الحميد.

ولو كان القرآن من قول مخلوق، فليقولوا مثله إن كانوا صادقين، وما الذي منعهم من القول مثله، وقد أمر الله تعالى كل مؤمن أن يتحدَّاهم بأن يأتوا بمثل سورة أو آية منه، كما يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:38).

ويقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: 33، 34).. لكنهم عجزوا إلى اليوم، فما الذي أعجزهم ومنعهم أن يقولوا بمثله، وفيهم الفصحاء والبلغاء ؟.

* ــ ومن الإشاعات الخبيثة التي أشاعوها: اتهام النبي ﷺ بأن عبدًا حبشيًا هو الذي علمه القرآن العظيم.

وكان الواجب على الناس أن يقوموا بتحليل هذه الإشاعة، ويُوقظوا عقولهم، ويتدبروا مقولتهم.. ولو فعلوا لتذكَّروا أن العبد الحبشي المقصود أعجمي اللسان، بينما النبي ﷺ والقرآن العظيم عربي اللغة، فصيح اللسان، بل في أعلى درجات البلاغة والبيان، فأين هذا من ذاك؟.. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:103).

ويأمر الله تعالى الناس جميعًا أن يُعملوا عقولهم في تدبر آيات القرآن.. ولـو أطـاعوا وتدبروا لأيقنوا أن القرآن تنزيل من حكيم حميد، منتظم ومؤتلف في نظمـه ومعنـاه، ولـو كان من عند بشر لوجدوا فيه تناقض ونقائص البشر، كما يقول الله تعالى: (أَفَلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:82).

* ــ ومن الإشاعات الخبيثة: اتهام الرسول ﷺ بالجنون، وكان الواجب على الناس أن يقوموا بتحليل هذه الإشاعة الخبيثـة، ويُعملـوا عقـولهم في تـدبرها، ولـو فعلـوا هـذا لأدركوا أنها كذب واختلاق، وأن النبي ﷺ أرجح العقلاء عقلاً، ورسول الله ﷺ حقًا، كما يقـــول الله تعـــالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الأعراف:184).

3 ـ إيقاظ الأخوة الإيمانية

ومن الوسائل المطلوبة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: إيقاظ الأخوة الإيمانيـة في قلـوب المؤمنين.

ففي وقت انتشار الفتن، وغلبة الجاهلية على الأخـلاق والسـلوك يغفـل المؤمنـون عن أخوتهم الإيمانية التي تجمعهم، ولا يذكرون حقوقهـا الـتي يُوجبهـا الإسـلام علـيهم، وعندئذ لا يُبالون بإيذاء بعضهم بعضًا باليد أو باللسـان، والرمـي بالبهتـان، والإشـاعات الخبيثة.. الخ.

والواجب على العقـلاء والـدعاة إلى الإسـلام وولاة الأمـر في المجتمـع المسـلم أن يُـذَكِّـروا المؤمنين دائمًا بأخوتهم الإيمانية، وبحقوقها عليهم كلما غفلوا عنها.

الإخوة الإيمانية فريضة ربانية.

فإن هذه الإخوة الإيمانية ليست نفلاً، ولا تفضلاً ولا ثرثرة لسانية، إنما هي فريضـة إيمانية لها حقوقها، ولا يجوز للمؤمنين تركها، أو التشاغل عنها لأي سبب.

ودليل هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:10).. وقوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:103).

وسبب نزول هذه الآية الكريمة أن شاس بن قيس اليهودي حينما رأى الأوس والخزرج قد تآخوا وائتلفوا بعد اختلافهم وتقاتلهم، وتحابوا بعد تباغضهم وتعاديهم فغاظه ذلك، ودس فيهم شابًا يهوديًا يُذكِّرهم بما كان بينهم في الجاهلية من تعاد وتقاتل، فتجاوبوا معه، وتواثبوا للقتال مرة أخرى.. فَبلغ ذَلِك رَسُول الله ﷺ فَخرج إِلَيْهِم فِيمَن مَعَه من الْمُهَاجِرين من أَصْحَابه حَتَّى جَاءَهُم فَقَالَ: يَا معشر الْمُسلمين، الله الله، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّة وَأَنا بَين أظْهركُم بعد إِذْ هدَاكُمْ الله إِلَى الْإِسْلَام وأكرمكم بِهِ، وَقطع بِهِ عَنْكُم أَمر الْجَاهِلِيَّة واستنقذكم بِهِ من الْكفْر، وَألف بِهِ بَيْنكُم ترجعون إِلَى مَا كُنْتُم عَلَيْهِ كفَّارًا، فَعرف الْقَوْم أَنَّهَا نزغة من الشَّيْطَان، وَكيد من عدوٍ لَهُم؛ فَألْقوا السِّلَاح، وَبكوا وَعَانَقَ الرِّجَال بَعضهم بَعْضًا ثمَّ انصرفوا مَعَ رَسُول الله ﷺ سَامِعين مُطِيعِينَ، قد أطفأ الله عَنْهُم كيد عَدو الله شَاس وَأنزل الله تعالى الآية السابقة [1].

وفي هذه الآية الكريمة دروس للمؤمنين في أخوتهم:

1 ــ الأمر بالوحدة، والنهي عن التفرق، كما في قوله سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) وهو أمر يُوجب الإخوة بين المؤمنين.

2 ــ تذكير المؤمنين دائمًا بوجوب إخوتهم الإيمانية، كما في قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

(1) راجع: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 2 / 278، 279 ط. دار الفكر.. بيروت.. لبنان.

3 ــ والنبي ﷺ يُحذِّر المؤمنين من إغفال أخوتهم الإيمانية، فإن الغفلة عنها أو ترك حقوقها جاهلية مُحرَّمَة، فقال: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّة وَأَنا بَين أظْهركُم بعد إِذْ هدَاكُمْ الله إِلَى الْإِسْلَام وأكرمكم بِهِ وَقطع بِهِ عَنْكُم أَمر الْجَاهِلِيَّة، واستنقذكم بِهِ من الْكفْر، وَألف بِهِ بَيْنكُم ترجعون إِلَى مَا كُنْتُم عَلَيْهِ كفَّارًا».

وكثيرًا ما يُذكِّر الله المؤمنين بإخوتهم الإيمانية في أوقات اختلافهم وتقاتلهم، ليُفيقوا من غفلتهم، ويعودوا إلى رُشدهم و أخوتهم وتلاحمهم، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات:9) ، فمع تقاتلهم أثبت الله تعالى لهم الأخوة الإيمانية بينهم، والواجب على المؤمنين من حولهم أن يُصلحوا بينهم، كما يقول الله تعالى في الآية التالية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الحجرات:10).

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: وجيء بصيغة القصر (إِنَّمَا) المفيدة لحصر حالهم في حال الإخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين.

وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين لأن شأن (إِنَّمَا) أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل منزلة ذلك، فلذلك كان قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر. وقد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الْحَشْرِ:10) [1].

(1) راجع: التحرير والتنوير 26/ 245 ط. دار سحنون.. تونس.

وحينما بعث الله رسوله محمدًا ﷺ غرس الأخوة بين المؤمنين عملاً، فأقام المؤاخاة بينهم في مكة أولاً، كما ذكر عدد من المؤرخين [1].

ومن هذه المؤاخاة المكية ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «آخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ» [2]

وَحينما خَطَبَ النبي ﷺ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ، فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ الله وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلاَلٌ» [3].

وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان أول عمل عمله بعد بناء المسجد: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكانت عقدًا نافذًا، قائمًا على التلاحم والتراحم والمواساة، لا كلامًا فارغًا تُثرثر به الألسنة.. وكان الأنصار عند حسن الظن بهم، فقام كل واحد منهم بواجب الأخوة الإيمانية في المواساة لإخوانهم المهاجرين، وكانوا يتسابقون لإيوائهم ومواساتهم، حتى ذكر المؤرخون: ما من مُهاجِري نزل على أنصاري إلا بقرعة، فشاركوهم في المال والدار، حتى أتى المهاجرون إلى النبي ﷺ وقالوا: يَا رَسُولَ الله، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ» [4].

ولهذا أثنى الله تعالى على الأنصار وخلَّد عملهم هذا في خاتم كتبه، فيقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

(1) مثل البلاذري في أنساب الأشراف 1/ 270، وابن عبد البر في الدرر 100 ط. وزارة الأوقاف المصرية، وابن سيد الناس في عيون الأثر 1/ 199، راجع: السيرة النبوية الصحيحة 1/ 240 د. أكرم ضياء العمري.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 5372، وصححه، ووافقه الذهبي.

(3) أخرجه البخاري 5081، وغيره.

(4) صحيح.. أخرجه الترمذي 2487، وأحمد 13075، والنسائي في الكبرى 9983، وغيرهم.

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:9).

و الله تعالى يُذكِّر المؤمنين دائمًا بحقوق إخوتهم الإيمانية، فيقول سبحانه في النهي عن الغيبة: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:12).

وفي الآية الكريمة تصريح بأن المؤمن المغتاب يأكل بالغيبة لحم أخيه المؤمن، وهذا تأكيد على قيام الأخوة بين المؤمنين، وتأكيد على تحريم تناول المؤمن عرض أخيه المؤمن بالغيبة أو بالبهتان والإشاعات الخبيثة.

وفي ختام الآية الكريمة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ بيان بأن الغيبة معصية من المعاصي تستوجب التوبة، وأن الذي يحمل المؤمن على الكف عنها هو الخوف من الله تعالى ليس إلا.

والنبي ﷺ يُوجب على المؤمنين اجتناب كل ما يُشغلهم عن هذه الأخوة الإيمانية، وعن حقوقها عليهم، من إحسان الظن، والتثبت من صحة الإشاعات الخبيثة، واجتناب البغضاء والشحناء.. وغيرها.. ونذكر من هذه الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر:

عَنْ أَنَسٍ بن مالك ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (1).

وَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ» (2).

(1) أخرجه البخاري 13، ومسلم 45، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 6076، ومسلم 2558، وغيرهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وفي رواية: (وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» [1].

(1) أخرجه مسلم 2564، وغيره عن أبي هريرة.

3 ـ حُرمة عِرض المؤمن

ومن الوسائل الهامة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: حُرمة عِرض المؤمن.

وعِرض المؤمن بكسر العين هو موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو في سلفه، أو من يلزمه أمره، ومنه حديث أبي ضمضم «اللهمَّ إنِّي تصدَّقْت بعِرْضِي عَلَى عِبادِك» أي تصدقت بعرضي على من ذكرني بما يرجع إلي عيبه.

ومنه شعر حسان في مدح النبي ﷺ:

فإنَّ أبِي وَوَالِدَه وعِرْضِي * لعِرْض محمد منكم وقاء [1].

وإيذاء المؤمن في عِرضه معناه: ذكره أو اتهامه أو سبُّه وشتْمه بسوء يجرح أخلاقه وسمعته وكرامته وعواطفه، ويجعله في عين غيره سيئًا بالغيبة أو بالبهتان.

تحريم إيذاء المؤمن في عرضه.

والإسلام كما يُحرم إيذاء الإنسان في بدنه يُحرم إيذاءه في عرضه بالسوء والإشاعات الخبيثة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:58).

والآية جاءت بصيغة الخبر وفي طيها أمر بكف الأذى عن أعراض المؤمنين.

وَعَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، أن رسول الله ﷺ قَالَ له: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا».

قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً... قَالَ: «وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ» [2].

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ» [3].

---

(1) راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 3/ 209.

(2) صحيح.. أخرجه أبو داود 4084، والطبراني في الدعاء 2060، وغيرهم.

(3) أخرجه البخاري 10، ومسلم 40، وغيرهما.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن رَسُولَ الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (1).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أن النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا» ، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»(2).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمِنَ الكَبَائِرِ السَّبَّتَانِ بِالسَّبَّةِ» (3).

ومع أن الربا حرام ومن أكبر الكبائر فإن أكبر منه إيذاء المؤمن في عرضه بالغيبة أو بالبهتان والإشاعات الخبيثة ، كما جاء عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ» (4).

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرِّبَا سَبْعُونَ حَوْبًا أَيْسَرُهَا نِكَاحُ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ» (5).

وحينما آذى الأفَّاكون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالبهتان والإشاعة الخبيثة في عرضها أنزل الله تعالى براءتها في خاتم كتبه، ونهى المؤمنين أن يفعلوه مرة أخرى، كما

(1) أخرجه مسلم 2564، وأبو داود 4882، والترمذي 1927، وغيرهم.
(2) أخرجه البخاري 67، مسلم 1679، وغيرهما.. خطام الناقة: حبل في أنف الناقة تُقاد منه.
(3) صحيح.. أخرجه أبو داود 4877، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترغيب 2832، 2833.
(4) صحيح.. أخرجه البزار 1264، والبيهقي في الشعب 6346، وغيرهما عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ.
(5) صحيح.. أخرجه ابن أبي شيبة 22005، وعبد الرزاق 15345، والبيهقي في الشعب 5129.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(النور: 16، 17).

وفي هذا بيان بأن إيذاء المؤمن في عرضه مُحرَّم كحرمة دمه وماله، فمن آذى المؤمن في سمعته بالغيبة أو بالبهتان والإشاعات الخبيثة فكأنما سفك دمه.

وأشد منه حرمة من يكسب خطيئة أو جريمة ثم يُلصقها بالبرآء من المؤمنين؛ ليُشينهم بها، ويُنزل عليهم من الأذى والظلم بما لم يفعلوه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء:112).

الإشاعات الخبيثة أشد حرمة.

وإنما شدَّد الإسلام في تحريم إيذاء الإنسان في عرضه بالغيبة أو بالبهتان، لأنه أشد إيلامًا في الإنسان من الإيذاء في جسده.. فإن الإيذاء في الجسد كثيرًا ما يندمل أو يخف ألمه بالعلاج أو بمرور الوقت، بخلاف الأذى في العرض؛ فإن ألمه في النفس يظل غائرًا، ولا يُعالجه دواء محسوس، ولا يبرأ بمرور الزمن، وربما ينفجر على المنكوب غمًا وكمدًا حتى يموت به، أو يدفعه دفعًا لينفجر فيمن آذاه فيُهلكه، وربما يتسع الخرق على الراقع كما يُقال.. وصدق الشاعر في قوله:

جراحات السهام لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان.

وقد شرع الإسلام عقوبة لإيذاء العِرض، منها ما هو منصوص عليها في القرآن، ومنها ما هو متروك لاجتهاد الحاكم.

فالعقوبة المنصوص عليها في القرآن هي عقوبة القذف بالزنا الذي لم تثبت أدلته، وهي عقوبة حدِّية، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور:4،5).

والتوبة التي تتحدث عنها الآية تكون بتكذيب المجرم نفسه، وإقراره ببراءة المظلوم الذي افترى عليه علانية، ولا تُسقط عنه حد القذف باتفاق الفقهاء، واختلفوا في عودة عدالته وقبول شهادته، وسقوط دمْغه بالفسق.

فمع أن الجمهور قالوا بعودة عدالته، وقبول شهادته، وسقوط دمْغه بالفسق، فإن بعض الفقهاء قالوا: يبقى القاذف بعد توبته مجروح العدالة، ولا تُقبل شهادته.

فقال شريح القاضي وإبراهيم النخعي والحسن البصري وسفيان الثوري وأبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء في رد شهادته، وإنما يزول فسقه عند الله تعالى. وأما شهادة القاذف فلا تقبل البتة ولو تاب وأكذب نفسه ولا بحال من الأحوال [1].

شؤم إيذاء الناس في أعراضهم.

وأمَّا العقوبة غير المنصوص عليها في القرآن فهي عقوبة الإيذاء في العرض بغير القذف بالزنا كإيذاء الإنسان في عرضه بالكذب والافتراء والبهتان والإشاعة الخبيثة، فعقوبته تعزيرية يُقدرها القاضي، ويضع لها من العقوبات ما يصون للإنسان عرضه وكرامته عن هذا الإيذاء.

وأيًّا كان الأمر فإذا أفلت المجرم من عقاب الدولة فلن يفلت من عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة.. ففي الدنيا سيُسلط الله عليه من هو أشد ظلمًا منه، يُؤذيه في عرضه وكرامته بالبهتان والإشاعات الخبيثة، وقد قالوا: الجزاء من جنس العمل.. والله تعالى يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى:40).. ويقول سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(الأنفال: 30).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَا تَبْغِ، وَلَا تَكُنْ بَاغِيًا، فَإِنَّ الله يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: 23] [2].

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 15 / 133 ط. مؤسسة الرسالة.

(2) صحيح.. أخرجه البيهقي في الشعب 6244، الحاكم 3298، وصححه ووافقه الذهبي.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ هَذَا الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَثَرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْ عَوْرَةَ الْمُسْلِمِ يَطْلُبِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَطْلُبِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ» (1).

وفي التاريخ وقائع لا يجوز لنا إغفالها.. مثل فرعون في سلطانه، فقد طغى وبغى على النبي موسى عليه السلام بالكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، ولم يطله قانون الدولة، فهو حاكمها، ومن إشاعاته الخبيثة ضد النبي موسى عليه السلام قوله: (يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر:26).

وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: 53، 54).

وكان عقاب الله تعالى أسرع من بغيه، فلم تمض أيام حتى أخذه الله تعالى أخْذ عزيز مقتدر، وجعله ومن معه أُحدوثة وعبرة لغيرهم من الخلْق، يقول الله تعالى عقب الآيات السابقة: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف: 55، 56).

قال علماء الأزهر: أي: فجعلنا فرعون وقومه المغرقين متقدمين إلى النار - كما قاله ابن عباس وزيد ابن أسلم وقتادة - أو متقدمين إلى العقاب، وجعلناهم عبرة للكفار المتأخرين عنهم، يتعظون بما أصابهم، أو مثلًا يضرب لمن كفر بعدهم (2).

هذا فضلاً عن عقاب الله تعالى يقوم القيامة، وما هي إلا أيام ويجتمع الظالم والمظلوم تحت عدالة الله تعالى، وسيأخذ كل منهما حقه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ

(1) صحيح.. أخرجه ابن حبان 5763، والترمذي في أبواب البر والصلة، رقم 2032، والبغوي في شرح السنة 3526، وغيرهم.

(2) راجع: التفسير الوسيط.. لكبار علماء الأزهر في مجمع البحوث 9/ 821.

الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) (النور ـ 23:25).

ولهذا يعمل المسلم ليسلم المؤمنون من لسانه ويده، كما جاء وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ» [1].

ملتقى ملتقى ملتقى

(1) أخرجه البخاري 10، ومسلم 40، وغيرهما.

5 ـ سلامة القلوب من الأمراض

ومن الوسائل المطلوبة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: سلامة القلوب من أمراضها.

وسلامة القلو ب من أمراضها يعني خلوصها من الأمـراض الباطنـة مثـل: الحقـد والضغينة والبغضاء والرياء والحسد والشحناء والبغي وسوء الظن.. الخ.

ضرر أمراض القلوب.

وأمراض القلوب أضر على الإنسان من أمراض الجسد؛ حيـث أن القلـب حـاكم على الجوارح، فإذا مرض القلب بأمراضه المذكورة انحرفت الجوارح، واشتغلت بالكذب والبهتان والافتراء والإشاعات الخبيثة.. وإذا سلم القلب من الأمراض استقامت الجوارح واشـتغلت بالصـدق والطيِّـب مـن القـول والعمـل، وبـالكف عـن الكـذب والبهتـان والإشاعات الخبيثة؛ ولهذا يقول النبي ﷺ: إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ [1].

ذكر الإمام ابن حجـر الهيتمـي رحمـه الله عـن بعـض أئمـة الشـافعية: أن أمـراض القلوب الباطنة كالرياء وسوء الظن والحقد وغيرها يُذَمُّ العبدُ عليها أعظم ممـا يُـذَمُّ علـى الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم مفسـدتها وسـوء أثرهـا ودوامه، فإن آثار هذه الكبائر ونحوها تدوم بحيث تصـير حالًـا وهيئـة راسـخةً في القلـب بخلاف آثار معاصي الجوارح فإنها سريعة الزوال؛ تزول بالتوبـة والاسـتغفار والحسـنات الماحية والمصائب الْمُكَفِّرَة [2].

وفي القرآن العظيم يُبين الله تعالى أن القلب الطيب لا يخرج على لسانه إلا الكلمة الطيبة، مثل الشجرة الصـالحة لا تُثمـر إلا الثمـرة الصـالحة.. والقلـب المـريض لا يخرج على لسانه إلا الكلمة الخبيثة كما أن الشـجرة الخبيثـة لا تُثمـر إلا الثمـرة الخبيثـة،

---

(1) أخرجه البخاري 52، ومسلم 1599، وغيرهما عن النعمان بن بشير ﷺ.

(2) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 1 / 153ط. دار الحديث.. مصر.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف:58).

قال العلماء: القلب الطيب يشبه في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله ﷺ بالأرض الطيبة، وبالتربة الطيبة.. والقلب الخبيث يشبه بالأرض الخبيثة وبالتربة الخبيثة.. القلب والتربة.. منبت زرع، ومأتى ثمر.. القلب ينبت نوايا ومشاعر، وانفعالات واستجابات، واتجاهات وعزائم، وأعمالاً بعد ذلك وآثاراً في واقع الحياة.. والأرض تنبت زرعاً وثمراً مختلفاً أكله وألوانه ومذاقاته وأنواعه.. «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ».. طيباً خيراً، سهلاً ميسراً.. «وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً».. أي لا يخرج إلا قليلاً في عسر ومشقة [1].

وهذا يُبينه النبي ﷺ في حديث كافٍ شافٍ، قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» [2].

ولهذا فالمرء لا يقول بلسانه، ولا يعمل بجوارحه إلا بما يُوافق حال قلبه، وتربيته التي نشأ عليها، وصاغت شخصيته، كما يقول الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (الإسراء:84)[3].

---

(1) راجع: في ظلال القرآن لسيد قطب 3 / 1300.

(2) أخرجه البخاري 79، ومسلم 2282، وغيرهما عن أبي موسى رضي الله عنه.

(3) الشاكلة: الطريقة والسيرة التي اعتادها صاحبها (راجع: التحرير والتنوير 6 / 194).

قال علماء الأزهر: إن كل واحد من الناس سواء أكان مؤمنًا أم كافرًا، مُقْبلاً أم مُعرضًا، راجيًا أم قانطًا، يعمل على طريقته ومذهبه وأخلاقه التي ألفها في الهدى والضلال.. ولا تخفى على الله تعالى خافية [1].

وفي شأن إبراهيم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الصافات: 83، 84).. ولأن قلب إبراهيم عليه السلام سلم من الأمراض استقام لسانه على الكلمة الطيبة، وكف عن الكلمة الخبيثة، كما قَالَ عُرْوَةَ لولده: يَا بَنِيَّ لَا تَكُونُوا لَعَّانِينَ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَلْعَنْ شَيْئًا قَطُّ، قَالَ الله تَعَالَى: (إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [2].

والنبي ﷺ رزقه الله تعالى أسلم الناس قلبًا؛ ولهذا لم يصدر من لسانه إلا كل مليح؛ حتى ألفه المؤمنون وأحبوه، كما يقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران:159).

سلامة القلب من الأمراض سعادة في الدنيا والآخرة.

ولهذا فالإنسان الذي سلم قلبه من الأمراض الباطنة كالحقد والحسد والبغضاء وسوء الظن ونحوها يحيا نهاره مستريح النفس ، وينام ليله قرير العين، ولا يكون من جوارحه إلا القول الطيب، والعمل الأطْيب.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ (يتساقط ماء) لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ:

---

(1) راجع: التفسير الوسيط 5/ 797 .

(2) راجع: تفسير الطبري 19 / 565، وتفسير القرطبي 16 / 44 ط. مؤسسة الرسالة.

إِنِّي لَاحَيْتُ (اختلفت مع) أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟.. قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ:

يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ؛ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ [1].

أجل، هذا المؤمن الذي سلم قلبه من الأمراض سلم لسانه من سوء القول والإشاعات الخبيثة، كما قال عبدُ الله: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا.

أمَّا في الآخرة فيُؤجر الله تعالى الذي سلمت قلوبهم سعادة أكبر، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ» [2]. أي في رقتها وسلامتها من الأمراض.

ويُمكن للمؤمنين أن يعيشوا هذه السعادة في دنياهم كلما جاهدوا أنفسهم لتسلم قلوبهم من الأمراض الباطنة، وألسنتهم من الكلمة السيئة والإشاعات الخبيثة.

---

(1) صحيح.. أخرجه أحمد 12697، وعبد الرزاق في المصنف 20559، والبيهقي في الشعب 6605، وغيرهم.

(2) صحيح.. أخرجه مسلم 2840، وأحمد 8383، وأبو يعلى 5896، وغيرهم.

أمراض القلوب تُضْعف الإيمان، وتُفسد الجوارح.

وفي المقابل نجد أمراض القلوب إذا استولت على قلب كدَّرت سلامته، وأوْهنت فيه الإيمان، وأفسدت في الجسد الجوارح؛ فينطلق اللسان بكل قبيح،كالبهتان والإشاعات الخبيثة.

فعن حُذَيْفَة بن اليمان ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا (منكوسًا)لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» [1].

وبهذا الغطاء الأسود يتسرَّب الإيمان من القلْب، كما يتسرَّب الماء من الإناء بثُقْب فيه، حتى يُصاب بالضعف والهُزال.

صاحب القلب السليم أفضل المؤمنين.

ولهذا فإن صاحب القلب السليم، واللسان الصدوق أفضل المؤمنين استقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ، كما جاء عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟.. قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ».

قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟.

قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ» [2].

وفي هذا الحديث يقرن النبي ^ صدق اللسان بسلامة القلب؛ للدلالة على أنهما مُتلازمان.. وأن صدق اللسان، والكف عن الكذب والبهتان والإشاعات السوء أثر ناتج عن سلامة القلوب من الأمراض.

---

(1) أخرجه مسلم 144، والبغوي في شرح السنة 4218، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه ابن ماجة 4216، والطبراني في الشاميين 1218،.

فالقلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، كما يقول النبي ^: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [1].

وجوب مجاهدة المؤمن نفسه ليسلم قلبه.

ويجب على المؤمن أن يُجاهد نفسه؛ ليسلم قلبه من الأمراض، وتستقيم جوارحه على العمل الطيب والقول الأطيب، وإذا لم يفعل هذا كان آثمًا.

قال ابن حجر الهيتمي عن بعض أئمة الشافعية: فمن أعطي قلبا سليمًا من هذه الأمراض فليحمد الله تعالى، ومن وجد في قلبه مرضا من هذه الأمراض وجب عليه أن يعالجه حتى يزول، فإن لم يعالجه أثم، وإنما يأثم من هذه الأمراض على ما نواه وقصده بقلبه دون ما خطر بقلبه أو سبق إليه لسانه ووهمه [2].

وكلما صدق المؤمن في هذه المجاهدة، رزقه الله تعالى سلامة القلب، وصدق اللسان، واستقامة الجوارح، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:69).

ومع أن النبي ﷺ أسلم الناس قلبًا كان يسأل الله تعالى أن يُطهر قلبه من الأمراض ، كما جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ سَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي» [3] (أي مرض قلبه).

وفي هذا الدعاء يقرن النبي ﷺ بين سداد اللسان وسلامة القلب من أمراضه؛ لما بينهما من تلازم.

دعائم مجاهدة المؤمن نفسه ليسلم قلبه.

ولمجاهدة المؤمن نفسه ليسلم قلبه من الأمراض دعائم كثيرة، نذكر منها الآتي:

---

(1) أخرجه البخاري 52، ومسلم 1599، وغيرهما عن النعمان بن بشير.

(2) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 1 / 153ط. دار الحديث.. مصر.

(3) صحيح .. أخرجه الترمذي 3551، وابن ماجة 3830، وغيرهما، في حديث طويل.

أولًا: مجاهدة النفس لاعتياد الصدق واجتناب الكذب والبهتان.

ومعناه: أن المؤمن كما يجب عليه طاعة الله تعالى في لزوم الصدق، واجتناب الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة يجب عليه أن يُروِّض نفسه على ملازمة الصدق في القول واجتناب الكذب والبهتان مرة بعد مرة؛ حتى يُصبح سجية له، وعادة في أخلاقه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:119).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» [1].

وفي القول المأثور: تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب، وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة [2].

والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

ومن المُلاحظ أن سورة العنكبوت التي ذُكر فيها هذا القول الكريم نزلت في مكة قبل تشريع الجهاد الحربي؛ مما يعني أن الجهاد المذكور فيها هو جهاد النفس وتربيتها على طاعة الله تعالى وتزكيتها بها لتزكو وتعلو.

ثانيًا: اختيار الجليس الصالح.

ومما يُعين على اكتساب سلامة القلب واستقامة الجوارح، واجتناب الإشاعات الخبيثة: أن يختار المؤمن الجليس الصالح، والصاحب الطيب، الذي استقام لسانه على الصدق والإعراض عن اللغو وفُحش القول؛ حيث أن الصاحب يقتدي بصاحبه، ويتأثر

---

(1) أخرجه مسلم 2607، وأبو داود 4989، والترمذي 1971، وغيرهم.

(2) قول مأثور.. أخرجه (هناد) مرفوعًا في الزهد رقم 1375 وغيره عن مجمع بن يحيى مرسلًا.

به، وقد قيل: الصاحب ساحب، أن عدوى الأخلاق مثل عدوى الأمراض تنتقل بالمجالسة أو بالمجاورة أو بالتلقي؛ ولهذا المعنى التربوي جاء عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً [1].

ثالثًا: معرفة سير وأخلاق الصالحين من المؤمنين.

وقريب من هذا: معرفة سير وأخلاق الصالحين من المؤمنين بطريق القراءة أو بطريق السماع، والاقتداء بهم، والتشبه بفعالهم، فإن هذا كمجالستهم، يُعين على مجاهدة النفس ولزوم الصدق واجتنبا الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، وقد ذكرنا أن عدوى الأخلاق مثل عدوى الأمراض تنتقل بالمجالسة أو بالمجاورة أو بالتلقي.. وقد قيل:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالصالحين فلاح

وقال العالم الصالح الشيخ عبد السلام أبو الفضل: لا شيء أنفع للقلوب من محبة الصالحين ومعاشرتهم، ومعرفة أقولهم وافعالهم [2].

ولهذا المعنى التربوي ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أخبار الرُّسُل والأنبياء عليهم السلام، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: 90).

قال علماء الأزهر: المعنى: هم أولئك الأنبياءُ الذين وفقهم الله تعالى، إلى منهج الحق، والخير، فاقْتَدِ بهم يا محمد، وسِرْ على طريقتهم: من التوحيد وأصول الدين؛ لأن دعوة الأنبياء عليهم السلام في أُصولها واحدة.. قال ابن عباس: نَبِيُّكُمْ ^ مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدي بِهِمْ [3].

---

(1) أخرجه البخاري 2101، ومسلم 2628، وغيرهما عن ابن عمر.

(2) راجع: زاد الأتقياء. مجموعة نصائح وحكم من مواعظ ولي الله الشيخ عبد السلام أبو الفضل. جمع وترتيب د. محمد إبراهيم الحفناوي.

(3) راجع: التفسير الوسيط 3 / 1284، وتفسير ابن كثير، تحت الآية الكريمة.

وقد أجاب النبي ﷺ أمر ربه فاقتدى بالأنبياء عليهم السلام من قبله، مثل اقتدائه بموسى عليه السلام في الصبر والعفو، كما جاء عَنْ عَبْدِ الله بْن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ الله ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَالله، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ الله، قَالَ فَقُلْتُ: وَالله، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِل إِنْ لَمْ يَعْدِلِ الله وَرَسُولُهُ».. ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ الله مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» [1].

وحينما قال أهل مكة للنبي ﷺ في غزوة الفتح: «إن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا.. فاقتدى النبي ^ بنبي الله يوسف عليه السلام في لصبر والعفو، وقال: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين» [2].

وهذا مما أعان السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) حينما ابتُليت بالإفك أنها اقتدت بنبي الله يعقوب عليه السلام في الصبر على فقد ولده، وكَذِبِ أولاده عليه، وخيانتهم له، وقالت لمن حولها: والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف، إذْ قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (يوسف: 18) [3].

(1) صحيح: أخرجه البخاري: 315، ومسلم: 1062، وأحمد 3608 وغيرهم.

(2) راجع: دلائل النبوة للبيهقي: 5/ 58، وسبل الهدى والرشاد: 5/ 128، وأعلام النبوة للماوردي 221.

(3) صحيح: أخرجه البخاري:2661، ومسلم: 2770، والترمذي: 318 وغيرهم.

6ـ إحسان الظن بالمؤمنين

ومن الوسائل الهامة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: إحسان الظن بالمؤمنين.

والظن معناه: احتمال وجهيْن في عمل المسلم، أحدهما حسن وهداية، والآخر سيء وغواية.. وإحسان الظن معناه: حمل عمل المسلم وقوله على الوجه الحسن.

قال أبو حامد الغزالي: وَحَدُّ حسن الظن أَنْ لَا تَحْمِلَ فِعْلَهُ على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن [1].

إحسان الظن بالمؤمنين فريضة إسلامية.

وإحسان الظن بالمؤمنين فريضة إسلامة.. وهو الأصل الذي يجب أن يتعايش به المؤمنون؛ فلا يجوز للمسلم أن يظن بأخيه المسلم إلا خيرًا، ولاسيما إذا كان الذي قيلت فيه الإشاعة الخبيثة ظاهر الصلاح، كما يقول الله تعالى في آيات الإفك: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (النور:12).

ومعنى (لَوْلا) حضٌ وأمر، يُفيد: وجوب إحسان الظن بالمؤمن.. فإذا سمع المؤمن على أخيه خبرًا يُشينه، أو إشاعة خبيثة تُلوثه وتُؤذيه لا يجوز له نقلها، ويجب عليه ردها وتكذيبها، والإعراض عنها، ويحمل أخاه المؤمن على حُسن الظن، ويقول: (هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ).

وهذا حق المؤمن على أخيه المؤمن، بمقتضى أخوة الإيمان التي جعلتهم نفسًا واحدة، كما يُبينه قول الله تعالى: (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً)، فإذا ظن المسلم بأخيه المسلم سوءًا فقد ظن بنفسه، وأساء إلى نفسه.

ومما نذكره هنا ما جاء في حادثة الإفك: أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خالدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ، رَضِيَ الله عَنْهَا؟ .

قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أكنتِ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمَّ أَيُّوبَ؟ .

---

(1) راجع: إحياء علوم الدين 2/ 276.

قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا كنتُ لِأَفْعَلَهُ.. قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللهِ خَيْرٌ مِنْكِ [1].

سوء الظن بالمؤمنين من كبائر الذنوب.

وإذا كان ذكْر المسلم بما يكرهه غيبة باللسان، فإن إساءة الظن به غيبة بالقلب وكل منهما من كبائر الذنوب، وقد جاء النهي عنهما في آية واحدة؛ لما بينهما من تلازم في الضرر والحرمة والإثم، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:12).

والنهي عن سوء الظن بلفظ الاجتناب معناه: تحريمه وتحريم كل ما يُقرِّب منه أو يُؤدي إليه، وهو ذات الفعل الذي ينهى الله تعالى به عن الشرك وعن الكبائر، كما في قول الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج:30).

والنَّبيِّ ﷺ يقول: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» [2].

وفي هذا الحديث نرى سوء الظن بالمؤمن أكبر الكلام كذبًا، وأشده تحريمًا وإثمًا، وقد قرن النبي ﷺ النهي عنه بالنهي عن هذه المحرمات القطعية؛ لما بينهما من تلازم.

---

(1) راجع: إسحاق بن راهويه في مسنده 1698، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 26، ط. دار الشعب.

(2) أخرجه البخاري 6064، ومسلم 2563، وغيرهما.. قال العلماء: التجسس هو: البحث عن الشيء.. والتحسس هو: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يستمع على أبوابهم أو يسأل غيره بغير علمهم.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكِ مِنْ بَيْتٍ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَلَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدَةً، وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ [1].

قال أبو حامد الغزالي: وسبب تحريم سوء الظن أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه؛ فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ (الحجرات:6)، فلا يجوز تصديق إبليس، وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تُصدق به، لأن الفاسق يتصور أن بصدق في خيره، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكه (شم رائحة فمه) فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد؛ إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها (أخرجها)، وما شربها أو حمل عليه قهرًا، فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب [2].

وإن كان ناقل الإشاعة الخبيثة عدلاً في نفسه، ولا يُحتمل تكذيبه فلا يجوز تصديقه، لأنه بنقله الإشاعة الخبيثة يُعتبر مُغْتابًا، ومُحبًا لإشاعة الخُبث في المؤمنين، وكفى بهذا تجريحًا له، وسببًا في منع تصديقه، ويقول المسلم السامع في نفسه: إن المؤمن المُهان بالإشاعات الخبيثة كان عندي في ستر الله تعالى، وأمْره محجوبًا عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره.

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب 6280، والألباني في الأحاديث الصحيحة وحسنه برقم 3420، وهو كما قال.

(2) راجع: إحياء علوم الدين 3 / 235، 236، 237 ط. دار الحديث.

النبي ﷺ قدوة حسنة في إحسان الظن بالمؤمنين.

والنبي ﷺ كان في حياته العملية قدوة حسنة في إحسان الظن بالمؤمن.. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» ، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» (فيه بياض وسواد)، قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا» ، قَالَ: لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللهِ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزَعَهُ عِرْقٌ لَهُ» [1].

فالصحابي ــ كما يبدو في كلامه للنبي ﷺ ــ أساء الظن بامرأته، لكن النبي ﷺ وجَّهَه إلى ظن آخر يحتمله الحال، وهو عامل الوراثة، وفيه إحسان الظن المطلوب.

قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْأُمِّ: ظاهر قول الأعرابي أنه اتهم امرأته، لكن لَمَّا كان لقوله وجه غير القذف لم يحكم النبي ﷺ فيه بحكم القذف [2].

* ــ وسأل رسول الله ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ عن كعب بن مالك، قال: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ».. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِيهِ.. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ [3].

ولهذا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَبْدُوَ لَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُ [4].

---

(1) أخرجه البخاري 7314، ومسلم 1500، والترمذي 2128، وغيرهم.

(2) راجع: فتح الباري 9/ 351 رقم 5305.

(3) أخرجه البخاري 4418، ومسلم 2769، وغيرهما..(حَبَسَهُ بُرْدَاهُ) أي مشغول بجمال ملابسه عن الجهاد.

(4) راجع: اعتلال القلوب للخرائطي رقم 755.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا [1].

وقال بعض السلف: إني ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين، ثم أقول: لعل له عذرًا آخر لا أعرفه!.

قال الأستاذ القرضاوي: إذا كان العمل الصادر عن المسلم يحتمل وجهًا يكون فيه خيرًا، وعشرين وجهًا لا يكون فيها إلا شرًا، فينبغي حمل هذا العمل على وجه الخير الممكن والمحتمل.

وإذا لم يجد وجهًا واحدًا للخير يحمله عليه فيجمل به أن يتريَّث، ولا يستعجل في الاتهام، فقد يبدو له شيء عن قريب، وما أصدق قوْل الشاعر:

تأن ولا تعجل بلومك صاحبًا * لعل له عذرًا وأنت تلوم!

ومما يجب التحذير منه: ما يتصل باتهام النيات، والحكم على السرائر، لأن علمها عند الله، الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية [2].

(1) راجع: شعب الإيمان للبيهقي رقم 7992.

(2) راجع: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص 128د. يوسف القرضاوي.

7ـ إماطة الإشاعات الخبيثة عن المؤمنين

ومن وسائل مجاهدة الإشاعات: الغيبة والبهتان والافتراء والإشاعات الخبيثة عن الإنسان.

فكما لا يجوز للمسلم أن يقول الكذب والبهتان أو الإشاعات الخبيثة التي تُؤذي المؤمنين لا يجوز له أن يُشارك في إشاعة البهتان والإشاعات الخبيثة بالسكوت عنها راضيًا، والإعراض عن ردها مع قدرته؛ فإن هذا ركون إلى الظلم والظالمين، وقد نهى الله تعالى عنه نهيًا قاطعًا في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:113).. ولأنه أيضًا تعاون على الإثم والعدوان وقد نهى الله تعالى عنه نهيًا صريحًا، كما في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة:2).. والنبي ﷺ يقول: « فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» [1].

وقد عد الإمام ابن حجر الهيثمي السكوت عن رد الغيبة من الكبائر التي يجب أن ينزجر عنها المؤمنون، قال: عد الغيبة المحرمة كبيرة هو ما جرى عليه الكثيرون، ويلزم منه أنَّ السكوت عليها ــ رضا بها ــ كبيرة أيضا، على أنه يأتي أن ترك إنكار المنكر مع القدرة عليه من الكبائر، والغيبة من عظائم المنكرات... ثم رأيت الأذرعي صرح به حيث قال: وأما السكوت على الغيبة ــ رضا بها ــ مع القدرة على دفعها فيشبه أن يكون حكمه حكمها، نعم لو لم يمكنه دفعها فيلزمه عند التمكن مفارقة المغتاب، وتبعه الزركشي فقال:

والأشبه أن السكوت على الغيبة مع القدرة على دفعها كبيرة. انتهى [2].

---

(1) أخرجه مسلم 1854، وأبو داود 4760، وغيرهما.

(2) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 2 / 24، 25.

وفي آية الإفك قال سعيد بن جُبَير: وَفِي هَذِهِ الْآيَة عِبْرَة عَظِيمَة لجَمِيع الْمُسلمين إِذا كَانَت فيهم خَطِيئَة فَمن أعَان عَلَيْهَا بِفعل أَو كَلَام أَو عرض لَهَا أَو أعجبه ذَلِك أَو رَضِي فَهُوَ فِي تِلْكَ الْخَطِيئَة على قدر مَا كَانَ مِنْهُ [1].

وجوب نصرة المؤمن ودفع الأذى عنه.

ولهذا يجب على المؤمن إذا سمع كذبًا أو بهتانًا أو إشاعة خبيثة تُشين أخاه المؤمن أن يُميطها عنه، بإحسان الظن به، وتكذيبها وردها عنه بقدر الاستطاعة.

وإذا كان إماطة الأذى عن طريق الناس من شعب الإيمان فإن إماطة الأذى وإبعاده عن المؤمن من أعلى وأجل شعب الإيمان[2]، يقول الله تعالى: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) (النور:12).

استنبط القرطبي من هذه الآية وجوب دفْع أذى القذف والإشاعات الخبيثة عن المؤمنين.. قال: قَالَ النَّحَّاسُ: مَعْنَى (بِأَنْفُسِهِمْ) بإخوانهم. فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلًا يقذف أحدًا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه. وتوعَّد من ترك ذلك ومن نَقَلَه[3].

ومن لطائف هذا القول الكريم أنه جعل المؤمنين نفسًا واحدة.. فنفس المؤمن هي نفس أخيه المؤمن، فإذا سمع أذى في عِرض أخيه المؤمن شعر أنه أصابه هو، وأحس بألمه في نفسه؛ فيكرهه ولا يُوافق عليه، وينفيه ويدفعه كما يكره وينفي ويدفع السوء عن

---

(1)راجع: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (6 / 153) ط. دار الفكر.

(2) إشارة إلى حديث: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (أخرجه مسلم 35 وغيره عن أبي هريرة).

(3) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 15/ 171،172، تحقيق د. عبد الله التركي.. ط. مؤسسة الرسالة.

نفسه، وهذا آية لصدق الإيمان في قلبه، كما يقول النبي ^: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [1].

وترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: من الإيمان أن يُحب لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه.

والنبي ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» [2].

قال المناوي: قوله ﷺ: «وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» أي يحفظه ويصونه ويذب عنه، ويدفع عنه من يغتابه أو يلحق به ضررا، ويعامله بالإحسان بقدر الطاقة، والشفقة والنصيحة، وغير ذلك.. قال بعض العارفين: كن رداءًا وقميصًا لأخيك المؤمن، وحُطْهُ من ورائه، واحفظه في نفسه وعرضه وأهله، فإنك أخوه بالنص القرآني فاجعله مرآة ترى فيها نفسك، فكما يُزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة فأزل عنه كل أذى به عن نفسه[3].

وَعن أنس بن مالك ﷺ أن الرسول ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟.

قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» [4].

وبهذا الحديث يتفق المؤمنون على وجوب نُصرة الإنسان المظلوم، ووجوب رد الظالم عن الأذى، وفي هذا نصرٌ له على نفسه الأمارة بالسوء، كما يقول ﷺ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإِيمَانِ، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم 13، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه، رقم 45، وغيرهما.

(2) أخرجه أبو داود 4918، والبخاري في الأدب المفرد 239، وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ.

(3) راجع: فيض القدير 6 / 252.

(4) أخرجه البخاري 6952، والترمذي 2255، وأحمد 11949، وغيرهم عن أنس بن مالك ﷺ.

ويصف النبي ﷺ نُصرة المؤمن لأخيه المؤمن بالبنيان الذي تراصت لبناته بانتظام، وتلاحمت بإحكام حتى تماسكت في جدار واحد، فيقول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ [1].

وهذا حق المؤمن على أخيه المؤمن، أن يحوطه ويرعاه، ويدفع عنه الأذى بقدر استطاعته، كما يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:71).

والولاية بين المؤمنين تعني نصرة بعضهم بعضًا بالنفس والمال واللسان.. ونصرتهم باللسان تعني رد الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة عنهم.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[2].

قال سفيان الثوري: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمنين، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافقين [3].

وقال الإمام النووي: إنه ينبغي لمن سمع غِيبةً ــ أو بهتان وإشاعة خبيثة ــ تُؤذي مسلمًا أن يردّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلام زجرَه بيده، فإن لم يستطع باليدِ ولا باللسان فارقَ ذلكَ المجلس، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كانَ من أهل الفضل والصَّلاح، كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثر [4].

(1) أخرجه البخاري 481، ومسلم 2585، وغيرهما عَنْ أَبِي مُوسَى.
(2) أخرجه مسلم 49، وأبو داود 1140، وابن ماجة 1275، وغيرهم.
(3) راجع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال 58.
(4) راجع: الأذكار للنووي.. تحقيق شعيب الأرنؤوط ص343 .

إماطة الإشاعات الخبيثة عن المؤمن من الجهاد المفروض.

ومما يجب ذكره هنا: أن إماطة الإشاعات الخبيثة عن المؤمنين من الجهاد الواجب على المؤمنين، كما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (1).

والشاهد في الحديث قوله ﷺ: (وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ) وبهذا يكون الاشتغال برد الغيبة والبهتان والإشاعات الخبيثة ودفعها عن المؤمنين من الجهاد المفروض.. وإذا مات المؤمن بسبب القيام به أو وهو قائم به فأحسبه عند الله شهيدًا.

أجر من يُميط الأذى عن المؤمنين.

والله تعالى يعد المؤمن الذي يُميط الأذى والإشاعات الخبيثة عن أعراض المؤمنين أن يُهيئ له من يُميط عن عرضه الأذى والإشاعات الخبيثة في الدنيا، ثم يرد عن وجهه النار يوم القيامة، كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (2).

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: نَالَ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ» (3).

* ــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ بَعَثَ اللهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ (1).

---

(1) أخرجه مسلم 50، وابن حبان 6193، والبيهقي في الكبرى 20178، وغيرهم عن ابن مسعود ﷺ.

(2) صحيح.. أخرجه البيهقي في الكبرى 16685، والألباني في الأحاديث الصحيحة 1217.

(3) صحيح..أخرجه الترمذي 1931، وأحمد 27536، والبغوي 3528، وغيرهم. .

* ــ وَعَنْ عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: مَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَنَصَرَهُ جَزَاهُ الله بِهَا خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ جَزَاهُ الله بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرًّا، وَمَا الْتَقَمَ أَحَدٌ لُقْمَةً شَرًّا مِنَ اغْتِيَابِ مؤمن إِنْ قَالَ فِيهِ مَا يَعْلَمُ فَقَدِ اغْتَابَهُ وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَقَدْ بهته [2].

* ــ وقال جَابِرُ بْنَ عَبْدِ الله: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ» [3].

النبي ﷺ يُميط الأذى عن عباده المؤمنين.

وكان النبي ﷺ في حياته العملية قدوة حسنة في إماطة الأذى والإشاعات الخبيثة عن أعراض المؤمنين في غيبتهم أو في حضورهم، مثلما جاء عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، (تَعْنِي قَصِيرَةً).

فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».. قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا.

فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا» [4].

قال الإمام المناوي: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».. أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها، كذا قرره النووي.. وقال غيره: معناه هذه غيبة منتنة، لو كانت مما يمزج بالبحر مع عظمه لغيرته، فكيف بغيره.

---

(1) صحيح..أخرجه أبو داود 4883، وأحمد 15649، والألباني في صحيح الترغيب 2848، وغيرهم.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري في الأدب المفرد 734، وابن وهب في جامعه 311، وغيرهما.

(3) صحيح..أخرجه أبو داود 4884، وأحمد 16368، والبيهقي في الكبرى 16682، وغيره

(4) صحيح.. أخرجه أبو داود 4875، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 1080، وغيرهما.

قال النووي: هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلـغ، (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: 3 ، 4) [1].

وقال عِتْبَانُ بْنَ مَالِكٍ: غَدَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ إلى بيت عِتْبَانُ بْنَ مَالِكٍ.. فَآبَ (رجع) فِي البَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ؟.. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْـهَ الله .. قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.. قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي بِـذَلِكَ وَجْهَ الله [2].

ملتقى ملتقى ملتقى

(1) راجع: فيض القدير للمناوي 5/ 411.

(2) صحيح..أخرجه البخاري 425، 6938، ومسلم 33، وغيرهما.

8. وجوب ستر المؤمن

ومن الوسائل المطلوبة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: ستر المؤمن أخاه المؤمن.

من البديهيات التي نذكرها أن الواجب على المؤمن أن يستر نفسه كلما ضعف عزمه وعصى ربه، ولا يكشف ستر الله عليه، وهذا أول الستر الواجب، كما جاء عَنْ أَبِي اليَسَرِ، قَالَ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا، فَقُلْتُ: إِنَّ فِي البَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ، فَدَخَلَتْ مَعِي فِي البَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا.. الخ [1].

وإذا ظهرت للناس معصيته بغير إرادته أو انكشفت عورته بغير قصد منه فالواجب على إخوانه المؤمنين أن يستروها عليه، ولا يتحسسوه ويفضحوه بها، ويُشيعوا فيه الإشاعة الخبيثة، ولا يجوز لأحدهم أن يتخذها سبيلاً لإحراجه وكسر شوكته في الإصلاح وإقامة المعروف وتغيير المنكر، والحط من كرامته، أو منعه من خير يعمله، أو يُلزمه بعمل سيء تاب إلى الله تعالى منه.

ستْر المؤمن فريضة إيمانية [2].

هذا الستر ليس نفلًا ولا تفضلاً، إنما هو فرض يُوجبه الله على المؤمن لأخيه المؤمن؛ بمقتضى إخوة الإيمان التي تربطهما، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ

---

(1) صحيح.. أخرجه الترمذي 3115، والنسائي في الكبرى 7286، وغيرهما، وفي الباب عن ابن مسعود.

(2) هذا إذا كان الإنسان ظاهر الاستقامة، أو مستور الحال، أمَّا إذا كان فاجرًا، مُؤْذيًا للخلْق، مُصرًّا على فجوره وإيذائه للخلْق، ولا يقبل نصيحة من أحد بالتوبة، فالواجب على المؤمنين حينئذ كشفه للناس وتحذيرهم منه، وهذا من التعاون على البر والتقوى الذي يأمر الله تعالى به، ويكون ستره والسكوت عنه من الإثم المُحرَّم، كما يقول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة:2).

لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (النور: 16، 17).

والنبي ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» [1].

وبهذا يُحرِّم الله تعالى كشف ستر المؤمن، أو فَضْحُه والتشهير به ولو كان بالإشارة، كما يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(النور:19).

قال كبار علماء الأزهر: في هذه الآية تأْديب من الله تعالى لمن يحبون القدح في أعراض الأعِفّاءِ من المؤمنين والمؤمنات.

ومعنى الآية: إن الذين يريدون ويختارون أن تنشر تهمة الزنى في عرض المُحصَنين والمُحصَنات [2] من الذين آمنوا ويقومون بنشرها لهم عذاب أليم على إذاعتها في الدنيا والآخرة، لشدة قبح هذه الفرية في حق من افتريت عليه، أما عذابهم في الدنيا فبحد القذف، وأما عذابهم في الآخرة فبنار جهنم ــ إن لم يقم الحد عليهم في الدنيا، أو أُقيم عليهم وكانوا منافقين أو كافرين ــ فإن الحدود لا تكون جوابر ولا تحمى من النار إلا عصاة المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: 48، 116).

وهذه الآية قاعدة عامة يراد بها صيانة الأعراض عمومًا، وإن نزلت بشأْن قصة عائشة وصفوان التي افتراها رأْس المنافقين ابن سلول.

وقد عرفت من تفسيرنا للآية أَن المراد من حُبِّ إشاعة الفاحشة، أَن يكون هذا الحب مقرونًا بإِذاعتها فعلًا، حتى يكون بذلك قاذفًا فيستوجب حد القذف الذي جعله

(1) صحيح.. أخرجه أبو داود 2442، ومسلم 2580، وغيرهما.

(2) ومعناهما: الرجل العفيف، والمرأة العفيفة.

الله عذابه في الدنيا، أما إن أحب إذاعتها ولم يشترك في نشرها فلا حدَّ عليه، ولكن الله يعاقبه في الدنيا بمقتضى وعيده، كأن يصيبه بنوعٍ من البلاءِ، أو يبتليه بما تمناه لغيره؛ انتقامًا منه لفساد قلبه ورغبته في الفتنة، وكما يحرم التشنيع على المؤمنين والمؤمنات، يحرم قذف غيرهم وإشاعة الفاحشة عنهم؛ فإن لهم ما لنا وعليهم ما علينا [1].

* ــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ [2].

قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله.

وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله [3].

ويتأكد هذا الستر إذا كان المؤمن المنكوب ظاهر الصلاح أو مستور الحال، كما يقول الله تعالى في ذات السياق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور ــ 23:25).

والمؤمنة الغافلة هي العفيفة الطاهرة، التي لا تُقارف الرذيلة ولا تعرف لها طريقًا، وليس عندها خبرة، ولا معرفة بأحوال وأخلاق الفاجرين، وتعيش في غفلة عما يلهون به ويُشيعونه، والمؤمن كما في الأثر: غر كريم، والمنافق خب لئيم، وليس المراد أنها بلهاء، بل تفسر الغافلة بأنها الساذجة المستقيمة النفس التي تعيش بالفطرة ولا تجانفها. قد قال الزمخشري في تفسير معنى الغافلات: الغافلات السليمات الصدور التقيات القلوب

(1) راجع: التفسير الوسيط لكبار علماء الأزهر في مجمع البحوث الإسلامية 6/ 1381، 1382.

(2) راجع: إحياء علوم الدين 2 / 179، 200.

(3) صحيح..أخرجه أبو داود 4883، وغيره، وقد سبق تامًا.

اللاتي ليس فيهن دهاء، ولا مكر، لأنهن لَا يعرفن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطنَّ لما تفطن له المجربات العارفات.

وإن الغافلات أيضا لَا ينتبهن لمقالات الآثمين، ولا يعملن على ردها، وسوق الفاسدين إلى القضاء ليقيم عليهن حد القذف، وقذف هؤلاء أعظم جرما، وأدل على اللجاجة في الأذى والاستهتار في القول من غير تأثم ولا تحرج[1].

والنبي ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، لَا تَحَسَّسُوا، ولَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا » [2].

وهذا نَهْي صريح يُحرِّم على المؤمنين كشف عورات بعضهم بعضًا.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِهِ، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً، سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرَبَهُ، فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَتَهُ» [3].

وَعَنْ مَكْحُولٍ، أَنَّ عُقْبَةَ بْن عَامِرٍ أَتَى مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ، بِمِصْرَ (وَهُوَ أَمِيرٌ عليها)، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَوَّابِ شَيْءٌ، فَسَمِعَ صَوْتَهُ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا، وَلَكِنِّي جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً، فَسَتَرَهَا سَتَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؟.. فَقَالَ: نَعَمْ.. فَقَالَ: لِهَذَا جِئْتُ [4].

* ــ وحاجة المؤمن إلى العون بالستر لا تقل عن حاجته إلى العون بالمال؛ ولهذا يقرن النبي ﷺ بينهما، فيقول ﷺ: «وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [5].

---

(1) راجع: زهرة التفاسير 10/ 5170، 5171، ط. دار الفكر العربي.. مصر.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري 6724، وأحمد 8504، وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(3) صحيح..أخرجه الطبراني في الأوسط 5649، والألباني في صحيح الترغيب 2337، وغيرهم.

(4) صحيح.. أخرجه أحمد 16960، والطبراني في الشاميين 3502، وغيرهما.

(5) صحيح.. أخرجه أبو داود 4946، والترمذي 1425، والنسائي في الكبرى 7248، وغيرهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

والكلمة يقولها المؤمن لأخيه المؤمن أمانة يجب سترها لـه، ويحـرم كشـفها للنـاس، كما جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَـدِيثِ ثُـمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ» [1].

وقد ترجم ابن أبي شيبة لهـذا الحـديث بقولـه: بـاب مـن قـال إذا حـدث الرجـل بالحديث فقال: اكتم عليَّ فهو أمانة، وذكر بعده قول الحسن: إِذَا حَـدَّثَ الرَّجُـلُ الرَّجُـلَ بِحَدِيثٍ وَقَالَ: «اكْتُمْ عَلَيَّ، فَهِيَ أَمَانَةٌ» [2].

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْـنِ حَـزْمٍ ﷺ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـول اللهِ ﷺ: إِنَّمَـا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ [3].

وإذا كان هذا بين المؤمن وأخيه المؤمن فهو بين المؤمن وزوجته أعظم أمانـة وأشـد رعاية ومسئولية، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، قَالَ رَسُولُ الله ^: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَـةِ عِنْـدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» [4].

وفي هذا الشأن أخرج أحمد عَنْ عُمَرَ، قَالَ: تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْـنِ حُذَافَةَ أَوْ حُذَيْفَةَ شَكَّ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّـنْ شَـهِدَ بَـدْرًا، فَتُـوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْـتُ: إِنْ شِـئْتَ أَنْكَحْتُـكَ حَفْصَةَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي ذَلِكَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَلَقِيَنِي فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ يَـوْمِي هَـذَا،

---

(1) صحيح.. أخرجه أبو داود 4868، وابن أبي شيبة 26095، والألباني في صحيح الترغيب 2025، وغيرهم.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 26094، وغيره.

(3) أخرجه البيهقي في الشعب 10677، وابن المبارك في الزهد 642، وقال البيهقي: هَذَا مُرْسَلٌ جَيِّـدٌ، وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غـير سـعيد بـن عبـد الرحمن الجحشي، وهو صدوق؛ كما في التقريب (راجع: الأحاديث الضعيفة رقم 3854) ولفظـه في صحيح الجامع الصغير (2330) «إنما المجالس بالأمانة» وحسنه، وعزاه لأبي الشيخ في التوبيخ عـن عثمان وابن عباس مرفوعًا.

(4) صحيح.. أخرجه أحمد 11655، مسلم، رقم 1437، وأبو داود 4870، وغيرهم.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ ابْنَةَ عُمَرَ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَخَطَبَهَا إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ شَيْئًا حِينَ عَرَضْتَهَا عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُهَا، وَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ^، وَلَوْ تَرَكَهَا نَكَحْتُهَا» [1].

وقيل: إن من أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلاها كتمان ما أسر به إليه.. وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وكيف لا؟، ورعاية الأمانة فرض على المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء:58).. ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:27).

وفي الأثر: قال عيسى عليه السلام: للحواريين كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا، وقد كشف الريح ثوبه عنه؟.. قالوا: نستره ونغطيه.. قال: بل تكشفون عورته.. قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟.. فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها [2].

وبهذه الأخلاق الإيمانية في الستر تربى المؤمنون، وتواترت عنهم الأخبار في لزومها، ونذكر منها:

* ــ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ: إِنَّ لِي بِنْتًا كُنْتُ وَأَدْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاسْتَخْرَجْنَاهَا قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ، فَأَدْرَكَتْ مَعَنَا الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَتْ فَلَمَّا أَسْلَمَتْ أَصَابَهَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ الله، فَأَخَذَتِ الشَّفْرَةَ لِتَذْبَحَ نَفْسَهَا،

(1) صحيح.. أخرجه أحمد 74، والبخاري 5129، وأبو يعلى 6، 7، وغيرهم.

(2) راجع: إحياء علوم الدين 2/ 178.

فَأَدْرَكْنَاهَا وَقَدْ قَطَعَتْ بَعْضَ أَوْدَاجِهَا، فَدَاوَيْتُهَا حَتَّى بَرِئَتْ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ بَعْدَ تَوْبَةٍ حَسَنَةٍ وَهِيَ تُخْطَبُ إِلَى قَوْمٍ ، فَأُخْبِرُهُمْ مِنْ شَأْنِهَا بِالَّذِي كَانَ؟.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ: «أَتَعْمَدُ إِلَى مَا سَتَرَهُ الله فَتُبْدِيهِ ، وَالله لَئِنْ أَخْبَرْتَ بِشَأْنِهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لَأَجْعَلَنَّكَ نَكَالًا لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ أَنْكِحْهَا نِكَاحَ الْعَفِيفَةِ الْمُسْلِمَةِ» [1].

* ــ عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي وَجَدْتُ صَبِيًّا وَوَجَدْتُ مَعَهُ قُبْطِيَّةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ، فَأَخَذْتُهُ وَاسْتَأْجَرْتُ لَهُ ظِئْرًا، وَإِنَّ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ يَأْتِينَهُ فَيُقَبِّلْنَهُ لَا أَدْرِي أَيُّهُنَّ أُمُّهُ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا هُنَّ أَتَيْنَكَ فَأَعْلِمِينِي، فَفَعَلْتُ، فَقَالَ لِامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: أَيَتُكُنَّ أُمُّ هَذَا الصَّبِيِّ؟.. فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَحْسَنْتَ وَلَا أَجْمَلْتَ يَا عُمَرُ، تَعْمَدُ إِلَى امْرَأَةٍ سَتَرَ الله عَلَيْهَا فَتُرِيدُ أَنْ تَهْتِكَ سِتْرَهَا، قَالَ: صَدَقْتِ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِذَا أَتَيْنَاكِ فَلَا تَسْأَلِيهِنَّ عَنْ شَيْءٍ، وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّهِنَّ.. ثُمَّ انْصَرَفَ [2].

علة وجوب الستر على المؤمنين:

والعلة في ذلك: أن ستر المؤمن يُشجِّعه على التوبة إلى الله تعالى، ويُعينه على الاستقامة، فيبْقي طاهرًا نقيًا كما كان يعرفه عارفوه قبل معصيته؛ ولهذا لما قال دُخَيْنٌ أَبو الْهَيْثَمِ، كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَأَنَا دَاعٍ الشُّرْطَ لِيَأْخُذُوهُمْ، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ، لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ.

قَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ، فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَإِنِّي دَاعٍ الشُّرْطَ لِيَأْخُذُوهُمْ، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ، لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَى مَوْءُودَةً فِي قَبْرِهَا» [3].

قوله ﷺ: « فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَى مَوْءُودَةً فِي قَبْرِهَا»، معناه: أن المؤمن بمعصيته كأنما وأد نفسه، وستْره يُعينه على نفسه، ويُشجعه على التوبة، وبهذا يحيا بعد موت.

---

(1) راجع: الزهد لهناد بن السري 2/ 647.. حياة الصحابة 3 / 151، تحقيق. د. بشار عواد. ط. مؤسسة الرسالة.. بيروت.

(2) راجع: شعب الإيمان للبيهقي 12/ 161، رقم 9215، وغيره.

(3) صحيح.. أخرجه ابن حبان 517، والبخاري في الأدب المفرد 758، وأبو داود 4891، وغيرهم.

وهذا الحديث إن كان في سنده اضطِّراب عن أبي الهيم (دُخيْن) على كعب بن علقمة ــ فقد جبره الشاهد[1]، ومنه ما جاء عَنْ مَكْحُولٍ، أَنَّ عُقْبَةَ أَتَى مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ، بِمِصْرَ (وهو أميرها)، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَوَّابِ شَيْءٌ، فَسَمِعَ صَوْتَهُ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا، وَلَكِنِّي جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ^: مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً، فَسَتَرَهَا سَتَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟.

فَقَالَ: نَعَمْ.. فَقَالَ: لِهَذَا جِئْتُ [2].

هذا، بخلاف كشف المعصية للناس، فإنه وأْدٌ لمن اقترفها، بل يُسبِّب مفاسد كثيرة.. نذكر منها الآتي:

1 ــ أن في كشفها للناس استخفاف بحق الله تعالى في الطاعة، كأن المجاهر يقول بلسان حاله: أنا لا أخاف الله، ولا يعنيني غضبه ولا رضاه!.

2 ــ وأن في كشفها للناس تعريف بها وبمسالكها لمن لم يعرفها.

3 ــ وأن في كشفها للناس تهوين بها، وتهوين بمسالكها على من استصعبها، ويُشجع عليها من كان يخافها، ويخاف المجاهرة بها.

4 ــ وأن في كشفها للناس ينزع من قلب المؤمن كراهيتها، والحياء من عملها، حتى يعتادها ويعتاد المجاهرة بها، وربما انقطع في عينه خيط الرجعة عنها؛ فتنتشر المعصية في المجتمع انتشارًا مُخِيفًا قد يصعب علاجه؛ مما يكون نذيرًا

---

(1) حسَّنه الألباني عن جابر، تحت رقم 2808، وقال: فأرى أن الحديث بهذا اللفظ: (موؤودة) حسن على الأقل باجتماع رواية أبي معشر هذه مع رواية القسملي التي قبلها، مع عدم منافاة حديث الترجمة له كما هو ظاهر. والله أعلم.. ثم وجدت له شاهدا من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا (راجع: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (6/ 327، تحت رقم 2808)

(2) صحيح.. أخرجه أحمد 16960، والطبراني في الشاميين 3502، وغيرهما.

بعقاب الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:41).

وروى البخاري عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ الله عَنْها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا.

قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟.

قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» [1].

النبي ﷺ قدوة حسنة في الستر.

ولهذا كان النبي ﷺ في حياته العملية قدوة حسنة في الستر على العصاة التائبين، وفي تعليمهم ستر أنفسهم، فحينما جاءه ماعز الأسلمي يُقر أمام المؤمنين بأنه فعل الفاحشة، أعرض عنه ﷺ، وقال له: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» [2].

وفي حديث نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ أَنَّ ماعزًا حينما أَخْبَرَه بأنه وقع على جاريته فاطمة خَدَعَهُ هَزَّال، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبِرْهُ، عَسَى أَنْ يَنْزِلَ فِيكَ قُرْآنٌ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَرُجِمَ، فَلَمَّا عَضَّتْهُ مَسُّ الْحِجَارَةِ، انْطَلَقَ يَسْعَى، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ بِلَحْيِ جَزُورٍ، أَوْ سَاقِ بَعِيرٍ، فَضَرَبَهُ بِهِ، فَصَرَعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْلَكَ يَا هَزَّالُ، لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ، كَانَ خَيْرًا لَكَ [3].

---

(1) أخرجه البخاري 3346، ومسلم 2880، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 6824، وغيره.

(3) صحيح..أخرجه أحمد 21891، والنسائي في الكبرى 7280، والطحاوي في شرح المشكل 4944، وغيرهم.

وفي حديث السارق الذي أقر بسرقته أمام المؤمنين، ففطن النبي ﷺ لقوله، وأراد ستره، ووجَّهه إلى ستر نفسه، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ بِسَارِقٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ.. فَقَالَ رسول الله ﷺ: مَا إِخَالُهُ سَرَقَ [1].

عقاب الله تعالى

وإذا كشف المسلم ستر أخيه المسلم، وسمَّع الناس بعيوبه، وأفلت من عقاب الدولة فلن يفلت من عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُسلط الله عليه من يكشف عورته، ويُسمِّع الناس بعيوبه، وإن كان في قعر بيته، كما جاء عَنْ جُنْدَب، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ» [2].

وفي رواية عن ابْن عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ الله بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ»، فَذَرَفَتْ عَيْنَا ابْنِ عُمَرَ[3].

قال البغوي: قَوْلُهُ: «أَسَامِعَ خَلْقِهِ»: هِيَ جَمْعُ أَسْمُعٍ، يُقَالُ: سُمُعٌ وَأَسْمُعٌ وَأَسَامِعٌ جَمْعُ الْجَمْعِ، يريد أن الله سبحانه وتعالى يسمع أسماع خلقه به يوم القيامة، ويحتمل أن يكون أراد به أن الله سبحانه وتعالى يظهر للناس سريرته، ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خبث السرائر جزاء لفعله، كما قال عليه السلام: «مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ» [4].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ الله عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» [5].

---

(1) صحيح..أخرجه الحاكم 8150، والبيهقي في الكبرى 17254، والدار قطني 3164، وغيرهم.

(2) أخرجه البخاري 6499، ومسلم 2986، وغيرهما.

(3) أخرجه البغوي في شرح السنة رقم 4138، والتبريزي في مشكاة المصابيح 5319، وغيرهما.

(4) راجع: شرح السنة للبغوي 14 / 326، تحت رقم 4138.

(5) صحيح..أخرجه ابن ماجة 2546، وغيره.

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: نَادَى رَسُولُ الله ^ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ» [1].

وَفِي رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» [2].

ونذكر هذا الخبر للاعتبار، قال أبو العباس المبرد في الكامل: ذكر العتبي أن معاوية بن أبي سفيان أسر إلى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثاً.. قال عثمانُ: فجئت إلى أبي.. فقلت: إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثاً، أفأحدثك به؟.. قال: لا، إنه من كتم حديثه كان الخيارُ إليه، ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكاً.. فقلت له: أو يدخل هذا بين الرجل وابيه؟.. فقال: لا، ولكني أكره أن تذلل لسانك بإفشاء السر.. قال: فرجعت إلى معاوية، فذكرتُ ذلك له.. فقال معاوية: أعتقك أخي من رقِّ الخطإ [3].

(1) صحيح.. أخرجه أحمد 19801، وابن أبي الدنيا في الصمت 169، وأبو يعلى 7423، وغيرهم.
(2) صحيح.. أخرجه الترمذي 2032، وابن حبان 5763، وغيرهما.
(3) راجع: الكامل في الأدب 2 / 228.

9 ـ الكلمة مسئولية

ومن الوسائل الهامة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: إدراك مسئولية الكلمة.

فالكلمة مسئولية كبرى في حياة الإنسان.. فهي صانعة حياته.. فكلمة تهديه وتبنيه، وأُخرى تُضله وتُرديه!!.. والوحي الإلهي ، بدأ بكلمة: (اقرأ).

الكلمة بانية أو هادمة.

وأهمية الكلمة للإنسان أنها إن كانت طيبة تبني وتُعمِّر، وتهدي وتُصلح.. وإن كانت خبيثة تهدم وتُخرِّب، وتُضل وتُفسد.

فالكلمة الطيبة طيبة في لفظها، وطيبة معناها، وطيبة في ثمرتها.. والكلمة الخبيثة خبيثة في لفظها، وخبيثة في معناها، وخبيثة في ثمرتها وآثارها، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ـ 24: 26).

قال أحد الباحثين: إن الكلمة الطيبة كلمة الحق كالشجرة الطيبة، ثابتة سامقة مثمرة.. ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل؛ ولا تقوى عليها معاول الطغيان، وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان، سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل، وإن خيل إلى البعض أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء، مثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن [1].

(1) راجع: في ظلال القرآن 4 / 2098.. ط. دار الشروق.

وكل كلمة ليس فيها خير أو لا تحض على خير شرٌ كبير على المجتمع، كما يقول الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء:114).

نعم، للكلمة الطيبة في بناء الإنسان أثر طيب، كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الزخرف ــ 26: 28).

والكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام وبقيت في الناس من بعده، هي كلمة التوحيد، التي يُعبر عنها قوله عليه السلام: (الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) .

* ــ والكلمة الطيبة ــ زيادة على هذا ــ تُطفئ نار الفتن والخصومات، وتحقن الدماء، وتُقرِّب بين النفوس، وتُؤلف بين القلوب، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(فصلت ــ 34: 36).

ويكتب الله تعالى لقائلها صلاح أعماله، ومغفرة ذنوبه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: 70 ،71).

الكلمة الطيبة فريضة وضرورة.

ولهذا يأمر الله تعالى المؤمنين بالكلمة الطيبة، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء:53).

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب:70) .. والأمر في كل من الآيتيْن يُفيد وجوب الكلمة الطيبة.

ومعناه: أن الكلمة الطيبة أمر من الرحمان، وأن الكلمة السيئة نزغ من الشيطان.

وجاء الأمر بها في الميثاق الذي أخذه الله تعالى على المؤمنين من بني إسرائيل ، كما يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة:83)

وفي هذا الميثاق الرباني يُقدَّم الله تعالى الأمر بالكلمة الحسنة على الأمر بإقامة الصلاة؛ للدلالة على وجوبها على المؤمنين وضرورتها وأهميتها لهم.

ولهذا فالكلمة الحسنة هداية من الله تعالى، كما يقول سبحانه: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾(الحج:24).

الكلمة أمانة.

ومما يُؤكد وجوب الكلمة الطيبة: أنها أمانة استأمن الله المؤمن عليها، فيجب عليه رعايتها، فلا يقول إلا الطيب، ولا ينقل إلا الطيب من القول بغير زيادة ولا إخْسار، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(النساء:58).

وينهى الله تعالى عن خيانة أمانة الكلمة، كما يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:27).. وقد قال الحكيم: «كَبُرَتْ

خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ» وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ﷺ فَوَجَدَهُ يَعْجِنُ، فَقَالَ: أَيْنَ الْخَادِمُ؟.

فَقَالَ: «أَرْسَلْتُهُ فِي حَاجَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لِنَجْمَعَ عَلَيْهِ اثْنَتَيْنِ، أَنْ نُرْسِلَهُ وَلَا نَكْفِيَهُ عَمَلَهُ».. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﷺ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ.. قَالَ: «مَتَى قَدِمْتَ؟».

قَالَ: مُنْذُ ثَلَاثٍ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُؤَدِّهَا كَانَتْ أَمَانَةً عِنْدَكَ» [1].

وتكون رعاية أمانة الكلمة أكبر وجوبًا، وأشد لزومًا على الذين عملهم الكلمة، مثل الدعاة إلى الله والمُعلِّمين والمُربِّين ومؤلفي الكتب، والمُتحدثين في قنوات الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ونحوهم ممن تنتشر كلمتهم وتبلغ الآفاق، كما يقول الله تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (الأحزاب:39).

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ^: رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، قَالاَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يَكْذِبُ بِالكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ [2].

الله يعلم نجوى الإنسان.

ومن الدعائم الأساسية لرعاية الكلمة الحسنة: أن الإسلام يغرس في المؤمن:

1 ــ أن الله تعالى يعلم ما يقوله خيرًا كان أو شرًا.. سرًا كان أو جهرًا ، كما يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأَدَبِ، رقم 6096، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب 578، وغيرهما.

(2) أخرجه جامع معمر بن راشد (10 / 393) رقم 19464.

وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة: 7).

2 ــ وأن الله تعالى يسخِّر له ملائكة تُسجل كل كلمة يقولها، كما يقول سبحانه: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)(الزخرف:80).

قَالَ ابْنُ عَبَّاس: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ فِي مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ؛ فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّه [1].

ويقول سبحانه: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: 17، 18).

(قَعِيدٌ) أي يُلازم القعود والمُراقبة للإنسان، فلا يُفارقه ولا يغفل عنه.

وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ في قول الله تعالى: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ): يا ابن آدَمَ، بُسطت لَكَ صَحِيفَةٌ، وَوَكَلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ، وَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)[الْإِسْرَاءِ: 13، 14].

قال الحسن: عَدَلَ ــ وَاللهِ ــ فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ [2].

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم 7/ 377.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم 7/ 377 ط. دار الشعب المصرية.

3 ــ فلا غرو أن يجد الإنسان يوم القيامة كل عمل عمله، مكتوبًا محسوبًا ، ما ذكره منه وما نسيه، ما كان يحسبه عظيمًا وما كان يحسبه هينًا وهو عند الله عظيم، كما يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة:6).

ويقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (الكهف:49).

ولهذا يقف المسلم من لسانه وكلامه موقف الرقيب الحارس، والحسيب الضابط، والمرابط المجاهد، فلا ترى لسانه إلا ناطقًا بخير أو ساكتًا عن شر.

مثلما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخَذَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ «يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوِ اصْمُتْ تَسْلَمْ، قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ» [1].

عن أبي وائلٍ عن عبد الله: أنَّه ارْتَقى الصَّفا، فأخذَ بِلسَانِه فقال: يا لسانُ! قُلْ خيراً تَغْنَمْ، واسْكُتْ عنْ شرٍ تَسْلَمْ، مِن قَبْلِ أنْ تَنْدَمَ. ثُمَّ قال: سمعتُ رسولَ الله ^ يقول: "أكثرُ خطايا ابْنِ آدَم في لِسانِه" [2].

وعن أسْلَمَ: أنَّ عمَر دخَل يوماً على أبي بكرٍ الصِّديقِ رضي الله عنهما، وهو يجْبِذُ لِسانَهُ!.. فقال عمر: مه (اكفف)! غَفَر الله لكَ.. فقال له أبو بكرٍ: إنَّ هذا أورَدَني المَوارِدِ.

وفي لفظ للبيهقي: قال: إنَّ هذا أوْرَدني الموَارِدِ، وإنَّ رسولُ الله ^ قال: ليسَ شيْءٌ مِنَ الجَسدِ إلا يشكو ذَرَبَ اللِّسانِ على حِدَّتِهِ[1]..(ذَرَبَ اللِّسانِ أي حدَّته وشرّه وفحشه).

---

(1) راجع: فضائل الصحابة 2/ 952، رقم 1844،

(2) أخرجه البيهقي في الشعب 4584، والشاشي في مسنده 602، والألباني في صحيح الترغيب 2872، وعزاه للطبراني في الكبير، وغيرهم.

10 ـ صدق الكلمة.

ومن الوسائل الضرورية لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: صدق الكلمة.

والصدق هو: مطابقة القول أو الخبر للواقع، ويُضاده الكذب.

وصدق الكلمة ثمرة طيبة لرعاية المؤمن مسئولية الكلمة التي سبق الحديث عنها.. ويجب على أهل العلم والتربية أن ينشطوا لغرس صدق الكلمة في الإنسان؛ فهو ضرورة لاجتناب البهتان والإشاعات الخبيثة.

صدق الكلمة فريضة إسلامية.

و الإسلام يجعل صدق الكلمة فريضة إسلامية دائمة، قال بعض السلف: من لم يُؤد الفرض الدائم لم يُقبل منه الفرض المؤقت.

قيل: وما الفرض الدائم؟.. قال: الصدق.. والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:119).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.

وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» [2].

وفي القول المأثور: تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب، وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة [3].

---

(1) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، كما في صحيحه للألباني 2873، وعزاه لمالك وابن أبي الدنيا والبيهقي.

(2) أخرجه مسلم 2607، والترمذي 1971، وابن ماجة 3849، وغيرهم عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(3) قول مأثور.. أخرجه (هناد) مرفوعًا في الزهد رقم 1375 وغيره عن مجمع بن يحيى مرسلًا.

الصدق عمل الأنبياء.

ويصف الله تعالى أنبياءه بالصدق، كما يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:41). ويقول سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:56).

وكان رسول الله محمد ﷺ موصوفًا في قومه بالصدق والأمانة، حتى قالوا له: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.. أو: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا [1].

فكان ﷺ قدوة حسنة في إمساك لسانه عن فُحش القول، أو خبيث الإشاعة، ولا أحب لأذنه أن تسمعها ﷺ.. قَالَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ^ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا» [2].

الصدق طمأنينة وسكينة.

والصدق في ذات الوقت سكينة وطمأنينة للمؤمن في دنياه، كما جاء عَنْ أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟.

قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ:

«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ» [3].

وفي الآخرة يُدخل الله الصادقين الجنة، كما يقول الله تعالى:

﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة:119).

---

(1) أخرجه البخاري 4770، 4971، ومسلم 208، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) أخرجه البخاري 3559 ، ومسلم 2321، وغيرهما، (وَلاَ مُتَفَحِّشًا) متكلفا الفحش

(3) أخرجه جامع معمر بن راشد (10 / 393) رقم 19464.

لسان المؤمن ناطق بخير أو ساكت عن غيره.

ولهذا لا يقول المؤمن إلا صدقًا، وإذا لم يجد صدقًا يقوله أمْسك لسانه، كما يقول النبي ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» [1].

ومعناه: أن لسان المؤمن في إحدى حالتين: إمَّا ناطق بخير، وإمَّا ساكت عن شر.

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» [2].

ومثله ورد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ» [3].

وقَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ» [4].

والصحابي الجليل كعب بن مالك حينما صدق في بيان سبب تخلفه عن غزوة تبوك تاب الله عليه، وأنزل فيه وحيًا يمدحه ويُخلِّد ذكره، ويأمر المؤمنين بالصدق، ويُبيِّن أن في الصدق النجاة في الدنيا والآخرة.

قال كعب: حينما عاد الرسول ﷺ جِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ» (اشتريت دابتك) ؟.

فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَالله، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ

---

(1) أخرجه البخاري 6018، ومسلم 47، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه الترمذي 2501، وأحمد 6481، والقُضاعي في الشهاب 334، وغيرهم.

(3) صحيح.. الطبراني في الكبير 10446، والبيهقي في الشعب 4584 وغيرهما، كما في صحيح الترغيب 2827.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة 26499، والزهد لأبي داود 149، وغيرهما.

عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ الله، لاَ وَالله، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَالله مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ» .

قال كعب: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله، أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟.

قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله» .. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الله إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَالله مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ الله فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي الله فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ الله إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 118، 119] فَوَ الله مَا أَنْعَمَ الله عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ الله ﷺ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا [1].

وهذا تطبيق عملي للأمر بالصدق والنهي عن الكذب والبهتان والإشاعات.

11 ـ الإعراض عن اللغو.

ومن الوسائل الإيمانية لمجاهدة الإشاعات: الإعراض عن لغو الكلام.

واللغو: كلام لا يعتدّ به، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع للفرد ولا للمجتمع.

اللغو منْهي عنه.

واللغو بهذا المعنى ينهى الإسلام عن الخوض فيه أو سماعه، لأنه تضييع للوقت والجُهد بغير نفع ولا فائدة للفرد ولا للمجتمع.

---

(1) أخرجه البخاري 4418، ومسلم 2769، وغيرهما.

فيجب على المؤمن أن يُمسك لسانه إلا عن حق ينصره وباطل يدحضه، أو صدق يقوله وكذب ينهى عنه، أو معروف يأمر به ومنكر ينهى عنه، أو نعمة يذكرها، أو رحمة ينشرها، أو صدقة يحض عليها، أو إصلاح يقوم به، وفساد يصد عنه، وما عدا هذا فلغو فارغ وهذْر ضائع، يجب عليه الإمساك عنه، كما يقول الله تعالى: ﴿لاخَيْرَفِي كَثِيرٍمِن نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَبِصَدَقَةٍأَوْمَعْرُوفٍأَوْإِصْلاحٍبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:114).

ومن يتبع نزغات الشيطان، ويخوض في لغو فارغ ، أو كذب فاضح، أو إشاعات خبيثة يسومه الله تعالى سوء العقاب في الدنيا والآخرة، كما يقول سبحانه في الآية التالية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:115).

وإذا قام المؤمن بما يجب عليه لربه، وبما يجب عليه لأسرته وأمته، وأعرض عن لغو اللسان أفلح ونجا في دنياه وآخرته، كما يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون ــ 1:3).

والواقع أن المؤمن المهموم بأمر دينه وأمته، المشغول بإقامة ما يجب عليه لربه وأمته لا يجد لديه وقتًا فارغًا يملؤه بلغو ضائع، أو هذر شائن.. وليس في أخلاقه من الجهالة ما يحمله على تضييع وقته في سماع اللغو أو المشاركة فيه، كما يقول الله تعالى في وصف عباده العاملين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: 55).

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان:72).

وإنما يُشدد الإسلام هذا التشديد في وجوب الإعراض عن اللغو لأن فيه ضررًا كبيرًا على المؤمن في الدنيا بتضييع عمره في غير قول نافع وعمل صالح.. ولأنه يُهوِّن عليه البطالة والكسل، والعبث بأعراض الناس حتى تتميَّع أخلاقه، ولا تقوى على الجديَّة في القول والعمل.. وأيُّ ضررٌ عليه.. وأيُّ خسارة له في دنياه أكبر من هذا؟.

وزيادة على هذا عقاب الله تعالى في الآخرة، كما جاء عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَاب النبي ﷺ فَقَالَ ــ رجل آخر من أصحابه -: أَبْشِرْ بِالجَنَّةِ.. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَلَا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ» [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ شَهِيدًا، قَالَ: فَبَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِيَةٌ فَقَالَتْ: وَاشَهِيدَاهُ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْ مَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَبْخَلُ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ»[2].

وَقَالَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ،... فَأَخَذَ رسول الله ﷺ بِلِسَانِهِ وقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟.

فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» [3].

والمراد بـ (حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) في الحديث الكلام المحرم واللغو المذموم وعلى رأسه الكذب والافتراء، والغيبة والبهتان والإشاعات الخبيثة.. الخ.

* ــ وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ، أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ

---

(1) صحيح.. أخرجه الترمذي، وذكره الإلباني في صحيح الترغيب 2882، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه أبو يعلى 6646، وصححه الألباني في صحيح الترغيب 2884، وعزاه لأحمد.

(3) صحيح.. أخرجه الترمذي 2616، وابن ماجة 3973، وأحمد 22068، وغيرهم.

يَقُولُ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ» [1].

ولهذا يُوجب الإسلام على المؤمن أن يُجاهد نفسه ليكون لسانه قائمًا بحالة من حالتيْن اثنتيْن لا ثالث لهما: إمَّا ناطقٌ بخير وإمَّا ساكتٌ عن لغو أو شر، كما يقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» [2].

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» [3].

قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ: قَالَ لَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يَكْرَهُ فُضُولَ الْكَلَامِ مَا عَدَا كِتَابَ الله تَعَالَى أَنْ تَقْرَأَهُ، أَوْ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، وَأَنْ تَنْطِقَ بِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا، أَتُنْكِرُونَ أَنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ، وَأَنَّ:

(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18]

أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدُكُمْ لَوْ نُشِرَ صَحِيفَتَهُ الَّتِي أَمْلَى صَدْرَ نَهَارِهِ وَأَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ [4].

النبي ﷺ خير قدوة في الإعراض عن اللغو.

والنبي ﷺ في حياته العملية قدوة حسنة في الإعراض عن اللغو، فكان المؤمنون لا يجدونه إلا قائمًا بفريضة، أو مُبلِّغًا لدينه، أو ساكتًا عن لغو.

قال عَبْدُ الله بْنَ أَبِي أَوْفَى كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقْصِرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ» [5].

---

(1) صحيح ، أخرجه البيهقي في الشعب 4584، والألباني في صحيح الجامع 1201، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 6018، ومسلم 47، وغيرهما.

(3) صحيح ، أخرجه الترمذي 2501، وأحمد 6481، والبيهقي في الشعب 4629، وغيرهم.

(4) ذكره ابن أبي شيبة في المصنف 35469، والبيهقي في الشعب 4728، وابن أبي الدنيا في الصمت 240.

(5) صحيح.. أخرجه النسائي في الكبرى 1728، وابن حبان 6423، والحاكم 4225، وغيرهم.

قَالَ أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ عَذْرَاءَ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا رَأَيْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ﷺ »[1].

قَالَ جَابِرُ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ: «كَانَ النَّبِيَّ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ رُبَّمَا تَنَاشَدُوا عِنْدَهُ الشِّعْرَ وَالشَّيْءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ»[2].

12 ـ وجوب اجتناب الغِيبَة[3] والإشاعات الخبيثة.

ومن وسائل مجاهدة الإشاعات الخبيثة: اجتناب الغيبة والبهتان.

وأوْجز ما يُقال في معنى الغِيبَة والإشاعات الخبيثة أنهما: ذكر العَيْب بظهر الغَيْب.

والفرق بين الغيبة والبهتان: أن الغِيبَة: ذِكْر الإنسان في غَيْبته بسوء فيه.. بخلاف الشتم فهو: ذكْر الإنسان في حضرته بمساوئ فيه.. والبهتان والإشاعات الخبيثة: ذكْر الإنسان في غَيْبته بمساوئ ليست فيه، أو اتهامه بما لم يفعله ولم يقله.

وكل منها مُحرَّم قطعًا، ودليل هذا ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟».. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟.

قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[4].

---

(1) صحيح.. ابن الجعد في مسنده 994، والبغوي 3693، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه أبو داود 20810، والطيالسي 808، والبيهقي في الكبرى 13339، وغيرهم.

(3) الغِيبَة بكسر الغين الفوقية، وفتح الباء الموحدة التحتية.. وكلها مُحرمة إلا ما استثناه الشرع الحنيف كشكوى المظلوم للقاضي أو شهادة الشاهد لدى القاضي ونحوه، كما يقول الله تعالى: (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً) (النساء: 148). راجع التفصيل في البحث الجيد حكم التشهير بالمسلم في الفقه الإسلامي. د. عبد الرحمن الغفيلي. منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت. عدد 46، في 4 / 1422 = 12/ 2001م.

(4) أخرجه مسلم 2589، وأبو داود 4874، والترمذي 1934، وغيرهم.. بتصرف يسير.

1 ـ الغيبة من كبائر المحرمات.

والإسلام في قرآنه وسنته يُحرِّم الغيبة، ويجعلها من كبائر الذنوب، لأنها إيذاء للمؤمن في عِرضه، وقد سبق بيان تحريمه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:12).

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: وَحِكْمَةُ تَحْرِيم الغيبة مع أنها صدق المبالغة في حفظ عرض المؤمن، والإشارة إلى عظيم تأكد حرمته وحقوقه.

وقال: وزاد تعالى ذلك تأكيدا وتحقيقا بتشبيه عرضه بلحمه ودمه مع المبالغة في ذلك أيضا بالتعبير فيه بالأخ، فقال ــ عز قائلا ــ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12] ووجه التشبيه أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه، كما يتألم بدنه من قطع لحمه لأكله بل أبلغ؛ لأن عرض العاقل عنده أشرف من لحمه ودمه.

وكما أنه لا يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لا يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى؛ لأنه آلم، ووجه الآكدية في لحم أخيه أن الأخ لا يمكنه مضغ لحم أخيه فضلا عن أكله [1].

وَلهذا حينما سَمِعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ – رَضِيَ الله عَنْهُمَا – رَجُلًا يَغْتَابُ آخَرَ فَقَالَ: إِيَّاكَ وَالْغِيبَةَ، فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابِ النَّاسِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَدْرَكْنَا السَّلَفَ الصَّالِحَ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ الْعِبَادَةَ فِي الصَّوْمِ وَلَا فِي الصَّلَاةِ وَلَكِنْ فِي الْكَفِّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ.

وقوله سبحانه: (فَكَرِهْتُمُوهُ) معناه: أنكم إذا كرهتم وامتنعتم بفطرتكم عن أكل لحم الإنسان حيًا أو ميْتًا فالأولى بكم أن تجتنبوا أكل عرضه بالبهتان والإشاعات الخبيثة، فإن هذا أشد تحريمًا، فلا يكون منه إلا العفونة النتنة، والرائحة الخبيثة التي يتأذَّى بها الناس، ويفرون منها مُكْرَهِين، كما جاء عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ

(1) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 2/ 15.

النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَوَقَعَ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَخَلَّلْ»، قَالَ: وَمَا أَتَخَلَّلُ يَا رَسُولَ الله، أَكَلْتُ لَحْمًا؟.

قَالَ: «إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ» [1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟، هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ [2].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مر على بَغْل ميت، فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم [3].

ولهذا عد الإمام ابن حجر الهيتمي الغِيبة من الكبائر التي يجب أن ينزجر عنها المؤمنون، فعدها في الكبيرة الثامنة والتاسعة والأربعون بعد المائتين، والسكوت عليها رضا وتقريرا.. وقال: عد الغيبة المحرمة كبيرة هو ما جرى عليه كثيرون [4].

وقال: وقد نقل القرطبي المفسر وغيره الإجماع على أنها من الكبائر، ويوافقه كلام جماعة من أصحابنا (الشافعية) كما سبق في حد الكبيرة، غُلِّظَ أَمْرُهَا في الكتاب والسنة، ومن تتبع الأحاديث فيها علم أنهما من الكبائر [5].

وقال: وظهر أن الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة، لكنها تختلف عظمًا وضده بحسب اختلاف مفسدتها، كما مر في كلام الأذرعي، وظهر أيضا أنها الداء العضال والسم الذي في الألسن أحلى من الزلال، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال وقتل النفس بقوله:

---

(1) صحيح.. أخرجه الطبراني في الكبير 10092، وابن أبي شيبة 311 وغيره، كما في صحيح الترغيب 2837.

(2) صحيح.. أخرجه أحمد 14784، والبخاري في الأدب المفرد 732، وغيرهما.

(3) ذكره الألباني في صحيح الترغيب 2838، وعزاه لأبي الشيخ ابن حبان وغيره موقوفًا.

(4) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر (2 / 24، 25).

(5) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر (2 / 27).

«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»، وَالْغَصْبُ وَالْقَتْلُ كَبِيرَتَانِ إِجْمَاعًا فَكَذَا ثَلْمُ الْعِرْضِ [1].

2 ـ البهتان والإشاعات الخبيثة من كبائر الذنوب.

وإذا كانت الغيبة في الإسلام حرام شرعًا ومن كبائر الذنوب فإن البهتان والإشاعات الخبيثة أكبر إثمًا وأشد تحريمًا، ومن أكبر الكبائر؛ حيث أن البهتان والإشاعات الخبيثة اتهام البرآء من الناس بما ليس فيهم، أو رميهم بخُبْث لم يقولوه أو بجريمة لم يفعلوها.. وهو قول خبيث في لفظه.. وخبيث في معناه.. وخبيث في ضرره وإيذائه.. فهو يغتال الحقيقة، ويُقيم الباطل، ويُشوه سيرة البرآء، ويجعلهم مجرمين، ويحمل الناس على إيذائهم والنفور منهم، والله تعالى يقول: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)(الأحزاب:58).

قال القرطبي المفسر: أَذِيَّةُ المؤمنين والمؤمنات هي أيضا بالأفعال والأقوال القبيحة، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق.

وَذكر أبو حيان: أن الله تعالى قَدَّمَ الْبُهْتَ فِي قوله: (احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)، لِأَنَّهُ ذَنْبٌ أَفْظَعُ مِنْ كَسْبِ الْخَطِيئَةِ أَوِ الْإِثْمِ.

وَلَفْظُ (احْتَمَلَ) أَبْلَغَ فِي الدلالة على شدة الافتراء مِنْ حَمَلٍ، لِأَنَّ افْتَعَلَ فِيهِ لِلتَّسَبُّبِ كَاعْتَمَلَ [2].

والله تعالى كما يكره السب والكذب والغيبة ويكره أكثر قول الزور والبهتان والإشاعات الخبيثة ، لأنها افتراء وبغي وظلم، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى الله الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ» [3].

---

(1) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 2 / 28، والحديث صحيح.. ويأتي تخريجه.

(2) راجع: البحر المحيط في التفسير (4 / 60).

(3) صحيح.. أخرجه الطبراني في الأوسط 7697، والألباني في صحيح الترغيب2658، وغيرهم.

وما يبغضه الله تعالى لا يكون إلا حرامًا وإثمًا مبينًا، كما جاء يقول الله النبي ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» [1].

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ».. قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ .. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لاَ يَسْكُتُ [2].. والإشاعات الخبيث عيْن قول الزُّورِ، وأشد ضررًا وحرمة منه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمِنَ الكَبَائِرِ السَّبَّتَانِ بِالسَّبَّةِ» [3]

وسبق أن ذكرنا أنَّ حُرمة إيذاء المؤمن بالبهتان والإشاعات الخبيثة أشد من حُرمة الربا ، كما جاء عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»[4].

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ» [5].

والفِرىَ ــ جمع فرية ــ هو الكذب الفادح التي يتعجب منه سامعه.. ومعناه: إن من أكذب الكذب أن يقول الإنسان ويروي ما لم يسمع ولم ير.

وعدَّ الإمام ابن حجر البهتان من الكبائر التي يجب أن ينزجر عنه المؤمن، قال: الكبيرة الرابعة والخمسون بعد المائتين: البهت [6].

3 ـ الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة عمل مرضى القلوب.

ولهذا فالمؤمن الصادق لا يفتري الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، إنما يفتريها مرضى القلوب وغير المؤمنين، يقول الله تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ

---

(1) أخرجه مسلم 2564، وأبو داود 4882، والترمذي 1927، وغيرهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(2) أخرجه البخاري 5976، ومسلم 87، وغيرهما.

(3) صحيح.. أخرجه أبو داود 4877، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترغيب 2832، 2833.

(4) صحيح.. أخرجه البزار 1264، والبيهقي في الشعب 6346، وغيرهما عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ.

(5) أخرجه البخاري 7043، وأحمد 5711، والبيهقي في الشعب 4438، وغيرهم عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

(6) راجع: الزواجر عن اقتراف الكبائر 2/ 41.

بِآياتِ الله وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النحل:105).. ويقول سبحانه: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة:10).

والنَّبِيِّ ﷺ يقول: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» [1].

وروى مَالِكٌ في الموطأ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قِيلَ للنبي ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟.. قَالَ: نَعَمْ.. فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟.. قَالَ: نَعَمْ.. فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟.. فَقَالَ: لا [2].

* ـــ والذي يأخذ أجرًا لقاء إيذاء المؤمنين في أعراضهم بالغيبة والبهتان والإشاعات الخبيثة ارتكب حرامًا وإثمًا مُبينًا، وأكل وأطْعم أهله سُحتًا، وتوعده الله تعالى بعقابه يوم القيامة، كما يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فَإِنَّ الله يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ الله يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ الله يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

وفضلا عن هذا فإن المنكوب سيأخذ حقه يوم القيامة، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [4].

---

(1) صحيح.. أخرجه أحمد 10925، ومسلم 59، وابن حبان 257، وغيرهم عن أبي هريرة والحسن بن علي.

(2) أخرجه.. موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري رقم: 2088.

(3) صحيح.. أخرجه أبو داود 4881، وأحمد 18011، وغيرهما عن المستورد.

(4) صحيح.. أخرجه مسلم 2581، والترمذي 2418، وأحمد 8029، وغيرهم.

4 ـ رمي الشرفاء بجرائم لم يفعلوها من أكبر الكبائر.

ومع أن الكذب والافتراء والغيبة والبهتان حرام مقطوع بحرمته فإن قول الكذب أو عمل الجريمة وإلصاقها بالبرآء من الناس؛ لإيقاع الأذى عليهم أشد تحريمًا، وأعظم إثمًا، ومن أكبر الكبائر، كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (النساء:112) [1].

قال العلامة الشيخ محمد أبو زهرة: وإن جريمة هؤلاء جريمتان:

إحداهما: ارتكاب الشر والإيغال فيه ..

والثانية: أنهم يرمون البرآء به، ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

وإن هذه الجريمة تتضمن هي الأخرى في ثناياها جريمتين: إحداهما: البهتان، وهو الكذب الذي لَا يتصور عند أهل الخير وقوعه.. والثانية: إثم واضح، وهو إلقاء التبعة على الغير، إذ إنه كذب حير البريء وأذهله.

وإن هؤلاء، مع هذه الذنوب التي يرتكبونها، منافقون يظهرون غير ما يبطنون، وهم شر الجماعة الذين يسعون بالفساد في الأرض، وأن السعاية التي يرتكبونها بنفاقهم توجب قطعهم عن الأمة، ولقد أوجب بعض الفقهاء عقابهم. وإن هؤلاء يفسدون الحكام على شعوبهم، ويسعون في الأرض فسادا بجرمهم، وإن الله يحذر نبيه من أمثالهم، وهو قدوة حسنة لكل الحكام [2].

* ــ ولهذا كله أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يبايع المؤمنين ــ رجالاً ونساءً ــ على الكف عن الافتراء والإشاعات الخبيثة، كما يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ

---

(1) قَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّمَا فَرْقُ بَيْنَ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ أَنَّ الْخَطِيئَةَ تَكُونُ عَنْ عمد وعن غير عَمْدٍ، وَالْإِثْمُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ عَمْدٍ (راجع: جامع البيان للطبري 7/ 477.. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 7/ 121 تحقيق د. التركي.

(2) راجع: زهرة التفاسير للعلامة الشيخ محمد أبو زهرة 4/ 1852.

وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الممتحنة:12).

وقد امتثل النبي ﷺ لأمر ربه، وبايع المؤمنين والمؤمنات على اجتناب البهتان والإشاعات الخبيثة، كما قال عُبَادَةُ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ [1].

وَعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ نُبَايِعُهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ.

قَالَ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ، وَأَطَقْتُنَّ» [2].

* ــ وأشد البهتان ظلمًا، وأكبر الإشاعات خُبْثًا وإثمًا ، تلك التي تطال مؤمنًا بريئًا سليم القلب، لا يعرف مكْرًا ولا خُبثًا ، يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النور:23).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ».. وذكر منها: « وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» [3].

قال الزمخشري: الْغافِلاتِ السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر، لأنهنّ لم يجربن الأمور ولم يجربن الأحوال، فلا يفطنّ لما تفطن له المجربات العرافات [1].

---

(1) أخرجه البخاري 18، والطبراني في الشاميين 3197، والحاكم 3240، وغيرهم.

(2) صحيح.. أخرجه النسائي في الكبرى 8660، وأحمد 27009، وابن حبان 4553، وغيرهم.

(3) أخرجه البخاري 2766، ومسلم 89، وغيرهما.

* ــ ولا فرق بين من يفتري الإشاعات الخبيثة ضد المؤمنين البرآء جادًا، ومن يفتريها عليهن مازحًا أو مُستهينًا بها، فكل منهم يرتكب حرامًا وإثما مبينًا.. والنصوص السابقة في ذلك عامة ومطلقة، لم تفرق بين جاد ومازح وهازل.

فحينما أشاع المنافقون أن المؤمنين شجعان في الأكل وجبناء في القتال وزعموا أنهم كانوا مازحين أنزل الله تعالى القرآن يكشف خُبْث قلوبهم وفساد أخلاقهم.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ في غزوة تبوك في مجلس مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرائنا هَؤُلَاءِ، أرغبَ بُطُونًا، وَلَا أكذبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ: كذبتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لَأُخْبِرَنَّ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ^ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: وَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بحَقَب نَاقَةِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنكُبُه (تصطدم برجله) الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: 65، 66) [2].

قَالَ بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ» [3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [4].

---

(1) راجع تفسير الكشاف للزمخشري 3/ 56، ط. مصطفى البابي الحلبي

(2) صحيح.. أخرجه الطبري في جامع البيان 16912، و ابن كثير في تفسيره 4/ 111، 112 ط. دار الشعب.

(3) صحيح.. أخرجه الترمذي 2315، وأبو داود 4990، والنسائي في الكبرى 11655، وغيرهم.

(4) أخرجه البخاري 6478، وغيره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ» [1].

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ الله عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» [2].

* ــ وتكون الإشاعات الخبيثة أكبر ضررًا، وأشد إثمًا كلما اتسع انتشارها، مثل الذين يفترونها في الصُّحف السيارة، أو يثرثرون بها في القنوات الفضائية الطيارة، فيبلغ كذبهم وافتراؤهم وإشاعاتهم الخبيثة رقعة واسعة في الأرض.

وفي هذا جاء عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ».. قُلْتُ: مَا هَذَا؟.

قَالاَ: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ [3].

5 ـ الإنصات للغيبة والبهتان من كبائر الذنوب.

وكما أن قول الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة من كبائر الذنوب فإنَّ سماع الكذَّابين وقائلي البهتان والإشاعات الخبيثة، مع القدرة على ردهم أو الإعراض عنهم من كبائر الذنوب أيضًا أو أشد، فإن السماع لهم وعدم ردهم مع القدرة على ذلك

(1) صحيح.. أخرجه الترمذي 2314، وأحمد 7215، وابن حبان 5706، وغيرهم.
(2) صحيح.. أخرجه الترمذي 2319، وابن ماجة 3969، وأحمد 15852، وغيرهم.
(3) صحيح.. أخرجه البخاري 1386، والألباني في صحيح الترغيب 2935، وغيرهما.

يُشجعهم على التمادي في إيذاء المؤمنين بالكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، ويكون السامعون لهم شركاءهم في جريمتهم.

ولهذا يُحذِّر النبي ﷺ من سماعهم والإنصات لهم، كما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ» (1).

والحديث يُبين أن المسلمين كلما كثر جهلهم بإسلامهم، أو كلما قل عملهم به ينشأ بينهم ناس يشتغلون بالكذب والبهتان وترويج الإشاعات الخبيثة ضد الأبرياء من المسلمين، فهم كما جاء في الحديث: (دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ)؛ ليخدعوا المسلمين ويُضلوهم؛ ويتحقق لهم أهدافهم، ولهذا يُحرم النبي ﷺ السماع لهم وتصديقهم والنقل عنهم فيما يقولون ويُشيعون.

وقد جاء عن ابن عباس، عن النبي ^، قال: «ومنِ استَمَعَ إلى حديث قوم، وهم له كارهون، أو يفِرُّونَ منه، صُبَّ في أُذُنِه الآنُكُ يومَ القِيامَةِ» (2).

6 ـ الحذر من تلبيس إبليس.

ولإبليس تلبيس على المؤمن يجره به إلى الغيبة بغير عناء منه، وقد أوْجز ابن تيمية شيئًا من هذا التلبيس الإبليسي قال:

ا ــ فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون، أو فيه بعض ما يقولون؛ لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه، فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم.

ب ــ ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى. تارة في قالب ديانة وصلاح فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدا إلا بخير، ولا أحب الغيبة ولا الكذب؛ وإنما

(1) صحيح.. أخرجه مسلم 7، وأحمد 8596، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 2954، وغيرهم.
(2) أخرجه البخاري 7042، وأبو داود 5024، وأحمد 2213، وغيرهم.

أخبركم بأحواله. ويقول: والله إنه مسكين أو رجل جيد؛ ولكن فيه كيت وكيت. وربما يقول: دعونا منه الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصده استنقاصه وهضم لجانبه. ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة يخادعون الله بذلك كما يخادعون مخلوقا.

ج ــ ومنهم من يرفع غيره رياء، فيرفع نفسه فيقول: لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان؛ لما بلغني عنه كيت وكيت؛ ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده. أو يقول: فلان بليد الذهن قليل الفهم؛ وقصده مدح نفسه، وإثبات معرفته، وأنه أفضل منه..

د ــ ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة، فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد. وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح؛ ليسقط ذلك عنه. ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليضحك غيره.

هـ ــ ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب؛ ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته، واستصغار المستهزأ به.

و ــ ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب، فيقول: تعجبت من فلان، كيف لا يفعل كيت وكيت؟، ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت؟، وكيف فعل كيت وكيت؟، فيخرج اسمه في معرض تعجبه.

ز ــ ومنهم من يخرج الاغتمام، فيقول: مسكين فلان غمِّني ما جرى له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف، وقلبه منطو على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليشتفوا به.

ح ــ ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصده غير ما أظهر. والله المستعان.

وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه [1].

7 ـ عاقبة الكذب البهتان والإشاعات الخبيثة.

وإذا أفلت قائل البهتان والذي يُروِّج الإشاعات الخبيثة ضد المؤمنين من عقاب الدنيا فلن يفلت من عقاب الله في الدنيا والآخرة، وهو أشد وأنكى، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(النور:11).

ففي الدنيا يُسلط الله تعالى عليه ظالمًا أظلم منه ، فيغتابه ويبْهته بالإشاعات الأكثر خُبثًا، والله تعالى يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى:40).. ويقول سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:30).

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» [2].

وكما جرح المُغتاب وقائل الإشاعات الخبيثة أعراض المؤمنين ولوث علانيتهم وسُمْعتهم في الدنيا بالكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة يجعل الله تعالى عقابه يوم القيامة من نوع جريمته: أن يجرح ويُلوث بأظافره جمال صورته، وحُسْن علانيته وكرامته، كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ.. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟.

قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ، وَيَنْتَقِصُونَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ» [3].

---

(1) راجع: مجموع الفتاوى 28/ 236: 238.

(2) صحيح.. أخرجه أبو داود 4880، والترمذي 2032، وأحمد 19776، وغيرهم.

(3) صحيح.. أخرجه الطبراني في الشاميين 932، وأبو داود 4878، وأحمد 13340، وغيرهم.

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» (1).

وردغة الخبال هي عصارة أهل النار، وفي هذا عذاب النفسي وسقوط الكرامة، وذلة النفس مثلما أهان المؤمنين بالافتراء والإشاعات الخبيثة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ يَغْتَابُهُ بَعَثَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ ــ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ــ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ الله عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» (2).

(1) صحيح.. أخرجه أبو داود 3597، وأحمد 5544، والبيهقي في الشعب 7267، وغيرهم.

(2) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق 138، وأبو داود 4883، وأحمد 15649، و غيرهم.. وفي إسناده: إسماعيل بن يحيى المعافري قال الذهبي في الميزان: فيه جهالة، وذكر هذا الحديث من غرائبه.

13. اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة.

ومن وسائل مجاهدة الإشاعات الخبيثة: اجتناب أسبابها، وكل ما يُقرِّب منها.

وهذه وسيلة وقائية في طريق مُجاهدة الإشاعات الخبيثة

وجوب الحرص على استقامة السيرة وحسن السمعة.

والمسلم يجب عليه أن يحرص على حسن سمعته بين الناس، ويحرص على اجتناب الأسباب التي تجعل الألسنة تنتقص من عرضه وتُلوث سمعته بالبهتان والإشاعات الخبيثة.. وقديمًا قال ابْنِ دُرَيْدٍ:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ * فَكُنْ حَدِيثًا حسنا لمن وعى

وفي القرآن الكريم يأمر الله تعالى المؤمنين بعمل الصالحات التي تحسن بها سيرتهم وسُمْعتهم، ويسألون الله تعالى أن يرزقهم الذكر الحسن، والسمعة الطيبة بين الناس، كما يقول سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء:84).

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح، والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم. [1].

وروى أشهب عن مالك قال: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحا وَيُرَى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله تعالى، وقد قال الله تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) (طه: 39).. وقال:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (مريم: 96).. أي حبا في قلوب عباده وثناء حسنا، فنبه تعالى بقوله: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء: 84) على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل.. الليث بن سليمان: إذ هي الحياة الثانية. قيل:

---

(1) راجع: جامع البيان في تأويل آي القرآن 17/ 594، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط. دار عالم الكتب.. الرياض.

مَوْتُ التَّقِيّ حَياةٌ لا انِقطاعَ لها * قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْيَاءُ [1].

وقد أجاب الله تعالى دعاءه ورزقه مع ذريته من الأنبياء عليهم السلام حسن الذكر في العالمين إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (مريم:50).

والله تعالى يَعِد المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن يرزقهم الذكر الحسن والسمعة الطيبة، والود والحب بين خلقه، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).

وفي هذا روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ [2].

النبي ﷺ يجتنب أسباب الإشاعات الخبيثة.

وكان النبي ﷺ نفسه يحرص على أن يحوط الإسلام بالسُّمْعة الحسنة، والذِّكْر الطيب، لأنه يفتح له قلوب الناس.. كما كان ﷺ يحرص على اجتناب كل سبب يجلب عليه الافتراء والبهتان والإشاعات الخبيثة، لأنها تصد قلوب الناس عنه.

وظهر هذا عندما قال كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول عن الرسول ﷺ والمهاجرين في غزوة بني المصطلق: قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَالله مَا أَعُدُّنَا (أحسبُنا)

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/ 42، ط. مؤسسة الرسالة.. بيروت.

(2) صحيح.. أخرجه مسلم 2637، وأحمد 9352، وابن حبان 365، وغيرهم.

وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ ذلك، فَقَامَ عُمَرُ بن الخطاب ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

فلم يأذن رسول الله ﷺ وقَالَ له: «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [1].

ومعناه: أن ابن أُبَي بن سلول في ظاهر حاله مسلم، وأكثر الناس لا يعلمون نفاقه، ولا يعلمون سبب قتله، فإذا قتله رسول الله ﷺ والمؤمنون سيُرسل أتباعه من المنافقين إشاعة خبيثة بأن الرسول ﷺ يقتل أصحابه، مما يصد الناس عن الإسلام نفسه، فضلاً عن أن له عشيرة ستغضب لمقتله، وتكون فتنة كبيرة.. ولهذا لم يأذن الرسول ﷺ بقتله، وقال لابنه: بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا.

وقد حمد قَوْمُ ابن أبي بن سلول موقف النبي ﷺ منه، فكَانوا هُمْ الَّذِينَ يُعَاتِبُونَ ابن أبي بن سلول وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنِّفُونَهُ.

ولهذا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي أُقْتُلْهُ، لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنفٌ، لَوْ أَمَرْتهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ.

قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللهِ عَلِمْتُ لَأَمْرُ رَسُولِ الله ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي [2].

ومثله عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ يَقْبِضُ مِنْهَا، وَجَعَلَ يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ.

فَقَالَ: «وَيْلَكَ؛ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ».

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/ 254 ط. دار الشعب.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 289 رقم 1476، والطبري في تاريخه 2/ 608، والبيهقي في الدلائل 4 / 62، وغيرهم.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعَنِي فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» [1].

الرسول ﷺ يقي نفسه مواضع التهمة.

و في ذات الوقت كان النبي ﷺ يحرص على اجتناب كل سبب يُشِينُ سمعته، أو يُؤدي إلى سوء الظن به، ورَمْيه بالإشاعات الخبيثة، كما نجده فيما روته صَفِيَّةُ ابْنَةُ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُعْتَكِفًا ، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ ، فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِى ــ وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ــ فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ ».. فَقَالاَ: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله.. قَالَ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا »[2].

وفي الحديث بادر النبي ﷺ إلى تعريف الصاحبين بأن المرأة التي معه زوجته صفية بنت حُيي رضي الله عنها؛ لينفي التهمة عن نفسه، نصيحة لهما، وخشية عليهما من سوء الظن به فيكْفُرا، فإن سوء الظن به ﷺ كفْر، بخلاف سوء الظن بغيره من المؤمنين فإنه معصية.

قال الحافظ: والمحصل من هذه الروايات أن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءًا؛ لما تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك؛ لأنهما غير معصومين، فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك؛ فبادر إلى إعلامهما حسما للمادة، وتعليما لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك، كما قاله الشافعي رحمه الله تعالى.

---

(1) صحيح.. أخرجه الطبراني في الأوسط 9060، وغيره.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري 2038، ومسلم 5643، وابن ماجة 1779، وأبوداود 4994، وغيرهم.

وروى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس بن عيينة فسأله عن هذا الحديث، فقال الشافعي: إنما قال لهما ذلك لأنه خاف عليهما الكفر إن ظنا به التهمة، فبادر إلى إعلامهما نصيحة لهما قبل أن يقذف الشيطان في نفوسهما شيئا يهلكان به [1].

وإذا كان النبي ﷺ ــ وهو المعصوم ــ يُبادر إلى نفي التهمة عن نفسه، ليُبعد الإشاعة الخبيثة عن نفسه، فأولى بهذا غيره من المؤمنين.

وقد روى البيهقي أن الشافعي ذكر: أن النبي ﷺ أَدَّبَ مَنْ بَعده ، فقال: إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا ؛ حتى لا يظن ظان بكم السوء، لا أن النبي ﷺ ــ وهو أمين الله في أرضه ــ اتهُم منهما أو من أحدهما.

فقال ابن عيينة: جزاك الله خيرًا يا أبا عبد الله، فما يجيئنا منك إلا كل ما نحبه[2].

وذكر العلامة العيني في فوائد الحديث: استحباب التحرّز من التعرض لسوء الظن وطلب السلامة ، والاعتذار بالأعذار الصحيحة؛ تعليماً للأمة [3].

وذكر النووي للحديث فوائد كثيرة، منها: استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن شرح يبين حاله ليدفع ظن السوء.

وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره والله أعلم قوله ﷺ [4].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: وَفِي الحديث بيان شفقته ﷺ على أمته وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار.

---

(1) راجع: فتح الباري 4/ 280.

(2) راجع: فتح الباري 4/ 328 تحت رقم 2035، ومناقب الشافعي للبيهقي تحقيق السيد صقر 1/ 310.

(3) راجع: عمدة القاري في شرح الحديث 2035.

(4) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم تحت الحديث المذكور.

قال بن دقيق العيد رحمه الله: وهذا مُتَأَكِّدٌ في حق العلماء ومن يُقْتَدَى به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مَخْلَصٌ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم؛ ومن ثَمَّ قال بعض العلماء ينبغي للحاكم أن يبين للمحكوم عليه وجه الحكم إذا كان خَافِيًا؛ نَفْيًا لِلتُّهْمَةِ [1] .

وجوب اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة.

ولهذا يجب على المؤمن أن يجتنب كل سبب يُؤدي إلى رميه بالإشاعات الخبيثة بقدر استطاعته.. فمن المُتَيقَّن أن بعضًا من الإشاعات الخبيثة لها أسبابها وإن صغرت، وقد قيل: ما من دخان إلا بوجود نار صغرت أو كبرت [2].. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:195).

والإسلام كما يُحرم الإشاعات الخبيثة يُوجب اجتناب أسبابها، ومن قواعده: كل ما يُؤدي إلى الحرام فهو حرام.. وكل ما يُؤدي إلى الواجب فهو واجب.

دعائم اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة.

1 ــ وأول ما يجب على المؤمن عمله لاجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة: اجتناب معصية الله تعالى، لقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: 132)..وقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر:

---

(1) راجع: فتح الباري 4/ 329 تحت رقم 2035 .

(2) قال الناس في أمثالهم: ألسنة الخلق أقلام الحق.. وهذا يصدق كثيرًا على عصور الإسلام الماضية.. عصور الالتزام بالشرع، ويقظة العقل، وضبط اللسان بالصدق والتبيُّن، أمَّا في عصرنا فيُمكن وجود دخان بغير نار فقد هزلت الأخلاق، وأضحى من الممكن أن تجد نارًا بغير دخان..أي أن تجد إشاعات خبيثة يُرددها الناس، و ليس لها أصل ولو كان صغيرًا، ولاسيما بعد وجود أجهزة متخصصة في اختلاقها وترويجها.

7)، وقول النبي ﷺ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ[1].

2 ــ وإذا نسي وضعف عزمه، وعصى ربه فليس بمعصوم، ويجب عليه أن يُسارع بالتوبة، ولا يكشف ستر الله عليه، كما جاء عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أن النبي ﷺ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ الله، مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ ، نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ الله» [2].

أجل، إن المؤمن كلما ستر نفسه فيما وهن فيه عزمه، وعصى فيه ربه كان متعرضًا لعفو الله تعالى ومغفرته، كما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ يقول: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ [3].

وترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: باب ستر المؤمن نفسه.

وقال الحافظ: قال ابن بطال في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم يوجب حدًا، وإذا تمحَّض حق الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك.

---

(1) صحيح.. أخرجه ابن حبان رقم 18، ومسلم في كتاب الفضائل: باب توقيره صلى الله عليه وآله وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم 1337، وأحمد 7367، وغيرهما.

(2) صحيح.. أخرجه مالك في الموطأ 1769، والبهقي في الصغرى 2719، وغيرهما.

(3) أخرجه البخاري 6069، ومسلم 2990، وغيرهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ.

والحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية، فيستلزم مدح من يستتر، وأيضا فإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس منَّ الله عليه بستره إياه [1].

وَعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ: إِنَّ الله يُدْنِي الْمُؤْمِنَ ــ يوم القيامة ــ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟.. فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُون وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18] [2].

وقال إِبْرَاهِيمُ بْنَ هَانِئٍ: كنت عند أحمد بن حنبل، وعنده الشقيقي، وهو يذاكره آداب عبد الله بن المبارك، فقال: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: من تهاون بالستر أطلق لسانه في عيوب نفسه، فكفي الناس شره.

قال الراوي: فنفر أحمد من مكانه، قال: سبحان الله، ونتهاون بالستر [3].

وقد مر بنا ما رويناه عَنْ أَبِي اليَسَرِ، قَالَ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا، فَقُلْتُ: إِنَّ فِي البَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ، فَدَخَلَتْ مَعِي فِي البَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَتَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا.. الخ [4].

ومثله: ماعز الأسلمي حينما ذهب إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ واعترف أمامه بأنه اقترف الفاحشة التي تُوجب الرجم.. قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ ذَكَرْتَ هذَا لِأَحَدٍ غَيْرِي؟.. فَقَالَ: لاَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: فَتُبْ إِلَى الله، وَاسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله. فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ.

---

(1) راجع: فتح الباري لابن حجر 10/ 487، تحت الحديث المذكور.

(2) أخرجه البخاري 2441، ومسلم 2768، وغيرها عن ابن عمر ﷺ.

(3) راجع: شهب الإيمان للبيهقي رقم 9228.

(4) صحيح.. أخرجه الترمذي 3115، والنسائي في الكبرى 7286، وغيرهما، وفي الباب عن ابن مسعود.

فَلَمْ تسترح نَفْسُهُ حَتَّى أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ. فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لأَبِي بَكْرٍ.. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ.. فَلَمْ تسترح نَفْسُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الآخَرَ (يعني نفسه) زَنَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ ثَلاَثَ مَرَّات [1]

وفي رواية أنه ﷺ وجهه إلى ستر نفسه، قال له:

«لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» [2].

ومثله الذي سرق، وجاء إلى النبي ﷺ يُقر بسرقته، فاتجه النبي ﷺ إلى المؤمنين وشرع يُوجهه إلى ستر نفسه، بنفي التهمة عنه.. قال: مَا إِخَالُهُ سَرَقَ [3].

وإذا خالف المسلم ذلك وكشف ستر الله عليه، وحدَّث الناس بمعصيته؛ فأساء الناس الظن به ، وأشاعوا عنه الإشاعات الخبيثة فلا يلومن إلا نفسه.. وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: من عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن [4].

وقد قال القائل:

ومن دعا الناس إلى ذمِّه * ذموه بالحق وبالباطل.

3 ــ ومما يُعين على اجتناب أسباب الإشاعات الخبيثة: اجتناب مجالسة الفاجرين والمجاهرين بفجورهم؛ فإن مُجالستهم تجعل الناس تُسيء الظن به، ويرمونه بالخبيث من الإشاعات، والناس يقولون: الطيور على أشكالها تقع.

فإذا صاحب المسلم تاجر مخدرات مرة بعد مرة أساء الناس به الظن، وأشاعوا: أنه ربيب المخدرات (شاربًا لها، أو حاملاً لها أو بائعًا)، ولا يلومن إلا نفسه.

وإذا جالس المسلم رجلاً معروفًا بفجوره في الأعراض مرة بعد مرة أساء الناس الظن به ، وألحقوه بجليسه، وأشاعوا عنه التهمة، ولا يلومن إلا نفسه.

---

(1) مرسل عن سعيد بن المسيب.. أخرجه مالك في الموطأ 3036، والنسائي في الكبرى 7141، وغيرهم.

(2) أخرجه البخاري 6824، وغيره.

(3) صحيح..أخرجه الحاكم 8150، والبيهقي في الكبرى 17254، والدار قطني 3164، وغيرهم.

(4) راجع: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب 229، تحقيق د. علي محمد عمر، ط. مكتبة.

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَدَلُّ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا الدُّخَانِ عَلَى النَّارِ مِنْ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ [1].. وقال أبو العتاهية:

يقاس المرء بالمرء * إذا ما هو ما شاه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وللشّكل على الشّكل * مقاييس وأشباه [2].

والنبي ﷺ يقول: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ [3].

وقد قيل: الصاحب ساحب.

قال الماوردي: فلزم من هذا الوجه أن يتحرر المسلم مِنْ دُخلاء السُّوء، وَيُجَانِبَ أَهل الرِّيَب، لِيَكون مَوْفُور الْعِرْضِ سلِيم الْعَيْب، فلا يُلامُ بِملامَةِ غيْرِهِ [4].

وقد نبه النبي ﷺ على هذه المعاني، فيما رواه أبو مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً [5].

ذكر الشيخ الدكتور موسى شاهين لا شين: أن عدوى الأخلاق السيئة كعدوى الأمراض، ومجالسة الصالحين حماية من السيئات، لأن مجلسهم يخلو من الذنوب.. فجليسهم إمَّا أن يذكر الله معهم.. وإمَّا أن يستمع لذكرهم، وَيشمله نور مجلسهم وسمعتهم، كالجلوس بجوار حامل المسك وبائعه، إمَّا أن يشْترى منه، فيحمل معه ما ينفع، وإمَّا أن يهديه لمسة من مسكه، وإمَّا أن ينتفع برائحة طيبه التي تفوح وتنفع مَنْ يجاورها.

---

(1) راجع: أدب الدنيا والدين (165).

(2) راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة 3/ 8 ط. دار الكتب المصرية.

(3) صحيح.. أخرجه أحمد 8417، وأبو داود (4833)، والترمذي (2378)، وغيرهم عن أبي هريرة.

(4) راجع: أدب الدنيا والدين (166).

(5) أخرجه البخاري 2101، ومسلم 2628، وغيرهما عن ابن عمر.

أمَّا مجالسة أهل الشر والفساد فهي كمجالسة الحداد الذي ينفخ النار بالكير؛ ليصنع الحديد؛ فيتطاير منه الشرر ــ والدخان ــ فيحترق ثيابك أو يُصيبك دخانه وريحه الخبيثة.. ومجالسة أهل الشر والفساد، إمَّا أن يُعدِيك شرهم فينسبك الناس إلى أهل الفساد في الأرض، وإمَّا أن تسمع منهم ما يضر ولا ينفع؛ فتُحيط بك الشياطين كما تُحيط بهم، وإمَّا ــ على الأقل ــ أن يضعك الناس في حزبهم وسمعتهم، وإن لم تكن منهم ولا على طريقتهم ومنوالهم [1].

ولهذا ينْهى الله تعالى عن مُجالسة أهل السوء والفساد، كما يقول سبحانه: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) (النساء:140).

قال ابن كثير: أَيْ: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) أيْ فِي الْمَأْثَمِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ» [2].

* ــ وجاء عَنْ حَرْمَلَةَ الْعَنْبَرِيِّ ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي قَالَ: اتَّقِ الله، وَإِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ فَقُمْتَ عِنْدَهُ فَسَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ مَا يُعْجِبُكَ فَأْتِهِ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ مَا تَكْرَهُ فَلَا تَأْتِهِ وَاتْرُكْهُ [3].

---

(1) راجع: فتح المنعم بشرح صحيح مسلم 10 / 127 د. موسى شاهين لا شين ط. دار الشروق.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/ 387، تحت الآية الكريمة.. والحديث المذكور صحيح.. أخرجه النسائي في الكبرى عن جابر، رقم 6708، ورجاله ثقات، والترمذي 2801، وأحمد 14651، وغيرهم.

(3) صحيح.. أخرجه البيهقي في الشعب9005، وأبو نعيم في الحلية (1 / 439) رقم 1254.

ومن ناحية أخرى فإن مجالسة المؤمن للفاجرين المُعالنين بفجورهم بغير إنكار عليهم مع القدرة على مباعدتهم ركون إليهم وتقوية لهم، وقد نهى الله تعالى عن الركون إليهم بأي شكل من الأشكال، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:113).

14ـ وجوب التَّبيُّن من الأخبار والإشاعات.

ومن الوسائل القوية في مجاهدة الإشاعات الخبيثة: وجوب التَّبيُّن من الخبر.

والتبيُّن يعني طلب بيان الشيء بيانًا يوُضح غامضه، ويُبين صحته أو عدم صحته .. أو يطلب بيان صدق الإشاعة أو كذبها [1].

وسبيل التبين: أن يطلب المسلم الدليل المناسب لصحة الخبر أو الإشاعة.

فحينما جاء الهدهد إلى نبي الله سليمان عليه السلام بعد غياب، (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل ــ 22:24).

ولم يتعجل سليمان عليه السلام في تكذيب الهدهد أو تصديقه، وشرع في التبين من صدق خبره، كما يقول الله تعالى على لسانه: (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) (النمل: 27، 28).

وفي أكثر من موضع في القرآن العظيم يأمر الله تعالى المؤمنين أن يتبينوا وجه الحق فيما يسمعون، بطلب الدليل الصحيح، يقول الله تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:111، النمل: 64).

ويقول سبحانه: (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (الأنعام:148).. ونحو ذلك من الآيات الكريمة.

ويأمر الله تعالى المؤمنين أن يتثبتوا من صدق ادعاء الرجل أو المرأة الإيمان

---

(1) ولهذا فالتبيُّن أَوْكَدُ من التَّـثبُّـت، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَثَبَّتُ ولا يتبين (راجع: تفسير القرطبي 7 / 49).

بالإسلام، فربما كان ادعاؤهما الإسلام مغشوشًا؛ لأجل حاجة لدى كل منهما، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(الممتحنة:10).

فقوله سبحانه: (فَامْتَحِنُوهُنَّ) يعني فتثبتوا من صدق المرأة في إسلامها، بقرائن الحال، فربما أسلمت لأجل كراهية زوج أو رغبة في رجل مسلم؛ فتكون عندئذ غير صادقة في إسلامها، وإذا تبين لهم صدق إسلامها فلا يجوز إرجاعها إلى الكفار.

التبيُّن فريضة إسلامية لازمة.

ولهذا فالتبين فريضة إسلامية لازمة للمؤمن، وقد جاء الأمر به صريحًا في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:6) [1].

فالمؤمن لا يقول إلا صدقًا، ولا ينقل إلا ما تبين له بالدليل صحته، ويسكت عن تصديق أو نقل خبر لا يعلم صحته.. ومع هذا فقوله سبحانه:(فَتَبَيَّنُوا) أمر يُوجب على المسلم أن يتثبت مما يسمعه، ويتبيَّن صحة الخبر قبل نقله؛ فلا يجوز له أن يقول بالظن، ولا بالوهم ولا بالتخمين ولا بالإشاعات العارية عن الدليل.

---

(1) وأنبه هنا: أني لم أجد للآية الكريمة سبب نزول صح سنده، وأقوى ما قيل في سبب نزولها حديث الوليد بن عقبة.. أخرجه أحمد 18459، والطبراني في الكبير 3395، وغيرهما.. وفي سنده دينار الكوفي، وهو مجهول؛ فلم يرو عنه غير ابنه عيسى، ولم يُوثقه غير ابن حبان (راجع في ترجمته: تهذيب الكمال للحافظ المزي، ترجمة رقم 1811، وغيره).. واتهام الوليد ﷺ بالفسق وهو صحابي رضي الله عنه علة تجرح الحديث.. ولهذا فالآية نزلت بغير سبب نزول تعليمًا وتأديبًا للمؤمنين إلى يوم القيامة.

قال أحد الباحثين: تخصيص الفاسق بوجوب التبين من خبره لأنه مظنة الكذب.. وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها.. فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذا بها.. فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره.. وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق؛ فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع؛ فتندم على ارتكابها ما يغضب الله.

وقال: ومدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره، أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداءً [1].

وخطر عدم التبين أن الإشاعات الخبيثة لا يُعرف لها مصدر واضح.. وترمي البرآء من المؤمنين بما ليس فيهم، وتُؤذيهم في سُمْعتهم وكرامتهم بغير دليل ثابت، كما يقول الله تعالى: (أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ) ويُؤدي ذلك إلى بلبلة في الفكر، واضطراب في السلوك، وفتنة ــ والله ــ كبيرة (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ).

* ــ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺوَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنْكُمْ، فَقَامُوا فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا غَنَمَهُ، فَأَتَوْا بِهَا رَسُولَ الله ﷺ.

(1) راجع: في ظلال القرآن (6 / 3341).

فأنزل الله تعالى قوله آمرًا المؤمنين بالتبيُّن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:94) [1].

وقد ورد الأمر بالتبيُّن في الآية الكريمة مرتيْن لمزيد من التأكيد على وجوبه قبل قبول الكلام ونقله، أو الحكم به وعدمه.

ولهذا يجب على المسلم أن يجتنب كل أمر لا يعلمه، وكل كلمة لا يعلم سببها، ولا يستطيع أن يتبين صحتها، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:36).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في الآية الكريمة، قال: لَا تَرْمِ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [2].

قال العلماء: التثبُّت من كلِّ خبر، ومِن كل ظاهرة، ومِن كل حركة، قبلَ الحُكم عليها هو دعوةُ القرآن الكريم، ومنهجُ الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلْبُ والعقل على هذا المنهج لم يَبْقَ مجال للوَهم والظن والشُّبهة والإشاعات الخبيثة [3].

ويعيب الله تعالى قومًا يُسارعون بنقل وإشاعة ما سمعوه دون أن يتثبتوا من صحته، ويُوجب على المؤمنين أن يتثبتوا من صحة ما يسمعون أو يقولون برده إلى أهله العارفين به، ولو فعلوا هذا لظهر لهم حقيقته، ولعلموا مَا ينْبغِي أَنْ يُفشَى منه، وما ينْبغِي أَنْ يُكتم، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ

(1) صحيح.. أخرجه الترمذي 3030، وأحمد 2023، وابن حبان 4752، وغيرهم، وغيرهم.

(2) راجع: في ظلال القرآن (6 / 3341).

(3) راجع: في ظلال القرآن (4/ 2227) تفسير آية ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ [الإسراء: 36].

إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء:83).

قال ابن كثير: إنكار على من يُبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويُفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة [1].

وقال ابن المنير: في هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع، وكفى به كذباً، وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الأعداء والمقيمين في نحر العدو، وما أعظم المفسدة في لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم، خيراً أو غيره.. ولقد جربنا ذلك في زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول البلاد- طهرها الله من دنسه، وصانها عن رجسه ونجسه، وعجل للمسلمين الفتح وأنزل عليهم السكينة والنصر [2].

ويقول الله تعالى مُعاتبًا المؤمنين الذين أشاعوا الإفك في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ) (النور:15).

قال العلماء: وهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام.

«إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ».. لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا تروٍ ولا فحص ولا إنعامِ نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتدبره القلوب!.. «وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ».. بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم، إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول... «وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً».. «وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ».. وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تزلزل له الرواسي، وتضج منه الأرض والسماء [3].

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/ 321 ط. دار الشعب .

(2) راجع: تعليق ابن المنير على تفسير الكشاف للزمخشري 1/ 547، ط. مصطفى البابي الحلبي.

(3) راجع: في ظلال القرآن (4 / 2502، 2503).

والنبي ﷺ هو الآخر ينهى المؤمنين عن تناقل الأخبار بغير علم ولا دليل، كما جاء عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ [1].

كالذي يُكثر من الحديث مما يقول الناس.. يقول: الناس يقولون كذا، وزعموا كذا.. هكذا بغير تثبت من أمارة أو برهان.

قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَقُلْ: رَأَيْتُ، وَلَمْ تَرَ.. وَسَمِعْتُ، وَلَمْ تسْمعْ.. وَعَلِمْتُ، وَلَمْ تَعْلَمْ؛ فَإِنَّ الله سَائِلُكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وهذا من أكذب الكذب، وأشده إثمًا، كما يقول ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ» [2].

والفِرىَ ــ جمع فرية ــ هو الكذب الفادح التي يتعجب منه سامعه.. وقوله ﷺ: (أَفْرَى الفِرَى) أي: من أكذب الكذب أن يقول الإنسان ويروي ما لم يسمع ولم ير.

وكثير من الغوغاء إذا أرادوا نشر إشاعة خبيثة قالوا: الناس تقول كذا، الناس تُريد كذا.. وإذا سألتهم من الناس قال ما تذكرون؟.. سكتوا وبُهتوا.

وهذا خُلُقٌ بغيض مذموم، فقد روى أَبُو مَسْعُودٍ ﷺ الْأَنْصَارِيِّ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» [3].

وذم النبي ﷺ هذه اللفظة (زَعَمُوا) لأنها تستعمل غالبًا في حديث مبناه على التخمين والظن أو الحكاية بغير سند له ولا ثبت فيه، إنما هو شيء يُحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فنهى ﷺ عن القوْل الذي يكون هذا سبيله، وذم الرجل الذي يجعل مطيته في القول: زعموا كذا [4].

---

(1) أخرجه البخاري 1477، ومسلم 1715، وغيرهما، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عن النبي ﷺ يقول: إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ.

(2) راجع: جامع البيان للطبري 14/ 594، تحقيق د. عبد الله التركي.

(3) صحيح.. أخرجه أبو داود 4972، وأحمد 17075، والبخاري في الأدب المفرد 763، وغيرهم.

(4) راجع: شرح السنة (3/ 413).. ومعالم السنن للخطابي 7/ 247، وعون المعبود 13/ 315.

وينبغي للمسلم إذا حدَّث أو نقل خبرًا أن يختار من الأخبار ما يعرف صحته ومناسبته للناس، فإنه إذا نقل كل ما يسمعه لنقل مع الصدق الكذب، ولنقل مع الحق الباطل، وأثِمَ بذلك إثمًا كبيرًا، كما يقول النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» [1].

النبي ﷺ قدوة حسنة في التبيُّن.

والنبي ﷺ في سيرته العملية قدوة حسنة في التبيُّن من كل خبر يسمعه، فحينما شاع بين المؤمنين في غزوة الأحزاب أن يهود بني قريظة قد نقضوا عهدهم، وشاع الخبر بين المؤمنين، لم يتسرع الرسول ﷺ في تصديقه، وأرسل عددًا من الصحابة إلى بني قريظة؛ ليتبينوا من صحة الخبر، وقال: انْطَلِقُوا حَتّى تَنْظُرُوا، أَحَقّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ أَمْ لا؟.. فَإِنْ كَانَ حَقّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلا تَفُتّوا فِي أَعْضَادِ النّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاسِ [2].

ولما جاءه الصحابة مؤكدين له صحة الخبر في غدرهم وخيانتهم قال: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين [3]... أي بالنصر.

وحينما بلغ رسول الله عن الأنصار مقالة لم ترُقْه تثبت منهم عن صحتها، كما جاء عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ قَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي قُرَيْشٍ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ، إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، وَإِنَّ غَنَائِمَنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟».

قَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ، وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ.

---

(1) صحيح.. أخرجه أبو داود 4992، وابن حبان 30، والحاكم 381، وغيرهم عن أبي هريرة.

(2) راجع: سيرة ابن هشام، 3/ 205، رقم 1358، تاريخ الطبري 2/ 571.

(3) راجع: البداية والنهاية 4/ 105.

قَالَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله إِلَى بُيُوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ» (1).

وَفِي تطبيق المؤمنين للتثبت جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟.. قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ».

فَقَالَ: وَالله لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟.

فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَالله لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ القَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ (2).

أنواع التثبت من الأخبار والإشاعات.

وسبيل التثبت من صحة الإشاعات ـــ فيما أراه ـــ نوعان: الأول: تثبت داخلي.. والثاني: تثبت خارجي.

أولاً: التثبت الداخلي.. ويكون بفحص متن الإشاعة الخبيثة ذاتها، وبتدبر مدى ملائمتها للعقل، ومناسبتها لمن رمُي بها عقليًا وأخلاقيًا وتاريخيًّا.

1 ـ عقليًا: بأن يتبين مدى ملائمة الإشاعة الخبيثة للعقل، أو تنافرها معه، فالإشاعات الخبيثة ليس لها سند معروف، وتافهة في متنها، ولا يقبلها العقل السليم، مثل إشاعة: البقرة التي ولدت رجلاً.. وإشاعة اتهام المجوسي (عابد النار) الهندي بأنه مسلم من الوهَّابيين!!.

2 ـ أخلاقيًا: بأن يتبين مدى مناسبة الخبر أو الإشاعة لأخلاق المؤمن المنكوب، الذي رُمي بها.. هل يُمكن أن تصدر منه أو لا؟.

---

(1) أخرجه البخاري 3778، و مسلم 1059، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 6245، ومسلم 2153، وغيرهما.

فإذا كان المؤمن الذي رُمي بالإشاعة الخبيثة حسن الأخلاق، فلا تتناسب مع حاله، ويجب نفيها عنه، وإحسان الظن به، يقول الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور:26).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْقَوْلِ لِلْخَبِيثِينِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ.. وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْقَوْلِ، لِلطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ الرِّجَالِ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ.اهـ.

2 ــ وتاريخيًّا: يعني قياس الإشاعة الخبيثة بالميزان التاريخي كما يفعل علماء الحديث ، ويُنظر فيها هل تتطابق مع وقائع التاريخ أو لا تتطابق.

ذكر ابن كثير في ترجمة أبي بكر الخطيب البغدادي (أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت 163هـ أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْحُفَّاظِ) أنه حينما رجع إلى بغداد وحظي عند الوزير أبى القاسم بن مسلمة، أحد الوزراء العباسيين ، ادَّعَى يَهُودُ خَيْبَرَ فِي ذلك الزمن المتأخر بعد الثلثمائة أَنَّ بِأَيْدِيهِمْ كِتَابًا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِيهِ أَنَّهُ وَضَعَ الْجِزْيَةَ عَنْهُمْ، وَقَدِ اغْتَرَّ بِهَذَا الْكِتَابِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَتَّى قَالَ بِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنْهُمْ، منهم مِنَ الشَّافِعِيَّةِ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ بن خَيْرُونَ.

فلم يُبادر الوزير ابن مسلمة بتصديقهم دون التثبت من صحة كتابهم، فدفعه إلى الحافظ المحدث الخطيب البغدادي لينظر في ثبوته وعدم ثبوته.

فَقَالَ الخطيب: هَذَا كَذِبٌ مُفْتَعَل، لَا أَصْلَ لَهُ.

فقال له الوزير: وما الدليل على كذبه؟.

فَقَالَ: لِأَنَّ فِيهِ شَهَادَةَ مُعَاوِيَةَ بْن أَبِي سُفْيَانَ وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَقَدْ كَانَتْ خَيْبَرُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ مُعَاوِيَةُ يَوْمَ الْفَتْحِ (عام 8 هـ).. وكان فتح خيبر عام 7هـ.

وفي آخر الكتاب وجد الخطيب: وكتبه علي بن أبو طَالِبٍ وَهَذَا لَحْنٌ وَخَطَأٌ، وَفِيهِ وَضْعُ الْجِزْيَةِ وَلَمْ تَكُنْ شُرِعَتْ بَعْدُ... وأخذ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ.. وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ وَفَدُوا فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعٍ.. وَاللهُ أَعْلَمُ [1].

أرأيت لو أن الوزير أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ استعجل العمل بكتاب اليهود، ولم يسأل ولم يتبين صدقه من أهل العلم الذين يعرفونه، فماذا سيكون منه؟!.

والجواب الذي لا جواب غيره: قبوله الكذب على رسول الله ﷺ .. وتعطيله العمل بالجزية التي يأمر الله تعالى بها في قوله سبحانه: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:29) [2].. ولن يقف كذب اليهود عند هذا الحد، بل سيُشجعهم هذا على الكذب مرة أخرى في أمور أكبر وأخطر.

ثانيًا: التثبت الخارجي.. ويكون باستيضاح الإقرار، أو باستنطاق الشهود.

(ا) ــ فالإقرار:

بأن يُقر الذي اتهم بأمر خبيث أنه اتهامه به صحيح، وقد قالوا: الإقرار سيد الأدلة.. مثل قول الرسول ﷺ لزوجه عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ».

وما كان لها رضي الله عنها أن تُقر بشيء لم تفعله، وإنما اكتفت بترك الأمر لله تعالى وحده ليبرئها من هذا الإفك، وقالت: (**وَاللهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)** [يوسف: 18] ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي الله.

(ب) ــ استنطاق الشهود.

وإذا تعذر التبيُّن بالإقرار فيجب المصير إلى التبيُّن باستنطاق الشهود.

---

(1) راجع: البداية والنهاية 12 / 108، 109 ط. دار الفكر.. بيروت.

(2) معناها: حتى يُعطوا الجزية عن قدرة، وهم خاضعون لقانون الدولة وسلطتها.

والشهود في المعاملات والجنايات تكون بشهادة رجلين اثنين أو رجل وامرأتين من العدول، كما يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ (البقرة:282).

وفي جنايات الفاحشة يكون بأربعة شهود، لا يقلون في عدد ولا عدالة، يرون الفاحشة رُؤية عين واضحة، كما يقول الله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النور:13).

ومن جميل ما قرأناه ، ما جاء عن علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه برجل، فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك.. فقال: أقلني يا أمير المؤمنين [1].

وبهذا التبيُّن من صحة أو كذب الأخبار والإشاعات نستطيع أن نُشيع الصدق في القول، ونمنع انتشار الإشاعات الخبيثة.

(1) راجع: إحياء علوم الدين (3 / 157).

15 ـ استصحاب السيرة الذاتية للمنكوب بالإشاعة.

ومن الوسائل المطلوبة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: استصحاب السيرة الذاتية للإنسان المنكوب بالإشاعة الخبيثة قبل أن تطاله.

ومعناه: أن المؤمن كلما سمع إشاعة خبيثة تُشين أخاه المؤمن يقيسها على سيرته الذاتية، وحياته الأخلاقية التي يعرفها عنه قبل أن تطاله هذه الإشاعة الخبيثة.

فإذا كان المسلم قبل أن تطاله الإشاعة الخبيثة حسن السيرة، مستقيم الأخلاق، ولم يصدر منه ما يُشينه ويُلوِّث سيرته؛ فيجب على المؤمنين أن يُحسنوا الظن به، وينفوا عنه هذه الإشاعة الخبيثة؛ فإنه في الغالب رُمي بها زورًا وبهتانًا.

وربما كان لها أصل حسن، لا يتعارض مع حُسن أخلاقه، فحرَّفه الأفَّاكُون وضخموه، وجعلوه بطريقتهم إشاعة خبيثة تُشينه وتُهينه.

ولو فتشنا الإشاعات الخبيثة التي نالت المؤمنين على مدار التاريخ لوجدناها: إمَّا أنها افتراء، وإمَّا أنها مُحرَّفة عن أصل حسن، ثم حَوَّره الأفَّاكُون و حرَّفوه، وأشاعوه.

* ــ وبهذا السبيل شرع رسول الله ﷺ يدفع عن نفسه إشاعات الكذب والجنون والسحر والكهانة، التي اختلقها المشركون، وأشاعوها ضده، ويُذكِّرهم بسيرته الذاتية التي يعرفونها عنه قبل أن يفتروا عليه تلك الإشاعات الخبيثة.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: لَمَّا نَزَلَتْ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [الشعراء: 214] ، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» ــ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ ــ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟».. قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.. وفي رواية: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا.. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ

سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟.. فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2] [1].

* ــ وحينما أشاع الأفَّاكون إشاعة الخبيثة ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم ينزل الوحي على رسول الله ﷺ شهرًا كاملاً ببراءتها طفق النبي ﷺ يُشاور أصحابه، فحكموا ببراءتها بما عرفوه من حُسن سيرتها، واستقامة أخلاقها قبل أن تُرمى بهذا الإشاعة الخبيثة.. فتأكد للرسول ﷺ ما استقر في نفسه من براءتها.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ الله، وَلاَ نَعْلَمُ وَالله إِلَّا خَيْرًا.... وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟» .

فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ (أعيبه) عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ (الشاة في البيت) فَتَأْكُلُهُ.

وعندئذ ارتاح رسول الله ﷺ إلى ما استقر في نفسه من براءة زوجته رضي الله عنها، وأعلن براءتها أمام المؤمنين قبل نزول الحي عليه ببراءتها.. قالت عائشة رضي الله عنها: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ^: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» [2].

---

(1) أخرجه البخاري 4770، 4971، ومسلم 208، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 2661، ومسلم، 2770، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها..(الدَّاجِنُ) الشاة في البيت.

وأبو بكر الصديق ﷺ نفسه استصحب سيرته الذاتية وسيرة أسرته قبل أن تطاله وتطال ابنته هذه الإشاعة الخبيثة، واستظهر للناس كذبها وبطلانها، وَقَالَ لابنته: وَالله مَا قيل لنا هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّة قطّ، فَكيف وَقد أعزنا الله بالإسلام؛ فَبَكَتْ عَائِشَة وَأمّهَا أم رُومَان وَأَبُو بكر وَعبد الرَّحْمَن، وَبكى مَعَهم أهل الدَّار [1].

وبمثل هذا استظهر رسول الله ﷺ براءة صفوان بن المعطل ، قال ﷺ: «وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» [2].

وصفوان بن المعطل ﷺ نفسه يُعرِّف الناس بسيرته الذاتية، فيقول: سبحان الله! والله ما كشفت كتف أنثى قط [3].

وفي مثل هذا جاء عَنْ أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّ أُمَّ أَيُّوبَ قَالَتْ لِأَبِي أَيُّوبَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟.. قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَفَكُنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً ذَلِكَ ؟.. قَالَتْ: لَا وَالله.. قَالَ: فَعَائِشَةُ وَالله خَيْرٌ مِنْكِ.

فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَذَكَرَ أَهْلَ الْإِفْكِ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [4].

هذه الرواية تُبين أن جمهور المسلمين رجعوا إلى عقولهم، واستصحبوا السيرة الذاتية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولصفوان بن المعطل ﷺ، قبل أن تطالهما هذه الإشاعة الخبيثة، وأيقنوا بتدبرهم أنها إفك أثيم، وبهتان عظيم، وإشاعة خبيثة.

وبعد هذا أنزل الله تعالى في القرآن براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل ﷺ بهذا السبيل الهام، يقول الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ

(1) راجع: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 6 / 148.

(2) أخرجه البخاري 2661، ومسلم، 2770، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها.

(3) راجع: في ظلال القرآن (4 / 2501).

(4) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6 / 26 ط. دار الشعب.

لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور:26).

ومعناه: أن المؤمنين الصالحين لا يخرج منهم إلا الصالح من الأقوال والأعمال.. فإذا اتُّهموا بالخبيث منه فيجب نفيه عنهم، وإحسان الظن بهم.. فإن الخبيث من القول والعمل لا يصدر إلا من الخبيثين من الرجال والنساء.

وقال مجاهد وابن جبير وعطاء وأكثر المفسرين: المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول، وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول. قال النحاس في كتاب معاني القرآن: وهذا من أحسن ما قيل في هذه الآية.

قال: ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، ولُبْسَة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولًا [1].

* ــ وحينما تخلف كعب بن مالك ﷺ عن غزوة تبوك، وسأل رسول الله ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ عنه: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ.

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ [2].. أي سكت راضيًا بإماطة الأذى عن كعب.

فكان قول مُعَاذ استصحابًا لسيرة كعب الذاتية قبل أن يُقال فيه ما قيل؛ مما قطع ببراءته من إشاعة النفاق.. وهكذا الإشاعات الخبيثة، يُمْكن كشْفها باستصحاب سيرة المؤمن المنكوب بها.

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 15/ 171،172، تحقيق د. عبد الله التركي.. ط. مؤسسة الرسالة.

(2) أخرجه البخاري 4418، ومسلم 2769، وغيرهما.

والواجب على المؤمنين أن يفعلوا هذا، ويوقنوا: أن الخبيث من الإشاعات لا تليق بالطيبين من المسلمين، الذين يعرفون استقامتهم وصلاح حالهم.

لقت لقت لقت

16 ـ كشف الخبر الصحيح للإشاعة.

ومن الوسائل الهامة لمجاهدة الإشاعات: كشف الخبر الصحيح للإشاعة الخبيثة.

فالإشاعات الخبيثة تتكاثر في أجواء التوتر، وظلمات الجهل والغموض، وعدم العلم بالرواية الصحيحة للإشاعة ــ إن كان لها أصل صحيح ــ فحينئذ يهرف كل تائه أو غافل أو جاهل بما لا يعرف، ويجد الكاذبون مناخًا رائجًا يروجوّن فيه الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة، وفي الناس سماعون لهم، ومخدوعون بهم، وقد قيل: إِذا وَقَعَتِ المَخَاوِيفُ، كَثُرَت الأَراجِيفُ.

ومن العلاج المطلوب لذلك:كشف الخبر الصحيح للإشاعة الخبيثة، وتعريف الناس به؛ فعندئذ يتوقف العقلاء عن تصديقها وسماعها وترديدها؛ بل يردونها حتى تتضاءل وتختفي.. والباطل دائمًا يحمل في ذاته أسباب زواله، فإذا ظهر وجه الحق انكشف خبث الباطل واختفى.. يقول الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ:18].. ويقول سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(الإسراء:81).

ذكر العلماء: أن هذا تهديد ووعيد للكفار وأهل الباطل؛ فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا شك فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع. واضمحل باطل الكافرين وهلك، فإن الباطل يحمل في داخله أسباب زواله؛ فلا ثبات له مع الحق ولا بقاء، كما يقول الله تعالى:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ:18].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ولما كانت دعوة الرسول هي لإقامة الحق وإبطال الباطل كان الوعد بظهور الحق وعدا بظهور أمر الرسول (ﷺ) وفوزه على أعدائه، واستحفظه الله هذه الكلمة الجليلة إلى أن ألقاها يوم فتح مكة على مسامع من

كانوا أعداءه، فإنه (ﷺ) لما دخل الكعبة ووجد فيها وحولها الأصنام جعل يشير إليها بقضيب، ويقول: (جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً)، فتسقط تلك الأنصاب على وجوهها [1].

وحينما آذى الإسرائيليون نبي الله موسى (عليه السلام) بأن في جسده عيبًا يُشينه؛ ولأجله يغتسل بعيدًا عنهم، فساق الله لموسى (عليه السلام) معجزة الحجر كشفت لهم الخبر الصحيح وبيَّن كذب إشاعتهم الخبيثة، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ^: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(الأحزاب: 69).

وقد أنزل الله تعالى في القرآن ما يكشف للمؤمنين الخبر الصحيح لإشاعات المشركين والمنافقين ضد رسول الله ﷺ والمؤمنين وأسبابها؛ ففضح بذلك مكرهم، وأظهر كيدهم، وتوقف العقلاء عن سماعها وترديدها أو قاموا بتكذبها وردِّها، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة:48).

---

(1) راجع: التحرير والتنوير 15 / 187، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ). ط. دار سحنون.. تونس.

أي لقد بـذلوا جهـدهم، واعملـوا فكـرهم، وأجـالوا آراءهـم وأقـوالهم في إثـارة الاضطراب والفتنة للكيد للمؤمنين، وخُذلان الحق الذي معهم، حتى يعجزوا عن القيـام به ونصره وتمكينه في الأرض.

ولهذا يجب على المؤمنين كشف الخبر الصحيح للإشاعة الخبيثة إن كـانوا يعرفونـه، وإن لم يعرفوه فالواجب عليهم أن يسألوا العارفين به.. ودليل ذلك:

* ــ أن المشركين حينما أشاعوا أن الله تعالى لا يبعث رسـولاً مـن البشـر، أمـرهم الله تعالى أن يسألوا أهل الذكر الذين يعرفون الحقيقة، ليتـبين لهـم وجـه الحـق بـأن الله لم يرسل رسولاً إلى البشر إلا من أنفسهم، يقول الله تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:43).

وقوله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ أمـر يُفيـد وجـوب سـؤال أهل الذكر، وهم العارفون بحقائق الأمور، ليتبين الخبر الصحيح.

والنبي ^ يقول: «أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِـفَاءُ الْعِـيِّ السُّـؤَالُ» [1].. أي فإنمـا شفاء الجهل بالخبر سؤال العارفين به، بدلًا من إشـاعة البهتـان والإشـاعات الخبيثـة بغـير علم .

ويقول الله تعـالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء:83).

وفي هذه الآية الكريمة يعيب الله تعالى على قوم يُروجـون الأخبـار بغـير تبـيُّن مـن صدقها أو كذبها، وكان الأولى بهم أن يتبينوها بسؤال العارفين بها.

وهذا خبر في طيه أمر للمؤمنين بالتبين من صدق الإشاعة، وكشف خبرها وسـببها الصحيح، بردها إلى العارفين بها.

---

(1) حسن.. أخرجه أبو داود 336، والدار قطني 729، وغيرهما عن جابر ﷺ.

* ــ وحينما أشاع الناس أن رسول الله ﷺ طلق نساءه فزع عمر بن الخطاب ﷺ وذهب إلى ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها؛ ليتبين حقيقة الخبر.

قَالَ عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: كُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَرَجَعَ صَاحِبِي عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟.. قَالَ: لاَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَدَخَلَ مَشْرُبَةً (مجلس) لَهُ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله ﷺ.. قَالَتْ: لاَ أَدْرِي هُوَ ذَا فِي المَشْرُبَةِ (الغُرفَة)، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ المِنْبَرَ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ فَقَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ (جِلْد) حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «لاَ» .

وفي رواية مسلم: يذكر عمر بن الخطاب أنه دخل على النبي ﷺ وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ .. قَالَ: «لَا» [1].

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ، فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ، قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ».

وفي رواية ابن حبان: فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقِ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ

(1) أخرجه البخاري 2468، ومسلم 1479، وغيرهما.

رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:83).

فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ [1].

وحسنًا فعل عمر بن الخطاب ﷺ فقد كشف للمؤمنين بهذا التبيُّن الخبر الصحيح للإشاعة التي ارتجت لها المدينة، حتى توقفت، وسكنت المدينة.

* ــ وحينما انكسر الجيش الإسلامي وتفرق في غزوة أحد حمل ابن قمئة المشرك على مصعب بن عمير ﷺ فقتله، وكان مصعب شديد الشبه برسول الله ﷺ فقال ابن قمئة لقريش: قتلت محمدًا.. وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ.

وامتلأت الأفواه بتلك الإشاعة الخبيثة، حتى تفرق المؤمنون، واختلطت عليهم أحوالهم، فما يدرون كيف يُقاتلون، فَصَارُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ، وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حتى انكشف لهم الخبر الصحيح لهذه الإشاعة الخبيثة، وأن الرسول ﷺ لم يُقتل، وأن الذي قُتل هو مصعب بن عمير ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدَ قَوْلِ النَّاسِ: قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ، كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ تَزْهَرَانِ (تلمعان) مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَبْشِرُوا، هَذَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ: أَنْ أَنْصِتْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ الله ﷺ نَهَضُوا بِهِ، وَنَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوَ الشِّعْبِ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله... وَرَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ [2].. وعندئذ التف المؤمنون حول النبي ﷺ وعادوا إلى انتظامهم وقتالهم.

---

(1) أخرجه ومسلم 1479، وابن حبان 4188، وغيرهما.

(2) راجع: السيرة النبوية لابن هشام 3 / 38، 39 رقم 1133، 1134.

* ــ وحينما شاعت إشاعة خبيثة تتهم خالد بن الوليد والعباس بن عبد المطلب وابن جميل ﷺ بما ليس فيهم بادر رسول الله ﷺ إلى كشف خبرها الصحيح حتى سكت الناس عنها واختفت، وقد روى هذا أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالصَّدَقَةِ، فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ الله وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَأَمَّا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَعَمُّ رَسُولِ الله ﷺ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا [1].

* ــ ومن ذلك أن عثمانَ بْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القَوْمُ؟.

فَقَالُوا: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟.. قَالَ: نَعَمْ.. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟.. قَالَ: نَعَمْ.. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟.. قَالَ: نَعَمْ.. قَالَ: الله أَكْبَرُ.

قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ الله عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ [2].

---

(1) أخرجه البخاري 1468، ومسلم 983، وغيرهما.

(2) أخرجه البخاري 3704، وغيره.

وبهذا يتبيَّن أن كشف الخبر الصحيح للإشاعة الخبيثة سبيل كبير لبيان كذبها، وحمل الناس على التوقف عن ترديدها حتى تتضاءل وتجف إلى أن تزول وتختفي.

ﷺ ﷺ ﷺ

17 ـ الأخذ على أيدي مُروِّجي الإشاعات وردعهم.

ومن الوسائل الهامة لمجاهدة الإشاعات الخبيثة: الأخذ على أيدي مروجيها.

وبجوار هذا كله لابد من إغلاق منافذ الإشاعات الخبيثة بالأخذ على أيدي مروجيها وردعهم؛ حتى يتوقفوا عن ترويجها وتقل في المجتمع أو تنمحي.

ويكون الأخذ على أيديهم بثلاثة سبل:

السبيل الأول: كشف الذين يختلقون الإشاعات الخبيثة ويُروجونها، وبيان أهدافهم، وتحذير المؤمنين منهم، ومن السماع لهم وتصديقهم، ومثال ذلك: المنافقون الذين كشفهم الله تعالى وكشف إشاعاتهم الخبيثة ضد المؤمنين في غزو الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾ (الأحزاب: 12،13).

وهدفهم كما كشفه الله تعالى للمؤمنين واضح في الآتي:

1 ــ تشكيك المؤمنين في عقيدتهم.. وفي صدق الرسول ﷺ .. وفي صدق وعد الله لهم على لسان رسوله ﷺ بالنصر والتمكين .

2 ــ الفرار من ميدان الجهاد، وتثبيط عزائم المؤمنين عن الجهاد، وتخذيلهم وتعويقهم عن الاستمرار فيه؛ ولهذا يُسميهم الله تعالى: (المُعوِّقين) عن الجهاد والنصرة، ويُحذِّر الله تعالى المؤمنين من إشاعاتهم الخبيثة؛ فإنهم جبناء في الحرب، شُجعان في الإرجاف بالإشاعات الخبيثة، يقول سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ

مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً) (الأحزاب: 18 ، 19).

ومعنى قوله سبحانه: (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) أي آذوكم بالكلام القارص، والإشاعات الخبيثة المؤلمة.

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي: أي: إنهم عند الشدائد جبناء بخلاء، فإذا ما ذهب الخوف وحل الأمان، سلطوا عليكم ألسنتهم البذيئة بالأذى والسوء، ورموكم بألسنة ماضية حادة، تؤثر تأثير الحديد في الشيء [1] .

السبيل الثاني: التربية الإيمانية الوقائية.

ثم سبيل آخر للأخذ على أيدي مروجي الإشاعات الخبيثة، وهو سبيل التربية الإيمانية الوقائية، وخلاصته أن تقوم مناهج التعليم ومواعظ المسجد لغرس المناعة ضد الإشاعات الخبيثة، بتربية الإنسان على الصدق في الكلمة، واجتناب الكذب والافتراء، والغيبة والبهتان، والتبيُّن في صحة الخبر قبل نقله، والنفور من الإشاعات الخبيثة ومُطارتها؛ باعتبارها فُحشًا من القول، وجريمة في المجتمع يجب مطاردتها، وهو سبيل ـــ كما ذكرنا وقائي ـــ أو هو قطع الطريق على الإشاعات الخبيثة حتى لا تجد من يحملها وينقلها؛ فتتضاءل وتنزوي وتختنق وتزول.

السبيل الثالث:

إبعاد المُرجِفين بالإشاعات الخبيثة عن جمهور المؤمنين بقدر الاستطاعة، ولاسيما في أوقات الشدائد والحروب، كما أبعدهم الله تعالى عن جيش المؤمنين في غزوة تبوك.. وهذا من عمل الدولة المسلمة.

---

(1) راجع: التفسير الوسيط 11/ 189 د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق، ط. دار نهضة مصر.

ولهذا يأمر الله رسوله ^ وكل حاكم مسلم بإبعاد مُروجي الإشاعات الخبيثة عن جمهور المؤمنين، ولاسيما في أوقات الحروب والشدائد، يقول الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: 60).

ويقول سبحانه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة:83).

السبيل الثالث:

وإذا لم يتوقف المرجفون عن ترويج إشاعاتهم الخبيثة في المؤمنين، ولم ينفع فيهم إصلاح، ولم يستطع ولي الأمر المسلم عزلهم عن مجتمع المؤمنين، فيجب على القضاء في المجتمع المسلم أن يُنزل عليهم العقاب الرادع لمنعهم عن ترويج إشاعاتهم الخبيثة.. وهذا عمل الدولة المسلمة.

وقد شرع الله تعالى لهم عقوبة حدِّية نص عليها في القرآن العظيم، وهي حَدّ القذف، إذا كانت إشاعتهم اتهام بفاحشة الزنا، ولم يتوفر لهم دليل إثباتها، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: 4 ، 5).

والتوبة التي تتحدث عنها الآية التالية تكون بتكذيب المجرم نفسه في تجريح الإنسان المنكوب واعتذاره عنه علانية، ولا تُسقط عنه الحد باتفاق الفقهاء.

* ــ أمَّا إذا كانت الإشاعة الخبيثة تتعلق بشأن آخر غير فاحشة الزنا، فتُقرر الدولة المسلمة لها عقوبة تعزيرية وِفْقًا لخطرها وأضرارها على الفرد والمجتمع، كما في

قوله سبحانه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ــ 60: 62).

والمرجفون في المجتمع المسلم هم ناشروا الكذب والبهتان والإشاعات الخبيثة لإيذاء المؤمنين، كالإخبار عن ضعفهم في السلم، وقلة جنودهم وعتادهم في الحرب.. أو كما قال قتادة: الذين يُؤذون قلوب المؤمنين بإيهامهم بالضعف والقتل والهزيمة ؛ ليبعثوا فيهم الخوف والاضطراب والرجفة، ليفتنونهم ويُخذلونهم عن طاعة الله والجهاد في سبيله سبحانه [1] .

والآية الكريمة جاءت في صورة الخبر، وتحمل في طيها أمْرًا يُوجب على ولي الأمر المسلم أن يأخذا على أيدي القائمين بالإشاعات الخبيثة.

قال الشيخ ابن عاشور: وهذه الآية ترشد إلى تقديم إصلاح الفاسد من الأمة على قطعة منها، لأن إصلاح الفاسد يكسب الأمة فردا صالحا أو طائفة صالحة تنتفع الأمة منها كما قال النبي ﷺ: «لَعَلَّ الله أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ».

وَلِهَذَا شُرِعَتْ استتابة المرتد قبل قتله ثلاثة أيام تعرض عليه فيها التوبة [2].

ويكون عقابهم على درجتيْن:

الدرجة الأولى: الإبعاد عن المؤمنين بالنفي في أماكن نائية أو بالسجن، حتى لا يختلطوا بالمؤمنين ويفتنونهم بإشاعاتهم الخبيثة، وخاصة إذا ترتب على إشاعاتهم إفساد في الأرض.. وهذا خاص بالدولة.

وتقدير هذه العقوبة تعزيري أي موكول إلى القاضي، فهو الذي يقضي بضربهم أو نفيهم أو سجنهم، وتقدير عدد الضرب أو مدة السجن.

---

(1) راجع: تفسير البحر المحيط 7 / 241.. تفسير القرطبي 17/ 233، 234 ط. مؤسسة الرسالة.

(2) راجع: التحرير والتنوير 22/ 109، 110 للشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور.. راجع: سبل الهدى والرشاد 5/ 409، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي 216 وغيرهما.

وقد نص علماء الأصول على أن من وسائل الشريعة للمحافظة على العرض:

تعزير السابِّ (غير القاذف) بعقوبة غير عقوبة القذف[1]، لأنه منصوص عليه في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وذكر القرطبي في معنى الآية: أن المنافقين لَمَّا نزلت سورة (بَرَاءَةَ) جُمِعُوا، فقال النبي ﷺ: ﴿يَا فُلَانُ قُمْ فَاخْرُجْ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، وَيَا فُلَانُ قُمْ﴾ فقام إخوانهم ــ في النسب ــ من المؤمنين وَتَوَلَّوْا إخراجهم من المسجد [2].

قال ابن هشام: فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ، خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ (كبير بني النجار)، إِلَى عمر بْنِ قَيْسٍ، (أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ) كَانَ صَاحِبَ آلِهَتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ فَسَحَبَهُ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَتُخْرِجُنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مِرْبَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ.

وَقَامَ عِمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ اللِّحْيَةِ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَادَهُ بِهَا قَوْدًا عَنِيفًا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَمَعَ عِمَارَةُ يَدَيْهِ فَلَدَمَهُ (ضربه) بِهِمَا فِي صَدْرِهِ لَدْمَةً خَرَّ مِنْهَا، قَالَ: خَدَشْتَنِي يَا عِمَارَةُ، قَالَ: أَبْعَدَكَ الله يَا مُنَافِقُ، فَمَا أَعَدَّ الله لَكَ مِنْ الْعَذَابِ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ الله ﷺ.

وَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ الْحَارِثِ مِنْ (بنى الخدرة) بْنِ الْخَزْرَجِ، حَيْنَ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِإِخْرَاجِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ الْمَسْجِدِ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ ذَا جُمَّةٍ، (شعر رأسه طويل) فَأَخَذَ بِجُمَّتِهِ فَسَحَبَهُ بِهَا سَحْبًا عَنِيفًا، عَلَى مَا مَرَّ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ.

يَقُولُ الْمُنَافِقُ: لَقَدْ أَغْلَظْتَ يَا بن الْحَارِثِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ أَهْلٌ لِذَلِكَ، أَيْ عَدُوُّ الله

---

(1) راجع: مقاصد الشريعة في المحافظة على العرض ووسائلها من خلال محاربة الإشاعات، نقلاً عن الكواكب النيرات 4 / 164.. بحث للدكتور سعد بن ناصر الشثري، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.. منشور بمجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 51، عام 1422هـ = 2001م ص 139.

(2) راجع: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي 17/ 253 ط. مؤسسو الرسالة.

لَمَّا أَنْزَلَ الله فِيكَ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّكَ نَجِسٌ.

وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى أَخِيهِ زُوَيٍّ بْنِ الْحَارِثِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيفًا، وَأَفَّفَ مِنْهُ، وَقَالَ: غَلَبَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ [1]..الخ.

وقديما قال الحطيئة الشاعر يهجو الزبرقان بن بدر، ويُشيع فيه السوء:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا * وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي .

فهاج الزبرقان وشكا الحطيئة إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال له عمر: ما أعلمه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعمًا كاسيًا ؟!.

قال: يا أمير المؤمنين ، إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا.. فأرسل عمر يسأل حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ أن يبين له قيمة الهجاء في هذا الشعر ، فقال له حسان: لم يهجه يا أمير المؤمنين ، ولكن سلح عليه.

ومعناه: أنه قال فيه شِعرًا أفحش من الهجاء، وإنه لَدَنسٌ صبه الشاعر علي الزبرقان لا تقوم به كرامة؛ حيث وصفه بالبطالة عن طلب المعالي.. أو شبهه بالمرأة التي لا عمل لها إلا طهي الطعام، وإطعام أهل البيت وكسوتهم!!.

فقال عمر للشاعر: يا خبيث، لأشغلنَّك عن أعراض المسلمين، وعاقبه بالحبس [2].

---

(1) راجع سيرة ابن هشام 2 / 161: 163 رقم 590: 593، والبداية والنهاية 3 / 240، 241.

(2) راجع: الشعر والشعراء لابن قتيبة 1/ 227، 228، وطبقات فحول الشعراء 1/ 116، وتتمة الخبر: فأرسل الشاعر من سجنه يستعطف عمر؛ ليخرجه من السجن قال:

ماذا أردت لأفراخ بذي مرخ * حُمْر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر.

فرق له قلب عمر، وأخذ عليه أن لا يهجو أحدًا من المسلمين، ولا يُشيع فيهم السوء، وأخلى سبيلها هـ .

والدول في عصرنا تستدعي الإعلاميين الذي روَّجوا إشاعات خبيثة أضرت ببلادهم، وتُوجه لهم تهمة الإضرار بالأمن القومي، ويحكم عليهم القاضي بعقاب قانوني رادع.

العقوبة الثانية: القتل.. وهذا خاص بالدولة أيضًا، حيث تُوقعه على مُروجي الإشاعات الخبيثة إذا ترتب على إشاعاتهم الخبيثة إضرار كبيرًا بالدولة أو بالأفراد يبلغ عقوبة القتل، كما يقول الله تعالى: (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً).. وقوله تعالى: (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) أي لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل.

وقال محمد بن يزيد: قد أغراه بهم في الآية التي تلي هذه مع اتصال الكلام بها، وهو قوله عز وجل: (أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا).. أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف.. قال النَّحَّاسُ: وهذا من أحسن ما قيل في الآية [1].

وفي هذا جاء عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ» [2].

وتطبيقًا لهذا حكم الرسول ﷺ بقتل كعب بن الأشرف اليهودي حينما ظل يُفْرغ حقده وكراهيته للإسلام ؛ فقد ذهب إلى مكة وحرض مشركيها على قتال المؤمنين بأكاذيب وافتراءات وإشاعات، ثم رجع إلى المدينة يُؤذي المؤمنين في أعراضهم، والتشبيب بنسائهم في أشعار تحمل أقوال وإشاعات خبيثة يتناقلها الناس.. وقد نصحه الناصحون أن يمتع عن هذا الإيذاء فركب رأسه وَأَبَى أَنْ يَنْزِعَ عَنْ هذا الأذى العريض؛ حتى قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ؟.. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ الله، أَنَا أَقْتُلُهُ، قَالَ: فَافْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ.. وتحايل محمد بن مسلمة حتى قتله بحيلة روتها كتب السنة [3].

---

(1) راجع: تفسير القرطبي 17/ 235 ط. مؤسسة الرسالة.

(2) أخرجه مسلم 1852، والبيهقي في الكبرى 16691، وغيرهما.

(3) أخرجه البخاري 4037، ومسلم 1801، وغيرهما.. وراجع فيهما القصة كاملة عن جابر بن عبد الله.

وقَالَ عَبْدُ الله بْنِ حَارِثَةَ: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْد جاسوم ، يُثَبّطون النَّاسَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ. فَاقْتَحَمَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ، فَأَفْلَتُوا [1].

هذه شريعة الله تعالى الجارية على خلقه لا تتبدل ولا تتحول، كما يقول الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

قال علماء الأزهر: أي سن الله ذلك وشرعه شرعًا مُؤكدًا في الأمم الماضية والشعوب السابقة: أن يُشرَّد أو يُقْتل أولئك الذي يسعون بالإفساد بين سواهم، وذلك بإجلائهم عن أوطانهم وقهرهم وإذلالهم وقتلهم أينما وُجدوا على حالة الإفساد وإشاعة الفزع والخوف بين المؤمنين؛ فأمْر رسول الله ﷺ مع هؤلاء الضالين ليس بدعًا، بل هو سائر على نظام سابق حكيم، وقضاءٌ مُحكم، ولن تجد لقضاء الله وحكمته تغييرًا وتبديلاً، فلا يُبدل الله سنته، ولا يستطيع أحد من خلقه تبديلها.

إذن فالحكم باق ــ في الإسلام ــ كما كان في الأمم السابقة: من أن المُفْسد يُضرب على يديه، ويُؤخذ بجريرته، ويناله أشد العقاب حتى يرتدع وينزجر غيره ممن تُسول له نفسه أن يحذو حذوه أو يسلك سبيله [2].

قال أبو بكر: في هذه الآية دلالة على أن الإرجاف بالمؤمنين والإشاعة بما يغمهم ويؤذيهم يستحق به التعزير والنفي إذا أصر عليه ولم ينته عنه، وكان قوم من المنافقين وآخرون ممن لا بصيرة لهم في الدين وهم الذين في قلوبهم مرض وهو ضعف اليقين يرجفون باجتماع الكفار والمشركين وتعاضدهم ومسيرهم إلى المؤمنين، فَيُعَظِّمُونَ شأن

---

(1) راجع: سبل الهدى والرشاد 5 / 632، سيرة ابن هشام 5 / 82 1، 183 رقم 1861، 1862، وغيرهما.

(2) راجع: التفسير الوسيط 8 / 228.. لكبار علماء الأزهر ط. مجمع البحوث الإسلامية.

الكفار بذلك عندهم ويخوفونهم، فأنزل الله تعالى ذلك فيهم، وأخبر تعالى باستحقاقهم النفي والقتل إذا لم ينتهوا عن ذلك، فأخبر تعالى أن ذلك سنة الله وهو الطريقة المأمور بلزومها واتباعها [1].

وقال أحد الفقهاء المعاصرين: جاءت الشريعة بحرب ضروس ضد الإشاعات المُؤثرة في المجتمع من خلال إعطاء الحاكم حق النظر في إنزال العقوبة المناسبة على مُثيري الإشاعات ومُروِّجيها التي تضر بأمن الأمة، بل قد قال طائفة من العلماء: بأن له الحق في قتلهم، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب 60 ـ 62).

واستدلوا بقول النبي ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ» [2].

(1) راجع: أحكام القرآن لأحمد الجصاص 3/ 546، 547 ط. دار الفكر.

(2) أخرجه مسلم 1852، وغيره.. وقد سبق.. راجع: مقاصد الشريعة في المحافظة على العرض ووسائلها من خلال محاربة الشائعات.. بحث للدكتور سعد بن ناصر الشثري، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 51.

18 ـ استخدام الإشاعات المضادة.

ما ذكرناه هنا هو علاج الإشاعات الخبيثة التي تشيع في المجتمع المسلم.

أمَّا إرسال الإشاعات الخبيثة إلى صفوف الأعداء وبلادهم فهو واجب الدولة المسلمة، ولاسيما في حالة الحرب الباردة أو الساخنة؛ لتعميتهم عن قوة المؤمنين وخططهم، ولتفكيك تماسكهم، وتخذيلهم عن قتال المؤمنين، وإشغالهم بمشاكلهم، وصرف الناس عن معاونتهم، حتى يشيع فيهم اليأس والوهن من مقاتلة المؤمنين، ويدفعهم إلى الفرار والهزيمة.

ومما يُؤكد وجوب العمل بهذا السبيل: أن الأعداء أنفسهم يستخدمونه ضد المؤمنين، حيث يُكْثرون من إرسال الإشاعات الخبيثة إلى المجتمع المسلم، بما يبعث فيه الشقاق والانشقاق بين أبنائه، ويغرس فيهم الوهن واليأس من العمل والمجاهدة، ويجب على المؤمنين مقاتلتهم بالمثل، كما يقول الله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (البقرة:194).

وهذا من أسلحة القتال التي يجب إعدادها، يقول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) (الأنفال:60).

والحرب ــ بجوار هذا ــ يجوز فيها ملا يجوز في السلم، فحينما أخرج أبو دجانة عصابة فعصب بها رأسه ثم أخذ يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن» [1].

وفي غزوة الأحزاب أجاز النبي ﷺ إرسال الإشاعات المضادة إلى الأعداء.

---

(1) راجع: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (1 / 222).

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ أَتَى نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ الأشجعي رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، إنّي قَدْ أَسْلَمْت ، وَإِنّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْت ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إنّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخَذّلْ عَنّا إنْ اسْتَطَعْت ، فَإِنّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ.

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيّةِ ، فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي إيّاكُمْ ، وَخَاصّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

قَالُوا: صَدَقْت ، لَسْت عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ ، فَقَالَ لَهُمْ: إنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوّلُوا مِنْهُ إلَى غَيْرِهِ ، وَإِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ ، وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً (فُرصة) أَصَابُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وخَلَا بِكُمْ ؛ فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ؛ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُنَاجِزُوهُ.. فَقَالُوا لَهُ لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى قُرَيْشًا ، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمّدًا، وَإِنّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْت عَلَيّ حَقّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ؛ نُصْحًا لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي ؛ فَقَالُوا: نَفْعَلُ.. قَالَ: تَعْلَمُوا أَنّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إلَيْهِ: إنّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا ، فَهَلْ يُرْضِيك أَنْ نَأْخُذَ لَك مِنْ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمّ نَكُونُ مَعَك عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟.. فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ.. فَإِنْ بَعَثَتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إنّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبّ النّاسِ إلَيّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتّهِمُونِي.. قَالُوا: صَدَقْت، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ.. قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنّي.. قَالُوا: نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُك ؟.. ثُمّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ.

فَلَمّا كَانَتْ لَيْلَةُ السّبْتِ مِنْ شَوّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ من الهجرة النبوية وَكَانَ مِنْ صُنْعِ الله لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَرُءُوسُ غَطَفَانَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ ، فَقَالُوا لَهُمْ إنّا لَسْنَا بِدَارِ مُقَامٍ ، قَدْ هَلَكَ الْخُفّ وَالْحَافِرُ فَاغْدُوَا لِلْقِتَالِ حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، وَنَفْرُغَ مِمّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَأَرْسَلُوا إلَيْهِمْ إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا؛ ثِقَةً لَنَا حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، فَإِنّا نَخْشَى إنْ ضَرّسَتْكُمْ الْحَرْبُ وَاشْتَدّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا إلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرُكُونَا، وَالرّجُلَ فِي بَلَدِنَا، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَالله إنّ الّذِي حَدّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ ، فَأَرْسِلُوا إلى بَنِي قُرَيْظَةَ: إنّا وَالله لَا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا.. فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، حِينَ انْتَهَتْ الرّسُلُ إلَيْهِمْ بِهَذَا: إنّ الّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إلّا أَنْ يُقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إلَى بِلَادِهِمْ. وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ.. فَأَرْسِلُوا إلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إنّا وَالله لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذّلَ اللّهُ بَيْنَهُمْ وَبَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ الرّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ [1] .

(1) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 216: 218 رقم 1373: 1375 وغيره.

فذلكة الكتاب[1].

بعد هذه الدراسة التربوية المتأنية التي أردنا بها مجاهدة الإشاعات الخبيثة وعلاجها في المجتمع المسلم، يتبين لنا الآتي:

1 ــ أن الإشاعات أنواع وأشكال، منها الخفيفة ومنها المُخيفة.. منها المتفائلة والمُحببة.. ومنها المتشائمة والكريهة.. الخ.

2 ــ وأن الإشاعات الخبيثة قديمة قدم المجتمع البشري، فقد استخدمه المشركون ضد الأنبياء والمرسلين، بداية من نبي الله نوح عليه السلام، وانتهاء بخاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.. واستخدمها المنحرفون ضد القادة المصلحين.

3 ــ وأن أضرار الإشاعات الخبيثة كثيرة ومعروفة للدارسين ، فهي تضر الأبرياء من الأفراد، وتفتك بالأسرة ، وقد تؤدي إلى تدمير بنيانها، وتُفرق بين أبناء المجتمع المتلاحم.. وكثيرًا ما سقط بها حُكَّام، وزالت بها عروش كانت قائمة ومستقرة.

4 ــ وأن الإسلام شرع للإشاعات الخبيثة علاجًا ناجعًا، إذا استخدمه المسلم في حياته استخدامًا عمليًا انغرس في نفسه مناعة ذاتية ضدها، واندفع في مجاهدتها وعلاجها، حتى تزول وتختفي، وينجو من أضرارها.

وما يبقى على المسلم بعد بيانها له إلا العمل بها، وإلا فالويل له من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة، كما يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: 2 ، 3).

---

(1) فذلكة.. كلمة معجمية معناها: نهاية الشيء وخلاصته، قال الفيروزبادي: فذلك حسابه: أنهاه وفرغ منه.. وهي كلمة مُخترعة (أي منحوتة) من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا..(الفذلكة): مُجمل ما فُصل وخلاصته (راجع: القاموس المحيط 2 / 1258، المعجم الوسيط 2 / 678).

كـتب للـمؤلـف

1- أكذوبة زواج الجان من بني الإنسان. دار القلم للتراث
2- ختان البنات بين الشرع والطب. دار القلم للتراث
3- شمائل الرسول ﷺ لابن كثير (تحقيق) دار القلم للتراث
4- العواصم من القواصم لابن العربي(تحقيق) دار القلم للتراث
5- صلاة المنفرد خلف الصف ط المؤلف ..... (نفد)
6- سرية الزكاة وعلانيتها ط المؤلف ..... (نفد)
7- الرزية في دجالة الإسكندرية ط المؤلف ..... (نفد)
8- القدس والوعد المفترى المكتب المصري لمطبوعات
9- فتنة هرمجدون بين ضعف الدليل وتعسف التفسير (نفد) دار القلم للتراث
10-المقاطعة فريضة وضرورة مركز الإعلام العربي
11- قراءة جديدة في حتمية زوال إسرائيل مركز الإعلام العربي
12- ختان الإناث في ميزان الشرع والطب ط المؤلف ..... نفد.
13 ــ المس الشيطاني المزعوم.. الأكذوبة التي هوت.
14.. العقيل مُحتفيًا بالعلم والعلماء.
15 ــ الأولى بالإمامة في صلاة الجنازة.

تحت الطبع:

16 ــ في أخلاق الرسول ﷺ.. وقائع تطبيقية.. عدة مجلدات.
17 ــ الإشاعات الخبيثة.. أضرارها.. وعلاجها في ضوء القرآن والسنة.
18 ــ رعاية المال العام.. في ضوء القرآن والسنة
19ــ نسخ النسخ في القرآن.
20 ــ الطريق القرآني إلى تحرير فلسطين .